وسم على أديم الزمن

«لمحات من الذكريات»

الجزء السادس

تأليف
عبد العزيز بن عبد الله الخويطر

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

ⓗ عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر ، ١٤٢٧هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الخويطر ، عبدالعزيز بن عبدالله
وسم على أديم الزمن (لمحات من الذكريات) ـ الجزء السادس./
عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر .ـ الرياض، ١٤٢٦هـ.
٤٤٠ ص، ١٦ × ٢٢,٥ سم
ردمك: ٨ ـ ٧١٥ ـ ٥٢ ـ ٩٩٦٠
١ ـ الخويطر، عبدالعزيز بن عبدالله ـ مذكرات أ ـ العنوان
ديوي ٨١٨,٠٣٩٥٣١ ١٤٢٧/٢٤٨٩

رقم الإيداع: ١٤٢٧/٢٤٨٩
ردمك: ٨ ـ ٧١٥ ـ ٥٢ ـ ٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م

وسم على أديم الزمن

« لمحات من الذكريات »

الجـزء السادس

مقدمة

هذا هو الجزء السادس من مذكراتي «**وسم على أديم الزمن**»، وهو عن ابتعاثي للدراسة في مصر عام ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م)، مع الدفعة التي تخرجت في هذا العام سواء من المعهد العلمي السعودي أو من مدرسة تحضير البعثات. وهذه البعثات بدأت منذ عام ١٣٤٦هـ تقريباً، ودفعتنا هي الخامسة، ثم تتالت الدفعات كل عام بعد نهاية امتحانات السنة النهائية الثانوية.

وقد حاولت أن أعطي لمحة عن حياة طالب البعثة، وأثر انتقاله من بيئة محافظة، ومن وجوده تحت رعاية أهله، وعنايتهم، ورقابتهم، إلى بيئة متحررة، تحت

رقابة، رغم إخلاصها في عملها، إلا أنها غير متقنة، بسبب كثرة الطلاب، واجتماعهم في بيت واحد، وتبلور أفكار الاحتيال على قيود الرقابة، والنجاح في هذا. وكان الطالب القديم السابق إلى المجيء إلى مصر، والراضع من لبان أصحاب التجربة من الطلاب الذين سبقوه، خير مدرس للطالب الجديد، وقد يكون خير إضافة لتنفيذ بعض الخطط التي يجد الطالب الجديد فخراً أن ينال ثقة الطالب القديم في المساهمة في تنفيذها. وأغلب هذه الأمور كما سوف يتبين من المذكرات هي التحايل على المواعيد المقررة المحددة، التي على الطالب أن يراعيها، خاصة في العودة إلى بيت الطلبة في المساء في الأيام المعتادة، وفي أيام العُطل.

واجتماع الطلاب في بيت واحد، ورغم أنهم من

أسر مختلفة، ومن مناطق متعددة، إلا أنهم بلوروا مجتمع طلاب، أصبح له شخصيته المتميزة، مما وحّد تحركه في أي اتجاه يختاره. وكان من أبرز ذلك «المقالب» التي لا يستطيع طالب أن يدّعي أنها لم تلمسه، إما منشئاً للمقلب، أو «آكلاً» له. وكانت المقالب وأساليبها تتطور في جانب التنوع والابتداع، واكتشاف أشخاص «تركب» عليهم المقالب بسهولة، وكان من بين الطلاب القدامى من أصبح عَلَماً في رأسه نار، ومقالبهم تأتي ثقيلة ومتقنة، وعلى رأس هؤلاء معالي الدكتور حسن نصيف والأستاذ أسعد جمجوم، ومن أقرب ضحاياهم الأستاذ محمد بادكوك، وقد كتب معالي الدكتور حسن كتاباً بعنوان: «مذكرات طالب»[1]، فصَّل فيه بعض هذه المقالب مما يمكن ذكره ونشره.

(١) طُبع للمرة الرابعة في عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

ومما كان من مظاهر بيت البعثة «لعب الورق»، فلا تكاد تجد غرفة ليس فيها أربعة يلعبون في الليل في غفلة من المراقب الذي يحاول أن يفاجئ الطلبة، سعياً في دفعهم إلى المذاكرة والتحصيل، ولكن المفتش عليه رقيب، غالباً البواب، أو من جلس عنده، فبمجرد أن يدخل المفتش تنتشر كلمة السر، وكل واحد يقفز إلى سريره أو مكتبه، ويمسك كتابه، وكأن هؤلاء عباد في مصلاهم، عليهم مسحة الهدوء والاهتمام، والاندماج فيما بين أيديهم من كتب أو دفاتر.

ومن المظاهر التي لا تغيب عن ذهن المتابع أن هناك فئتين من الطلاب، طلاب الكليات العلمية، والكليات الأدبية. ففئة العلوم، خاصة الطب والهندسة هم أكثر الطلاب اجتهاداً، وبُعداً عن اللعب، والملاهي،

وفئة الآداب هي التي غالباً يكون طلابها أقرب إلى التهاون، والميل إلى السمر، والاستفادة من الفراغ في أمور أبعد ما تكون عن التحصيل، والقيام بالواجب، وإن كانت هذه القاعدة غير مضطردة، فهناك طلاب من هذه الفئة مثال الجد والاجتهاد، ولم أكن أحدهم في السنة الأولى.

وكان الطالب يختار المجموعة التي يسكن معها، ويكون الاختيار بناء على تقارب الأمزجة والطباع، والتخصص أحياناً، ولكننا لا نعدم أن نرى شقاقاً ينبجس بين آن وآخر بين اثنين أو ثلاثة، مما يضطر بعضهم إلى البحث عن غرفة أخرى يقبله أصحابها، وقد يكون سبب خروجه من الغرفة أنه مجتهد وأن من معه لم يكن كذلك، فإذا نام سهروا، وأقلقوه في نومه،

وزوارهم من الغرف الأخرى كثير، فلا يستطيع أن يذاكر ويركز، وأحياناً يكون التدخين هو السبب.

والغرف، حسب سعتها، بعضها تتحمل ثلاثة، وبعضها اثنين. وليس هناك غرفة فيها طالب واحد إلا من يختار مطبخ الشقة، والمطبخ غرفة صغيرة، ولكن من يسكنها يضحي بالمساحة مقابل الراحة من زميل قد يريه نجوم الليل في الضحى!.

وفي هذا الجزء ملامح عن الدراسة، والصعوبات التي تكتنفها، وتأثير المدنية المتحررة على طلاب جاؤا من بيئة مقفلة. وقد يجد الطالب نفسه يجلس في الصف أو في المدرج بجانب فتاة. إنه من المؤكد سوف يكون مشتت الفكر، أبعد ما يكون عن التركيز على الدرس الذي يُلقى. هذا زيادة عما يعانيه القادمون للدراسة

حديثاً من ضعف في التحصيل، لضعف المناهج في «البعثات» و«المعهد» بجانب ما حصله الطالب المصري في مرحلته الثانوية، خاصة من كانت دروسه تعتمد على اللغة الإنجليزية، أو طلاب الرياضيات مثلاً.

وإذا تصور أحدنا كيف كان محيط البعثة، وما فيه من مقالب، وملهيات، ومسليات، وفسح، واهتمام بأمور جانبية، يضاف إلى هذا استقبال القادمين من المملكة، ومساعدتهم بأخذهم إلى عيادات الأطباء، أو لتكريمهم بأخذهم إلى الحدائق، والسينما، والمسرح، يعجب كيف كان الطالب ينجح.

هذه لمحة عما سوف يجده القارئ في هذا الجزء، وما أذكره قليل عن هذه الحقبة وما نسيته أكثر. ولا يفوتني أن أذكر أن اجتماع عدد كبير من الطلاب في

بيت واحد أضراره كثيرة، وقد اضطر ازدياد أعداد الطلاب بعد خمس سنوات إلى البدء بالسماح لطلاب السنوات النهائية أن يخرجوا من دار البعثة، ويختاروا سكنهم حسب رغبتهم، ثم جاءت خطوة أخرى ألغيت فيها دار البعثة، وصار الطالب حراً في اختيار سكنه منذ أن يصل أرض الكنانة، أو غيرها.

وقد قيل في وقت من الأوقات لو أن الطلاب قبل مجيئهم إلى مصر تقوم إدارة البعثات باختيار أسرة يسكن عندها الطالب، تكون له مثل أسرته في مراقبته، ومساعدته على الدراسة، ولكن وجد أن في هذا بعض المحاذير، ومن جملتها أنه قد يتزوج فلا يعود إلى المملكة، وقد يسبب بعض الطلاب إحراجات للمملكة في تصرفاتهم مع أفراد الأسرة

والطلاب في سن المراهقة، وكان الطلاب سوف يرحبون بهذا الترتيب لو تم، حتى أن بعضهم عندما سمع بالاعتراض اتهم الإدارة بأنها تخشى أن يؤدي هذا إلى إغلاق الإدارة، والإدارة مظلومة في هذا، بدليل أنها شجعت خروج الطلبة فيما بعد عندما زاد العدد، ولم تقفل الإدارة إلى اليوم، ولكن التهم هي أقرب لتلمس الأسباب لمن لم يعجبه الأمر.

لو سمّي هذا الجزء بجزء المقالب لما أخطأ من سماه، فقد أخذت المقالب وذكرها فيه النصيب الأوفى، وكانت تأخذ بحق نصيباً وافياً من وقت الطالب في البعثة.

في الجزء الأخير من هذا الجزء أخذت المعلومات من الخطابات المتبادلة، وأُتي بنص الخطاب مع تعليق

عليه، وصورة فوتوغرافية له، زيادة في التوثيق والفائدة، لأن الخط قد يوحي للناظر فيه بما لم يأت في التعليق.

وأُلحق بآخر هذا الجزء صور فوتوغرافية، تخص هذه الحقبة، وهي تكمل الصور العامة التي حرصت أن تتضح في الكتاب، وعلقت تعليقاً مختصراً على كل صورة بما يجعل القارئ، ما أمكن، يصبح بالتصور الذي في ذهني عن كل صورة.

عبد العزيز الخويطر

البعثات إلى الخارج :

بدأت البعثات إلى الخارج منذ عام ١٣٤٦هـ، فأرسل من هؤلاء إلى مصر السيد محمد شطا، والسيد أحمد العربي، والسيد ولي الدين أسعد، وفي عام ١٣٥٥هـ أُرسلت البعثة الثانية، وفيها ما لا يقل عن عشرة طلاب، من بينهم الأستاذ إبراهيم السويل، والأستاذ عبدالله عبدالجبار، والأستاذ حسين فطاني، والأستاذ عبدالله الملحوق، والأستاذ عبدالله الخيال.

وفي عام ١٣٦١هـ (١٩٤٢م) أرسل ما لا يقل عن خمسة عشر طالباً، هم مجموع الدفعتين اللتين تخرجتا في هذا العام والذي قبله. والسبب في تأخير الدفعة التي تخرجت عام ١٣٦٠هـ (١٩٤١م)، أن الحرب كانت على أشدها، ورؤي الانتظار حتى يتبين مع من

سيكون النصر، وعندما أُمِن خطر المحور، وترجح جانب النصر مع الحلفاء، أُرسل طلاب الدفعتين، وعندما تأخر إرسال الدفعة الأولى من الذين تخرجوا عام ١٣٦٠ هـ استعين بهم للتدريس في السنة الرابعة الابتدائية في القلعة بقسميها، وكان من بين من درسونا منهم: الدكتور حامد هرساني، والسيد علوي جفري، والأستاذ سعيد آدم، والدكتور حسن نصيف، والأستاذ معتوق باحجري.

ثم تتالت البعثات كل عام منتظمة، وكان الطلاب المبتعثون يقبلون في كليات جامعة الملك فؤاد (جامعة القاهرة حالياً)، وكان عدد طلاب البعثة يتضاعف كل عام عن الذي قبله، ولم تعد الجامعة تتحمل هذا العدد المتزايد، فبدأ إرسال طلاب من الوافدين الجدد

إلى جامعة الملك فاروق الأول (جامعة الإسكندرية حالياً)، فلما زاد العدد أنشئ إدارة للبعثات هناك، وعند بدء الابتعاث كان هناك طلاب ابتعثوا إلى بيروت.

السفر إلى مصر :

البواخر المعروفة بالنقل البحري بين جدة والسويس ثلاث بواخر أحداها «تالودي» و «الزمالك» و «عرفات» على ما أذكر، وكانت الباخرة التي سوف تقلنا هي «تالودي». وامتطينا سنامها بعد ظهر يوم السفر، وكنا دفعتين دفعتنا الجديدة، ودفعة العام الماضي والذي قبله ممن نجحوا في الدور الأول في مصر وجاؤا ليقضوا الصيف مع ذويهم. وهذه عادة ثابتة تقريباً، فكل من ينجح في الدور الأول له الحق في السفر في الصيف لزيارة أهله. وكان بعض الطلبة يجد الأعذار

المفتعلة إذا أراد أن يتمتع بالعطلة الصيفية في مصر، وشواطئ مصر في الصيف مغرية للزائرين.

وأذكر أن من بين الطلاب القدامى ممن ركب الباخرة تالودي معنا الأخ زين الدين فطاني، والأستاذ سعيد آدم.

كنا فرحين بالرحلة، ومبتهجين من ركوب الباخرة، ولكل جديد لذّة، وعُرِّفنا على العنبر الذي سوف نكون فيه، وهو في الدرجة الثالثة، ولعل أغلب الباخرة درجة ثالثة لأنها مخصصة أصلاً لنقل الحجاج، أو على الأقل زبائنها الثابتون هم الحجاج والمعتمرون، وأغلبهم تناسبهم الدرجة الثالثة. ولم نكن نعلم أن نظرتنا للعنبر هي الأولى والأخيرة، وهي الاستقبال والوداع، لأننا لم نعد إليها بعد ذلك، والسبب سوف

يأتي قريباً.

وقفنا على «الدرابزين» الذي في مؤخر الباخرة، ننتظر تحركها، وانشغلنا فترة غير قصيرة بالنظر إلى الميناء، وما فيه من حركة، هذه سفينة داخلة، وأخرى خارجة، وهذه فيها حمولة تنزل، وأخرى تحمل، والحمال والعمال في عمل دائب، وحركة متتالية، ونحن مندهشون، وأعيننا على ما نرى مركزة، وقلوبنا معلقة بباخرتنا ووقت تحركها، وكيف سيكون ذلك.

وأخيراً تحركت الباخرة ونحن وقوف كأننا غربان أو غرانيق، وبدأ الرفّاس يرفس، والباخرة تتحرك، ثم انتظم صوت الرفاس بعد أن خرجت الباخرة من ازدحام الميناء، وبدأ الزبد خلفها يتلاطم، وكان منظره أخَّاذاً، فأخذنا نرنوا إليه، ولا نرفع أعيننا عنه،

وقيل لنا فيما بعد إن هذا العمل ليس من الحكمة، وقد ساعد كثيراً على تمكن الدوار منا، وعلى سرعته على أن يمتطينا بسهولة.

فرش بعض الإخوان القدامى فراشاً خلفنا على سطح الباخرة، ونووا أن يلعبوا الورق، وانضم إليهم من يلعبونه، ولكن نقَصَ اللاعب الرابع، فبعثوا أحدهم ليأتي برابع من العنبر فلم يعد الرسول، ثم ذهب الثاني، ولم يعد، ولم يبق إلا زين الدين، الذي لم تؤثر عليه حركة الباخرة، أما نحن فقد أخذ منا الدوار مأخذه، وأخذنا نستفرغ، حتى كادت أمعاؤنا تخرج، إذ لم يبق في بطوننا إلا هي!.

والعاملون في الباخرة خبراء بأمثالنا ممن لم يسبق لهم أن ركبوا باخرة، فأخذونا إلى مستشفى الباخرة،

وهو غرفة فوق المكنة مباشرة، والرفّاس يضرب تحت رؤوسنا وكأنه يضرب في رؤوسنا، فصرنا محاطين بكل أسباب عدم الراحة، وأصبح كل شيء حولنا يتحرك، وما كان أعلى خُيّل لنا أنه انقلب إلى أسفل، وما كان أسفل انقلب إلى أعلى، ولا ينفع أن نغمض أعيننا فإن ذلك يركز تفكيرنا على غضب أمعائنا، وصداع رؤوسنا. ولو كان محكوماً على أحدنا بالإعدام لهان الأمر عليه. لقد أصبحت الحياة أضيق من سم الخياط، كلما فكرنا أن الحجاج يركبون هذه البواخر التي هي أشبه «بالمعديّة» تألمنا لهم، ومن بينهم الشيّاب والعجائز.

وإذا أراد أحدنا أن ينتقل من سريره إلى الحمام بدأت معركة جديدة مع محاولة الحفاظ على التوازن، فأحدنا يذكر أنه كان قد بدأ يخطو خطواته الأولى إلى

الحمام فيجد نفسه قد قذف إلى سريره مرة أخرى، وكأننا حبات بُنٍّ في مقلاة. ولا تعدم أن تجد أحد زملائك وقد رماه دواره عليك، اللهم ثبِّتْ ثبِّتْ.

وجاء اليوم الثاني ونحن نكاد نموت جوعاً، وحاول القائمون على المطعم تشجيعنا، فانصعنا لهذا التشجيع، وتحاملنا على أنفسنا، والجوع يحدونا، ومَنْ حولنا يشجعوننا، فوصلنا إلى غرفة الطعام، وجلسنا على السفرة، وعُرضت علينا قائمة الطعام، واخترنا ما عنَّ لنا، ثم ذهب القائمون على السفرة لإحضار ما طلبنا، ولكن الطاقة، التي انتقلنا بها إلى المائدة، قد نفدت، وبدأ الدوار هجمته المعتادة، وأخذ بعضنا ينظر إلى بعض، وتفاهمنا دون أن ننطق، وكان المطلوب أن ينسلّ أقربنا إلى الباب، ويتبعه من يليه، حتى انتهينا

جميعاً في المصحّ.

لا أشك أن النادل عندما جاء، فلم يجدنا، لم يستغرب، فلابد أن مثل هذه الحال قد مرت عليه مئات المرات، وكنت أنظر إلى الذين يعملون على ظهر الباخرة، وهم يقومون برش الممرات بالماء، وينظفونها، وكأنهم على اليابسة فلا يبدو عليهم أثر للدوار، ولعلهم في متعة متناهية يحكم بها من يراهم مما على وجوههم من المرح والبهجة.

ولا يخلو الأمر من بعض حركاتنا الصبيانية، فالذين لم يصبهم الدوار لأنهم سبق أن سافروا وتعودوا أعجبتهم الحال التي نحن عليها، وأخذوا يخوفوننا من شيء سوف نمر به مما يسمونه «غبّة موسى»، وهي منطقة عميقة في البحر الأحمر، وأمواجها متلاطمة،

ولابد من المرور بها. وجاء في ذهننا أنها سميت بهذا الاسم لأن موسى ـ عليه السلام ـ ضربها بعصاه، فانفلق البحر.

وصولنا إلى ميناء السويس:

أقبلنا في اليوم الثالث على ميناء السويس، وكان منظراً مفرحاً، أليس فيه الفرج مما نحن فيه؟! وإن كنا قد بدأنا نتحسن، ولكن لا شيء مثل الأرض.

وجدنا الأستاذ إبراهيم الوَسِيَّة ينتظرنا هناك، وهو موكل من إدارة البعثات باستقبالنا، وإركابنا إلى القاهرة، وكأنه أمامي الآن ببدلته وطربوشه، وهو الزي الذي سوف نتبناه. وكان رجلاً نشيطاً متقناً لعمله، فأركبنا حافلة نقلتنا إلى القاهرة، وأوصلتنا إلى دار البعثات في ١٦ شارع الروضة، المبنى الرئيس

للإدارة والقسم الداخلي.

وكنا نشعر ببقية الدوار ونحن في الحافلة، ونحاول أن نبتعد عن مسبباته فلا ننظر إلى الصحراء من النافذة بقدر ما نستطيع، وقد نجحنا في هذا، وقد بقي أثر الدوار معنا ما يقرب من ثلاثة أيام، وكان مجرد التفكير في تلك الأيام التي مرت بنا يكاد يثير الدوار من شدة معاناتنا له في الباخرة.

في القاهرة:

كل شيء أدهشنا في القاهرة، أدهشتنا كثرة السيارات وتنوعها، الصغير منها والكبير، الخاص والعام، وأُعجبنا بالقطارات، وانتظامها، وانتشارها، ومحطاتها وسائقيها والعاملين عليها. بهرتنا «الترامات» بخطوطها الواسعة المنتشرة، وخطوطها المنظمة، وأوقاتها المحددة، وبمن

تحمله، وبعدد من تحمله، دهشنا من كثرة الناس، ومن سعة المدينة، وارتفاع مبانيها، وحسن الهندسة فيها، ودهشنا من الشوارع واتساعها، وسفلتتها، والأرصفة وحسن بنائها، ومن تنظيف الشوارع والأرصفة المنتظمة، ومن المرافق المختلفة: الصيدليات والبنسيونات والفنادق والمحلات التجارية الكبرى، والسينمات والمسارح والمراقص، وكل شيء يخطر على البال، ورأينا ما قرأنا عنه في الكتب عن مصر وفي الصحف رأي العين، ولمسنا بعضه باليد، أماكن غسيل الملابس وكيها، وتفصيل البدل وتنظيفها وكيها في كل مكان، وما على المرء إلا أن يختار أن يكون زبوناً لهذا أو ذاك.

انفتحت أمامنا أبواب لم نكن نعرفها أو نتوقعها، كان انتقالنا مفاجئاً دون تمهيد، وجئنا دون تهيئة، وأخذنا

نستوعب ما نفاجأ به، وما نلاقيه، بلهف وإقبال، وما لم يأتنا نذهب ونبحث عنه، لأن من عرفه من زملائنا شوقنا إليه، مثل الريف بمزارعه وإقطاعاته، والبحر ومصايفه وشواطئه، ومثل المتاحف وحدائق الحيوان، والحدائق العامة، والأهرامات وبقية الآثار المتنوعة.

فوجئنا بالسفور، ونظرة الناس إليه، وملاحظة الناس لنَهَم عيوننا، وحيائنا عند التعامل مع النساء في الكليات، وفي المطاعم، وفي السينما، وفي المحلات التجارية. ويكون من بين من نحتك بهم أجانب عرباً أو غير عرب من غير المسلمين، فكانت التجربة محيرة ومقلقة، واحتجنا إلى وقت لنقبل الأمر على ما هو عليه، وندخل في الصف كما لو أننا ممن نتعامل معهم.

اللهجة المصرية :

كانت اللهجة المصرية هي أول عامل قابلناه، فهناك تعبيرات تتكرر وهي أول ما يثبت في ذهن الغريب، وهناك كلمات يحتاج إلى أن يتنبه لها لأنها تختلف معنى أو لفظاً عما اعتاده. صلتنا بإخواننا المصريين في مكة محدودة في تلك الحقبة، ولهذا جئنا وعلينا أن نتقن اللهجة المصرية حتى ندخل في المجتمع طولاً وعرضاً، وإتقان اللهجة مفيد بلاشك، وإن كان عدم إتقانها أحياناً يفيد، فكان السعودي محبوباً، ولا يخاطب إلا بشيخ العرب إذا اكتشف «الكمساري» أو غيره أن الراكب سعودي، وأذكر أن أحد الطلبة الجدد ركب الحافلة ذاهباً إلى الجامعة مع أحد الطلبة القدامى، وأصر الطالب الجديد على أن يدفع قيمة التذاكر، فوافقه زميله بعد إلحاح،

وأقبل «الكمساري» قاطع التذاكر، وهو ينادي كالمعتاد «تذاكر».. «تذاكر».. «ورق».. «ورق»، فمد السعودي يده بالمبلغ وقال «تذكرتين للجامعة» ونطق الجيم كما تنطق في مصر، فقال «الكمساري» حاضر يا شيخ العرب، فاستغرب الطالب السعودي الجديد، والتفت إلى زميله وقال: كيف عرف أني لست مصرياً وأني من الجزيرة؟ قال زميله: لأنك قلت «القامعة» والمفروض أن تخطف الكلمة وتقول «القمعة».

وعندما جئت من عنيزة إلى مكة كانت أول كلمة قابلتني ولفتت نظري، واستسهلها لساني كلمة «طيب» إجابة للنداء، بدلاً من «سم» أو «إيه» أو «نعم»، وبقيت هذه الكلمة ملازمة لي ولكل من جاء من نجد حتى بعد أن يعود إليها.

وفي مصر أول كلمة تأثرنا بها هي كلمة «آه» للاستجابة والقبول، ثم تأتي كلمة «بقى» وهي كلمة ترفد الكلام، وزائدة عنه، ولكن لا يستغنى عنها لتكمل نغمة الجملة، وجرسها ووزنها. ثم تأتي الكلمة المسيطرة «كويس» وهي كلمة ساحرة باهرة، سرعة التقاطها مذهلة، ولا يستطيع الإنسان أن يتركها إلى غيرها، وقد أصبحت اليوم تستعمل في جميع البلدان العربية، انتشرت مع المدرسين المصريين ومع الأفلام المصرية ومحطات الإذاعة والتلفزيون.

من طرائف اللهجة :

هناك طرائف ترافق اللهجة، واختلافها من بلد إلى بلد آخر، بعض ما يقال إنه حدث فقد حدث فعلاً، وبعضها «تشنيعات» يدّعي بعض الطلاب أنها حدثت

لفلان من الناس، وهي في الحقيقة مؤلَّفة، وهو منها بريء، ولكن إتقانها، واختيار الشخص الذي رُكِّبَتْ عليه تجعل كثيراً ممن يسمعها يصدق أنها وقعت لفلان، وهذه الطرائف لا تكاد تحصى، وتكاد تُركَّبْ على كل كلمة مصرية لها بديل باللهجة السعودية، فيروى عن أحد أعضاء البعثة أنه بعد وصوله إلى مصر ذهب يوماً إلى البقالة يريد أن يشتري اللوز الذي يسمى في مصر «عين الجمل» فقال لصاحب البقالة: هل عندك «أع أع»، أي «قعقع» بلهجة مكة، ولنا أن نتصور البقال وقد سمع هذه الكلمة ذات الصوت المدفعي. ويقال إن هذا لم يحدث ولكن أحد الطلاب ممن اكتوى بمقالب الدكتور حسن نصيف والأستاذ أسعد جمجوم ألفها. ويقال كذلك أن أحدهما تعرض «لمزحة» من أحد أصحابهما، فالتفت وقال له: بلا

مقاغة، وهي تصرف بكلمة «مجاغة» المكاوية.

وأذكر أني أنا والأخ صالح الجهيمان كنا في غرفة الأخوان محمد العنقري وصالح الشلفان وأحمد المبارك، وفي غرفتهم «بلكونة» تطل على الردهة الخلفية للعمارة، وهناك «كشك» مكتوب عليه «بوفيه» وقرأناها «بُوفيَّه»، واحترنا في معناها، والغرض من الكشك، فاضطررنا إلى السؤال عنها، وعرفنا هدفها والفائدة منها، وأنها كلمة فرنسية الأصل، وأن نطقها بُوفيه، وليس «بُوفيَّه».

ووافق مجيؤنا أنا والأخ صالح انتهاء الحرب، وبدء علامات السلم تدب إلى الحياة في مصر، ومن ذلك المنتجات الغذائية وسوائل التنظيف والتطهير، وبدأ الإعلان عن بعضها في الصحف، وكان أحد

الإعلانات يضع ثلاث كلمات صامتة دون أن يبين ما هي (د. د. ت)، وأخذنا نسأل ماذا تعني (دال. دال. تا)، ولا من مجيب إلى أن كشف عن السر، وأنه «بخاخ» لقتل الحشرات، والقضاء على الجراثيم، وأنه (دِ. دِ. تِ) وليس (دال. دال. تاء).

التُّرُمَّاي (الترام):

أهم مظهر في حياة الطالب «الترماي»، وسيلة الانتقال المفيدة المتواضعة، هي حمار الأدوات الحديثة للنقل، ولا يستغني الطالب عنها بحال من الأحوال مثل كثير من طبقات المجتمع المتوسطة والتي أقل منها، وهو يتناسب كثيراً مع إمكاناتنا المادية المحدودة، ولا نلجأ للحافلات إلا عند الحاجة أو الاضطرار، والحافلة هي الأداة الثانية في ترتيب الأوليات عندنا، وأقلها

سيارات الأجرة، التي نادراً ما نلجأ إليها لتكلفتها الباهظة نسبة إلى الوسيلتين الأخريين، ونعد، نحن وأمثالنا، «الترام» نعمة من نعم الله علينا وعلى مصر.

في تلك الأيام لم تكن المواصلات مزدحمة، وكانت متوافرة، وأوقات تحركها متقاربة، وليس هناك اتجاه في القاهرة يمكن أن يفكر الإنسان للذهاب إليه إلا وجد الوسيلة له «ترماياً» أو حافلة. وقد تكون إحداهما أنسب لبعض الأماكن المقصودة، في حين أن الأخرى أنسب لاتجاه آخر، وقد تتقارب محطة الترام مع محطة الحافلة فيقفز المنتظر، على أولهما وصولاً إلى محطته، وكان صديقنا ونحن في الروضة هو الخط ١٥ و ٣٠ فهما يمران مرات عديدة ومتقاربة أمام باب البعثة وباتجاهين مختلفين، وهذا يفيدنا أيام الحر فلا

نتعرض للشمس كثيراً، ويفيدنا في أيام الشتاء فلا نتعرض للبرد أو الأمطار.

الملابس:

كانت المهمة الأولى عندما وصلنا القاهرة هي لبس الملابس الإفرنجية، ولم يكن الوقت يسمح بأن يفصل لنا حسب مقاسنا وطلبنا، واختيارنا الألوان، مما اضطر إدارة البعثة أن ترسلنا إلى شركة مصر للنسيج، وهذه عندها بدل جاهزة ومتنوعة الألوان والأشكال والمقاييس، وكلف مدير البعثة السيد ولي الدين أسعد الأستاذ أسعد جمجوم أن يأخذنا إلى هناك أنا وصالح الجهيمان، وكان موقع الشركة عند تقاطع شارعي فؤاد مع ناصية ميدان إبراهيم باشا.

وكانت الأحجام في الغالب كبيرة، ولأني أنا والأخ صالح الجهيمان قصيران وجدنا أنه من الصعب أن نجد مقاسنا، وهذا يعني أن علينا أن نأخذ المقاس الأقرب وتقوم الشركة بالتعديل المطلوب، وهذا ما حدث فعلاً، ولا أزال أذكر أن الأخ أسعد اختار لنا «الكوت» «الجاكتة» زرقاء و «البنطلون» رمادياً، وكانت هذه «الموضة» منتشرة حينئذ، وهو اللون الشعبي المفضل. وبعد أن قسنا البدل استعدوا لتعديلها بسرعة فائقة، وعدنا وأخذناها في مساء ذلك اليوم، ولا أذكر ماذا كنا نلبس حينئذ، ولا أستبعد أننا كنا نلبس ثيابنا العربية.

أذكر أننا عند ذهابنا ركبنا «الترماي»، ولكننا في العودة أخذنا نسير على أقدامنا، ووجدنا عنتاً وتعباً،

لأننا نحاول أن نجاري أسعد، وهو طويل، خطوته تساوي ثلاث خطوات من خطاي أنا وصالح، وكنا سلكنا طريقاً ليس فيه ترماي ولا حافلة، وهو «التخريم» من ميدان قصر النيل إلى المنيل، أملاً أن يكون هذا أقرب من شارع القصر العيني، وتعبنا بحق، ولاحظ أسعد هذا، فاضطر أن يركبنا عربة «كارو»، وهي عربة بدائية يجرها حمار، ويستعملها الفلاحون لنقل منتجاتهم، وهم عادة يسلكون طريق المنيل لأنه يعد طريقاً زراعياً لكثرة المزارع على جنبيه حينئذ، ومنه يدلفون إلى طرف الروضة ثم إلى الجيزة منطقة المزارع، وليس في هذا الطريق «ترماي» ولا «أوتوبيس».

ويبدو أن أسعد شعر أنه مجبر على أخذنا، ولا مصلحة له في هذا، وليس هذا من اختصاصه، وهذا

فيه عبء مالي لأنه هو الذي سوف يدفع أجرة ركوب الترماي، وقد يكون ذلك آخر الشهر وهو أقرب إلي أن يكون مفلساً فيه، وقد وصلنا بعد تعب شديد، وحمدنا الله على ذلك، وكان الذهاب في المساء مختلفاً فلم يكن مع أسعد ولكن مع الأخ محمد العنقري، الذي ربما كان في الكلية في الصباح، وصادف أن أسعد لم يذهب ذلك اليوم إلى الكلية فوقع في المصيدة، ولعله كان يتمنى أنه ذهب إلى الكلية!.

محمد بن عبدالعزيز العنقري:

هو والد معالي الأخ الدكتور خالد العنقري، وزير التعليم العالي، وكان الأخ محمد رحمه الله قد سبقنا إلى الابتعاث بسنتين تقريباً، ومعرفتي به قديمة منذ كنت في الابتدائي، وكانت أسرته تسكن شعب

عامر، وبيتهم قريب من بيتنا، وكان أمام بيتنا «برحة» يتجمع فيها شباب أكبر منا يلعبون «الكبت»، وكان محمد يأتي ويلعب معهم، وأنا كنت أجلس على عتبة باب بيتنا أتابع اللعب، وكان يضع «غترته» و «طاقيته» وحذاءه أمانة عندي، وكان اللعب يقتضي خفة في الحركة، وسرعة في التصرف، ولهذا يلزم أن يكون اللاعب حافياً.

التحق الأخ محمد رحمه الله بالمعهد العلمي السعودي، فلما نجح ابتعث مع زملائه إلى القاهرة، والتحق بمدرسة دار العلوم (وهي مرحلة جامعية، ولكن مسماها مدرسة حتى انضمت فيما بعد إلى جامعة الملك فؤاد التي سميت بعد الثورة جامعة القاهرة)، وكان قد تقرر أن ألتحق أنا وصالح الجهيمان بها، وقد

تم ذلك فعلاً.

وقد وجدنا فيه (الأخ محمد) نعم الأخ ونعم العضد، فقد ذلل لنا الصعاب، وهون علينا الأمور التي كانت متجهمة أمامنا، وباختصار فقد وسّع أمامنا الدنيا، وملأ أنفسنا بالثقة، ومجرد التحاقه بالكلية ونجاحه كان كافياً لأن نطمئن على مستقبلنا، فهو مثلنا قد تخرج من المعهد وسار بنجاح في دار العلوم، وكان ينجح من الدور الأول، وهذه ميزة في دار العلوم، ومن لا ينجح في الدور الأول من «الأقرباء» فلا غرابة، وكلمة «الأقرباء» تعبيرٌ أطلقه الدرعميون على الطلاب غير المصريين، واختاروا هذه الكلمة بدلاً من «الغرباء»، وهي لفتة نبيلة من لفتات كثيرة لمسناها في هذه الكلية من الأساتذة ومن الطلاب،

ولمسها غيرنا من الطلاب الأجانب.

وسكنى الأخ محمد رحمه الله في غرفة واحدة مع الأستاذ أحمد بن علي المبارك والأستاذ صالح بن عبدالله الشلفان، عرّفتنا على هذين الشخصين الحبيبين، فكان لأخوتهما وسابق معرفتهما بالحياة في مصر، وحسن نصحهم لنا، خير معين لنا عندما قدمنا، وقابلنا ما استجد علينا مما تسبب في بعض الحيرة لنا. وكان الأخ محمد رحمه الله كما قلت، في دار العلوم، والأستاذ أحمد في كلية اللغة العربية التابعة للأزهر، والأستاذ صالح في كلية التجارة في جامعة الملك فؤاد، ورغم أن دراسة كل واحد منهم بعيدة عن حقل دراسة الآخر إلا أنهم كانوا «منسجمين» كأنهم أشقاء، رغم ما قد يكون هناك من اختلاف في بعض الطباع بينهم،

ولهذا الإنسجام بقوا في غرفة واحدة إلى أن انتقلت البعثة إلى مبنى آخر، وتخرج واحد قبل الآخر.

والأخ محمد رحمه الله حرص على ملازمتنا في أوقات النشاط الترفيهي في المساء، ففي مساء أول يوم خميس وصلنا في اسبوعه أخذنا إلى السينما، وهي غير بعيدة عنا، سرنا إليها بأقدامنا ما يقرب من ربع الساعة أو ثلثها، وهي في منطقة الجيزة، واسمها «الفانتازيو»، ولأنه أول فيلم رأيته فلا أزال أذكر وقائعه بالتفصيل، ولأنها من سينمات الضواحي فإنه عادة يُعرض فيها فيلمان، وكان الفيلم الأول، قصيراً هزلياً، «علي بابا والأربعين حرامي»، بطولة الممثل الكوميدي علي الكسار، الذي مثل شخصية علي بابا خير تمثيل. والفيلم الثاني أظن أن اسمه «يحيا الحب» أو «الحب

الأول» وبطلة الفيلم رجاء عبده.

لقد انبهرنا من السينما ومن العرض، ومن التمثيل، وليس من السهل وصف شعورنا تجاه هذه التسلية العجيبة، وكانت السينما مكتظة بالمتفرجين، وقد أكرمنا رحمه الله بعشاء فاخر بعد السينما، وعدنا إلى البعثة من فوق «كوبري» عباس، وهو الجسر الذي يربط الجيزة بالروضة حيث نسكن في شارعها الرئيس، وهو الشارع الذي فيه قضيب «الترماي» ومحطته، ومحطة الحافلات.

صديقنا (م):

انبهارنا بالسينما والأفلام التي رأيناها لأول مرة يذكرني بصديقنا (م) ـ رحمه الله وأسكنه فسيح جناته ـ

فقد كان حبيباً ونبيلاً، وقد جاء إلى القاهرة بعدنا بما يقارب السنتين، ومثلما أخذنا الأخ محمد العنقري، أنا وصالح الجهيمان، أخذنا صديقنا هذا إلى السينما، وهو لم يرها من قبل.

ذهبنا وإياه إلى سينما «شهرزاد» في الجيزة بعد الجسر مباشرة، وهي سينما صيفية مكشوفة، وكراسيها بسيطة، خيزران، ومقسمة إلى ثلاثة أقسام مثل السينمات الأخرى، صالة وبلكونة وترسو، وأحسنها وأغلاها البلكونة، وتليها الصالة، والترسو هو أرخصها، وهذا أسوأ مكان في السينما، لأنه في مثل هذه السينما يكون تحت الشاشة مباشرة، فلا ينتهي الفيلم إلا وقد «تجبست» الرقبة. وهذه السينما بالذات كراسيها متماثلة لا فرق بين بلكونة وترسو إلا في الموقع بالنسبة للشاشة، وبين

كل درجة والأخرى حاجز يؤكد الحدود بينها.

وتذاكرنا تحوّل لنا الجلوس في البلكونة، وتأتي في وسط الصالة تقريباً، وخلف الترسو مباشرة، وكان اسم الفيلم «رابحة»، وتمثله «كوكا» بطلة الفيلم، ومعها محمود المليجي ويحيى شاهين، وهو فيلم بدوي، تدور أحداثه في الصحراء، والمليجي كالمعتاد يمثل دور الشر، وهو في منظر من المناظر يتعارك مع «كوكا» الفتاة البدوية «رابحة» ليغتصبها، وفي منظر آخر يحيى شاهين على حصانه في طريقه لإنقاذها من المليجي، وكان ينهب الأرض نهباً، وكان منظراً مؤثراً، شد الناس، ومسكوا أنفاسهم، وكان صديقنا (م) متحمساً، يقف تارة ويجلس أخرى، وبأعلى صوته يحث يحيى شاهين على السرعة، ويتهدد المليجي ويتوعده بكلمات نابية،

فلفت الأنظار بمنظره هذا، وعدل الناس عن مشاهدة الفيلم، والتفتوا إلى صديقنا بمواقفه الجادة، وأصواته المعبرة، وإشاراته الهستيرية، واندماجه اندماجاً كاملاً مع المناظر، وكأنه يرى حادثاً حقيقياً لا تمثيلاً. وكان منظراً مؤنساً لنا لم نتوقعه، وقد أخذنا به، ولما انتهى الحادث في الفيلم بسلام، وأنقذ يحيى شاهين رابحة، ودحر المليجي، هدأت أعصابه، وجلس على كرسيه، ورفع قدميه على الحاجز الذي أمامه فاصلاً بين درجتين من درجات السينما الثلاث مسترخياً.

وأذكر أن الوقت تأخر فبرد الجو، وكان أن ظهر على الشاشة منظر لخيمة بدوي وأمامها نار موقدة، فصديقنا مدّ يده ليتدفأ، وأقسم لنا أنه أحس بالدفء لما مد يده إلى لهب النار على الشاشة، وليس هذا بعيداً

عن الحقيقة، فالعامل النفسي يلعب أحياناً دوراً كبيراً في مثل هذه الحال. وكان صديقنا في مرحلة من مراحل تطلعه إلى الشاشة يظنها بلُّورة كبيرة، وأن هؤلاء الناس يمثلون الحوادث خلفها، ولكنه يعود فيبعد الفكرة عن ذهنه عندما يرى الحصان يجري في صحراء بمد البصر، واختلطت عليه الأمور، فاستسلم للحيرة، وفضل هذا عن كد الذهن، وهو أحياناً يبدي غباءًا متصنعاً ليسر إخوانه، وهذا من حسن خُلقه، وحبه لمسرة الناس، وإدخال البهجة على نفوسهم، وقد يكون ما ذكره عن ظنه بأن الشاشة السينمائية بلُّورة كبيرة هي من هذا النوع.

وله قصص طريفة تكاد لا تحصى، وسيأتي بعض منها عندما تأتي مناسبة لها إن شاء الله.

مقر البعثة في الروضة :

بيت البعثة العربية السعودية عمارة من أربعة طوابق على أوسع شارع في حي الروضة، يمتد من دير النحاس إلى كوبري عباس، ورقم المبنى (١٦)، وكان كافياً للدفعتين الأوليين، ولكن عندما وصلنا نحن لم يجد بعضنا غرفاً فيه، أو على الأصح لم يقبله أحد ممن فيها، لأن الغرف لا تحتمل أكثر من طاقتها إلا إذا كان القادم الجديد أخاً لأحد القدامى من الطلاب، أو صديقاً حميماً، فاستأجرت الإدارة شقة في شارع بجانب المبنى الرئيس، واسم الشارع حافظ إبراهيم، وحافظ إبراهيم هذا رجل كان أول من بنى سكناً في هذا الشارع.

وشقتنا هذه لا تبعد عن دار البعثة أكثر من خمسين

متراً، وأحياناً نتحادث مع من فيها عبر الشارع، وقد كانت تسمى أحياناً «الشقة المحذوفة»، وأحياناً «شقة الحرب»، وكل اسم من هذين الاسمين له مدلوله، فمحذوفة جاءت من أنها خارج المقر الرئيس، وجاءت على «جنب» منه، وشقة حرب، لأنها أنشئت أثناء الحرب إنشاءًا رديئاً حتى أن سقفها بُني على «دوامر» من الخشب، وهو الدور الثالث، وتحت السطح مباشرة.

وفي السنة التي تلت السنة التي وصلنا فيها إلى القاهرة جاءت دفعة جديدة فاستؤجر لها في الشارع نفسه شقة ضمتهم، وصارت شقتنا بينهم وبين المبنى الرئيس، ولقربهم صرنا كذلك نتحادث معهم من النوافذ عبر الشارع، وهو شيء منتقد ولكننا في ذلك الوقت لم نكن نهتم بمثل ذلك.

وفي السنة الثالثة زاد عدد الطلاب، فاستأجرت إدارة البعثة شقة ثالثة في شارع خلف شارع حافظ إبراهيم، ثم رابعة في شارع الإخشيد، ثم تبين أنه لابد من مبنى أوسع من بيت البعثة ويضم الطلاب الذين في الشقق المبعثرة، وسنرى أن هذا الحل صار مؤقتاً، لاضطراد ازدياد طلاب البعثات، فكانت كل سنة تأتي تبرز معها مشكلة إيجاد سكن للقادمين الجدد، وهم كثير بالنسبة للسنوات الماضية، ومادام القبول في المملكة يزداد في المراحل المختلفة، فالبعثات لابد أن تزداد، وسيؤدي هذا في النهاية إلى إنشاء جامعة في المملكة.

وكان علينا أن نمشي في الشارع بملابس البيت (الثوب و «الشبشب») لنذهب للفطور والغداء

والعشاء في المبنى الرئيس، وهو أمر مزعج من ناحية الطقس، خاصة وقت حدة الشتاء، ولا يخفف عنا أحياناً إلا سماع صوت أم كلثوم في إحدى «البلكونات» في البيوت التي نمر بجانبها، وهي تغني «يا صباح الخير» من فيلم «فاطمة»، الذي لقى رواجاً منقطع النظير لإطراب أغانيه، وجمال تلحينها، ولكثرة الممثلين المهمين في هذا الفيلم، والأغنية الثانية «الورد جميل».

وكان هناك مظهر غير حضاري يقدم عليه بعض الطلاب وهو مناداة زملاء لهم في البيت الآخر وهم وقوف في البلكونات، مما يلفت النظر، ويجلب الإنتقاد.

مقر البعثة في المنيل :

بحثت إدارة البعثة عن مبنى يضم طلاب البعثة، فعثرت على مبنى حديث في بداية شارع المنيل الذي يصب في شارع الروضة، وبهذا يكون قريباً من الحي الذي ألفه الطلاب لطول المدة التي مكثوها فيه، وعرفوا مرافقه وبالذات المواصلات، والمباني في شارع المنيل حديثة وقليلة، لأنه كان منطقة حقول بدأت تتقلص مع زحف العمران إليها، وقد ساعد على ازدهار العمران في هذا الشارع وغيره انتهاء الحرب العالمية الثانية، وعودة الرخاء والازدهار إلى مصر وغيرها، وكان أبرز مظاهر الإزدهار هو العمران، ثم تلاه غيره.

وسرعان ما بنيت جوانب الشارع الواسع، وصار فيه

محطتان للحافلات، إحداهما باسم محطة الغمراوي، والأخرى باسم محطة المنيل، هذه في أول الشارع والأخرى في آخره، وصار الشارع معبراً مهما للحي إلى شاطئ النيل المؤدي إلى جسر عباس، وهو الجانب الأيمن من جانب شارع الروضة، وأخذ ينافس الجانب الآخر الأيسر، وكان عامراً من قبل، وعلى شارعه بيوت مهمة، ومن بينها مستشفى «الكاتب» سرعان ما أضحى صغيراً بالنسبة لطموح صاحبه الذي نقله إلى الدقّي.

ومما حرك شارع المنيل إنشاء دار للسينما أمام بيت البعثة، ولعلها من أسباب نقل الطلاب إلى بيت جديد، لأن الدار أصبحت ملهى بين يدي الطلاب.

عُمِّر شارع المنيل بالبيوت، وكثر السكان هناك،

مما استوجب إنشاء خطي حافلتين، واحدة تذهب في اتجاه والأخرى عكسها، احداهما أخذت الرقم (٦) والأخرى (٧)، ورقم (٧) الآتي من ميدان قصر النيل يقف في محطته تحت دار البعثة، وبالتحديد تحت غرفة الإخوان معالي الأستاذ عبدالرحمن السليمان ابن الشيخ، ومعالي الأستاذ ناصر المنقور، وكان معهما لمدة سنة الأستاذ محمد بن عبدالعزيز العنقري رحمه الله، ورغم أنه يستعد لخارج البعثة، لأنه من القدامى المسموح لهم بالخروج من البعثة، والسكن خارجها حسب اختيارهم، إلا أنه حجز مكاناً له مع الأخوين المذكورين حتى لا يُفرض عليهما ثالث، وهذا مؤقت حتى يُوزع الطلاب على الغرف وتستقر الأوضاع.

بيت الدّقّي :

ثم بعد سنة ازداد العدد، وفي كل سنة يتضاعف، ثم صار يتضاعف عدداً من المرات، مما اضطر إدارة البعثات إلى البحث عن مبنى جديد، وكان الأستاذ الكبير حمزة شحاته قد بنى مع أخيه بيتاً في الدقي في شارع عبدالمنعم، وكان البيت واسعاً، ومناسباً لطلاب البعثة، خاصة وأن من هم في السنوات النهائية قد أعطوا الخيار في البقاء في دار البعثة أو أخذ مبلغ مجز يساعدهم على العيش بعزة وكرامة خارجها. وقد كانت هذه فرصة ذهبية للكثير ممن وجدوا فيها الحرية الكاملة في التصرف في وقتهم، واختيار أكلهم، والأماكن في الأحياء التي في وسط المدينة مثل شارع شريف، وقد خرج الأخ محمد العنقري وسكن في منيرفا هاوس، في

عمارة متميزة في وسط المدينة، وأحضر خادماً طباخاً، وكثيراً ما كنت أذهب إليه، وأتناول طعام الغداء عنده، ثم نذهب إلى السينما معاً، وما أكثر السينمات في ذلك الحي، والأفلام فيها عادة تُعرض لأول مرة، وبعضها لا يعرض إلا أفلاماً إنجليزية، ولكن عليها ترجمتها باللغة العربية، وهاتان السينماتان هما «مترو» و «ميامي»، أما «ستوديو مصر» فكانت تعرض الأفلام المصرية، وتعد الدار الأولى في القاهرة، وتذاكرها غير رخيصة، ولا يأتي إليها إلا القادرون، وليس فيها درجة «ترسو»، التي كانت عادة تدبّ فيها الفوضى عند أول مظهر عاطفي مؤثر، والصراخ المتعالي يقضي على متعة المتفرجين والنظارة.

كان بيت الدقي هو آخر بيت استأجرته البعثة

حسب علمي، لأني تركته إلى لندن عندما تخرجت من كلية دار العلوم عام ١٩٥١م، وكان زملائي عندما سافرت لايزالون فيه، ورغم أني من طلاب السنوات الدراسية النهائية إلا أني لم أختر الخروج من دار البعثة، لأن مجتمعها عزيز عليَّ، وغالٍ عندي، ولا أبيعه بالسكن في شقة لوحدي. لم أتصور أنني سوف أكون سعيداً أن أفطر وحدي أو أتغدى دون رفيق بل رفقاء، أو أتعشى دون أن يكون بجانبي زميل، وأمامي آخر، أنظر إليهم وينظرون إليَّ ونتبادل الإشارات الصامتة لمشروع مؤذ لأحد الطلاب، أو تنبيه لغافل تحاك له مكيدة مزح.

سوف، إذا خرجت، أفقد الاستماع لمحطات إذاعة الإشاعات التي يشدّ قوامها الطلاب من بعضهم

لبعض، إشاعة ممتعة في مؤداها، وفي التخطيط لها، وفي التفكير فيها، وفي خطوات التنفيذ، مادتها إما مأخوذة من إحدى الكليات، أو منسوجة على صفحة أحد المحلات التجارية، ومنها أن فلاناً اشترى من السيدة زينب ربطة عنق «كرافتّة» بستة قروش «صاغ»، وذهب إلى «شيكوريل» أو «شملا»، وهما أرقى محلين تجاريين في شارع فؤاد، أغلى شارع في القاهرة، بما فيه من محلات تجارية راقية، ثم أخذ هذا الطالب القطع الصغيرة التي عليها اسم «شيكوريل» أو «شملا» وسعر ربطة عنق بمبلغ مئة وخمسين قرشاً، قطعها البائع ورماها على الأرض، فجاء صاحبنا وثبتها على ربطة عنقه ذات الستة قروش. وقد تكون القصة حقيقية وقد تكون مختلقة، وكثيراً ما يختلط الحابل بالنابل في أمور الإشاعات في البعثة.

وهذه المقالب تجعل مجتمع البعثة حيًّا، ممتعاً، يفقده الطالب إذا ذهب في إجازة لرأس البر أو للإسكندرية في الصيف أو ذهب إلى المملكة لزيارة أهله، فيعود إلى دار البعثة وقد أمضّه الشوق، وبعضهم ينطبق عليه المثل: «القط يحب خنَّاقه».

كيف أترك دار البعثة وأذهب إلى شقة أشعر وكأني في حبس «حشْمة» حبس محترم، جليس أربعة جدران بنوافذها، وسميري «راديو» مذياع يعطيني ما يريد لا ما أريد، ومهما قيل عن الميزات التي أقنعت غيري بالخروج، إلا أني لم أجد فيها ما يرجح على دار البعثة.

المقالب:

لا أدري كيف دبّ هذا المصطلح إلى اللغة العربية، ومؤداه عمل لا يتصل بمعنى الكلمة، فليس هنا قلب في إنشاء المقلب، وإن كان في مرحلة من مراحله ينقلب المقلب على منشئه، مثل ما ينقلب السحر على الساحر، والأقرب على القبول أن يسمى «تحايلاً» أو «خداعاً» أو «ختلاً» أو «مزحاً».

والمقالب في مجتمع البعثة مزدهرة، ولا يكاد يمر يوم واحد دون أن «يُلعب» على أحد، و «يشرب» المقلب، وكانت المقالب جزءًا من النشاط المصطفق في هذا المجتمع، وبدونها يفقد هذا المجتمع مظهراً من مظاهر المتعة والبهجة، وأكاد أجزم أنه لم يمر على البعثة طالب لم يتعرض لمقلب من المقالب صغيراً

كان ذلك المقلب أو كبيراً، وبعض الطلاب شرب كأس هذا النشاط عدة مرات، وهو وإن كان أحياناً مزعجاً، ويثير الغضب والتقاطع إلا أنه سرعان ما يصبح ذكرى جميلة باسمة.

والمتعة في المقالب ثابتة بحق، سواء كانت للمخطط أو للمنفذ أو لمن وقعت عليه صخرتها، وأكل ثريدها هنيئاً مريئاً، لقد كانت المقالب بين طلاب البعثة فناً راقياً له تخطيط مسبق، وتنفيذ متقن، وتصل لذة المقلب قمتها حين ينجح المقلب كما خطط له، وتنتفي كلية إذا أخفق المقلب، ومن جوانب توقع نجاح المقلب تفصيله بإتقان على من وُجّه له، فإن كان من الذين يُختلون بسهولة قل الجهد في التخطيط، وفي التدقيق في تفصيل خطوات التنفيذ، وما يلزم لها من تعمية وتضليل،

ورصد وصيد، وإن كان من النابهين اليقظين، ومن عتاة صانعي المقالب، المتمرسين بأنواعها، العارفين بأنفس الناس وطبائعهم، زاد الاهتمام في إتقان نصب المصيدة، وإحكام شبكها، مع تبصر في كل خطوة، وأخذ الاحتياطات المتناهية في الحذر، والسير في طريقها، وكأن السائر يخطو على شوك.

وفي فن المقالب يجب الحذر كل الحذر من أن يبقى الأسلوب في كل عملية واحداً، أو الخطة العامة متماثلة، بل يجب التغيير دائماً، والسير في مناحي جديدة متعددة، وفي كل منحى ابتكار، سواء كان ذلك في صلب المقلب، أو في هوامشه وحواشيه، والهوامش والحواشي تمثل بعض خطوات التنفيذ، ومن قرأ كتاب معالي الأخ الدكتور حسن نصيف «مذكرات طالب»

تبين له ما قصدته، لقد كان معاليه، وهو الخبير، ينوع في المقالب إلى الحد الذي جعل بعض ضحاياه يقعون في مقالبه حتى شبعوا، وأرجو أن لا يُهتدى بما قلته فيؤخذ درساً نظرياً يتبعه تطبيق.

مقالب أكلها الطالب «فلان»:

من المقالب التي شهدتها الشقة المحذوفة ما هو صغير ومحدود، ومنها ما هو غير ذلك، عميق. ومن المقالب الصغيرة ما وقع لأحد الزملاء (فلان)، وكان أمام الغرفة التي يسكن فيها رجل وزوجته، وفي عصر كل يوم يجلسان في الشرفة، ولأن (فلاناً) لا يجرؤ أن يقف في النافذة وينظر إليهما، فانتهى تفكيره إلى فتح النافذة، والوقوف جانباً بحيث لا يُرى، ويجعل «الدرفة» التي فيها الزجاج مواجهة

بانحراف نحو الشرفة حيث يجلس الزوجان، ومن موقعه الجانبي المختبئ يستطيع أن يراهما في انعكاس الزجاج. وقد لاحظ اللذان يسكنان معه أنه لم يدر أنه مثلما يرى الزوجين في الانعكاس على الزجاج هما يريانه كذلك. وبقي مدة على هذه الحال يأكل المقلب الذي اختاره لنفسه. فلما طالت المدة شرح له زميلاه الموقف، وأنه طوال هذه المدة التي يرى فيها الزوجين هما يريانه، وقد صعق عندما أدرك هذا، وخجل خجلاً لا حدود له، وصار لا يخرج من البيت مادام الزوجان في البلكونة، وهذا حرمه من الخروج عصراً للذهاب للسينما في داخل البلد.

وله قصة أخرى كان في غرفة (فلان) نافذة في زاوية من الغرفة، وتطل على شرفة في الطابق الثاني،

وغرفته في الطابق الثالث، وتجلس أسرة في الشرفة كل يوم عصراً، والطالب (فلان) يفتح فتحة صغيرة بين التقاء «الدرفتين»، بحيث لا يراه أحد، خاصة وأن من تحت ليس هناك ما يدعوه أن يرفع رأسه. وفي يوم من الأيام جاء أحد زميليه في الغرفة يمشي على أصابع قدميه، ودفع درفتي النافذة بقوة، فرفع من في الشرفة من النساء رؤوسهن، ورأين (فلان) يطل بتمعن عليهن، وكان موقفاً حرجاً آخر، لم يشف منه صاحبنا إلا بعد مدة.

وكان أحد زميليه، وهو الطالب (ع) لا يذهب عادة لاستلام مكافأته الشهرية إلا بعد أن يستلم الطلاب كلهم مكافآتهم، لأنه يشعر بنوع من الخجل أن يستلم مالاً دون أن يكون جاء مقابل عمل، لأنه لم

يسبق أن استلم مبالغ بهذه الطريقة، وحدث في هذا العام أن وُكل أمر صرف المكافأة لمعالي الأخ الدكتور حسن نصيف، ولعل السبب في هذا أن أمين الصندوق قد ذهب في إجازة لقرب العيد، فاستُنجد بالدكتور حسن، ولما لم يبق في كشف الطلاب غير (ع) كتب له ورقة بقلم رصاص ينبههُ إلى ذلك، ويحثه على المجيء لأخذ المكافأة لأنه غداً سوف يسافر إلى الإسكندرية، وإن لم يحضر (ع) فسيضطر لتأخير استلامها إلى ما بعد العيد.

فذهب إلى المبنى الرئيس للبعثة، واستلم مكافأته، وفي الليلة الثانية، بعد أن تأكد من أن الدكتور حسن قد سافر فعلاً إلى الإسكندرية عدّل في الورقة بعد أن محا منها بعض الكلمات، ووضع غيرها، ومما محا

اسمه ووضع بدلاً منه اسم (فلان)، وأعطى الورقة لعم غنيم، حارس الشقة المحذوفة، وطلب منه أن يسلمها للطالب (فلان) بعد صلاة العشاء، وأن يخبره أن شخصاً أحضرها و (فلان) في الصلاة ولم يرد أن ينتظر.

فلما تسلم (فلان) الورقة خشى أن يكون في الأمر شيئاً، فسكت، ولم يبين أنه استلم شيئاً مهماً، ولكن سكوته لم يطل، وقد دفعه تفكيره إلى مناسبة أن يسأل، فسأل زميله (هـ) على مسمع من (ع)، عما إذا كان (هـ) قد استلم مكافأة هذا الشهر، فقال (هـ): نعم، لقد استلمتها، واستلمت أيضاً مكافأة العيد، وهي إكرامية جديدة، ألم تستلمها أنت؟ فقال (فلان) لا، لم استلمها، فذهب (فلان) إلى المبنى الرئيس

ليأخذ الإكرامية من الدكتور حسن، وكانت الليلة عاصفة، والريح شديدة، ولم يجد الدكتور حسن، ووجد شخصاً آخر فهم منه أنه لم يسمع بشيء اسمه مكافأة عيد.

عرف (فلان) أنه قد شرب المقلب، ولم يعد إلى الشقة المحذوفة حتى لا ينتصر عليه زميلاه، وقرر أن يذهب إلى غرفة الأخ محمد العنقري، وأن يرقب غرفة زميليه حتى يناما، وبعد أن رأى نور غرفتهما قد اطفئ صبر بعض الوقت، ثم جاء، ووجد عند دخوله من باب الشقة أن نورها قد أضيء فجأة وأن الطلاب كلهم كانوا مجتمعين بانتظاره، وبصوت واحد قالوا له: «نعيماً». لو كان الدكتور حسن موجوداً تلك الليلة وعلم بالمقلب الذي «أكله» (فلان) لفرح أن له

تلاميذ شادين في حقل المقالب، وأنه لا خطر عليها من الاختفاء، أو الزوال!.

هذا المقلب في الحقيقة ما هو إلا رد من (ع) للطالب (فلان) لعملٍ عده (ع) مؤذياً.

كان (ع) و (فلان) جالسين في شرفة غرفتهما، وكان أمامهما في الشارع «وابور زلط»، يقوم من عليه بصيانة إسفلت الشارع، وكان يخرج من مدخنته نتيجة حرق الزفت دخان كثيف متتابع، ثم يضمحل في الهواء، ويصبح تلوثاً غير منظور، وكان الاثنان ينظران إلى هذا النفث المتواصل، وبعد تفكير عميق سأل (فلان) زميله (ع):

لو جمعنا هذا الدخان المتصاعد بهذه الكثافة فما يكون ما نجمعه؟

فأجابه (ع) يكون دخاناً.

فضحك (فلان) ضحكاً عالياً متتالياً، وأخذ يصفق بيديه، تبكيتاً لهذا الجواب، وقام من مكانه، وأخذ يدور على الغرف يخبر من فيها بالسؤال العظيم والجواب العقيم، ويوهم وهو يتحدث أن الأمر مهم، وبقي أياماً يروي ما حدث، روى ذلك في المطعم، ورواه في الكلية، وكان كأنه حدث ذلك الزمان.

لهذا عندما «أكَّل (ع) الطالب (فلاناً) مقلب إكرامية العيد صار كل ما ذكر (فلان) دخان «وابور الزلط» قال له:

رحم الله مكافأة العيد، أو سبحان الذي قلب دخان وابور الزلط إلى ريح عاتية، إشارة إلى العواصف في ليلة المقلب، فيقضي بهذا على مشروع البدء بقص

قصة وابور الزلط، وصار وابور الزلط مبعث ذكرى للاثنين كلما رأيا وابور زلط يعمل، مما يجعلهما يضعان يديهما على عينيهما حتى لا يريانه حتى لا يثار الغبار من جديد.

والزميل (فلان) يحب الجمال، وهو في سن يتركز هذا الحب على «الجنس اللطيف»، ولأنه لا يستطيع أن يصل حبله بواحدة منهن، فإنه يكتفي بالنظر من بعيد، ويعوض النقص بالكمال، فيذهب إلى قرب إحدى مدارس البنات ويقف بعيداً يمتع نظره بحسن خلق الله، وقد نظم وقته كل يوم وقت خروج المدارس بعد الظهر.

كان الطريق الذي يسلكه هو «كوبري عباس»، وكان يستعد لهذه الرحلة بالاعتناء بهندامه، وكان

شعره كثيفاً خشناً، فيدهنه «بالفازلين»، ويلبس عليه «الطاقية» «الكوفية»، ويبقيها مدة حتى يتأكد أنها لبدت الشعر، ويضمن أن شعرات رأسه لا تقف كأنها أشواك قنفذ. وكان مثل كل طالب يلبس «الشبشب» في البيت، ولا يلبس «الجزمة» إلا لحظة الخروج، وكان الوقت مبكراً، فأخذ يقرأ قصة جذابة، فأخذه الوقت وهو غافل، ولم يتنبه إلا في نهاية الوقت، فرمى الكتاب من يده، وأسرع إلى الخروج، وعبر شارع الروضة، ووصل كوبري عباس، و «الطاقية» على رأسه، و «الشبشب» في قدميه، وقابله الأخ الأستاذ صالح الشلفان عائداً من الجامعة، وأخذته نوبة من الضحك عندما رأى (فلان) بهذه الحالة، ولم يعرف (فلان) السبب في ضحك صالح الشلفان حتى نبهه، وبحركة آلية اختطف «الطاقية»، ووضعها في جيبه، ولكن بقي

الشبشب، إذ لم يكن له به حيلة، وعاد مع صالح مسرعاً إلى دار البعثة، وضاع يوم من أيام البهجة عنده، يوم «تكحيل» العيون كما كان يقول الطلبة.

جاءت هذه القصة لدار البعثة هدية في ذلك اليوم، وأصبحت تتناقل، ويزاد فيها وينقص، ولم يبق إلا أن يقال إنه خرج بدون ملابس، إذ أسقطت رواية «الكوت» و «الجاكتة»، والثانية «البنطلون» السروال، وأخذت الملابس تتهاوى تباعاً، و (فلان) في وسط الإشاعة كأنه تمثال يُفعل به ما يشاء.

وزميلنا (فلان) له طبيعة خاصة، لا يمكن أن يُتنبأ برأيه تجاه أي شيء، لأنه يفاجئ من حوله بما لا يتوقع قولاً أو عملاً، وهو يشك أحياناً مما لا يشك فيه؛ ويثق بما هو مكان للشك.

وهذا النهج يجعله في موقف غريب مع زملائه، وصاروا يتعاملون معه بأسلوب يتناسب مع طبيعته؛ فمثلاً إذا لم يذهب مع زملائه في يوم من الأيام إلى الكلية لسبب عارض، وجاء زملاؤه وأخبروه أن الطلاب سوف يضربون غداً، فيظهر أنه صدقهم، ولكنه في داخل نفسه معتقد أنه مقلب، ثم يذهب في اليوم التالي خفية إلى الكلية متظاهراً بأنه ذاهب إلى السينما، وأحياناً يعودون في يوم أضرب طلاب الكلية فيه، ويخبرونه أن قيادة الطلاب قررت الاكتفاء بهذا اليوم وأن في غد دراسة، فيشك فيما قالوه، ويعتقد أنه مقلب، ويراهم يخرجون صباحاً ومعهم كتبهم ودفاترهم، ويعتقد أن هذا تعمية، وزيادة في إتقان المقلب، وأنهم يستطيعون أن يودعوا كتبهم عند الحارس ويذهبون إلى السينما، فيبقى في البيت، فإذا

اكتشف أن ما قالوه كان صدقاً، لامهم لأن كثرة كذبهم عليه صار يتخيل الحبل حيّة، وضاع معهم في سياسته تجاههم، وسياستهم تجاهه، وهم في متعة تامة من هذه المراوغة التي تأخذ كل مرة شكلاً.

ذهبت معه مرة إلى سينما مصر، وهي أرقى سينما عربية في تلك الأيام في القاهرة، وأول ما يعرض الفيلم الجيد العربي يعرض فيها، ثم بعد شهر أو أكثر يبدأ بعرضه في دور السينما في الأحياء، ثم في الأرياف.

كان هناك توتر في تلك الأيام بين الملك والأحزاب، وقد نشطت المباحث كما كنا نسمع، تتلمس الأخبار والنوايا، لأن الأمر بدأ يدخل مرحلة الخطر، وكان من عادة السينما أن تعرض فيلماً قصيراً خفيفاً عند بدء العرض، وغالباً ما يكون فيلم «كرتون» أو فيلماً

«كوميدياً» مضحكاً، ثم «الجريدة» أو ما يسمونه: «جريدة مصر»، وفيها الأخبار المصورة، ثم تأتي الاستراحة، وبعدها يبدأ عرض الفيلم الرئيس.

وقد عرض فيلم مضحك فيه اسماعيل ياسين ملك الكوميديا حينئذ، وخلفه عجوز شمطاء تحاول أن تغريه، وهو يبتعد عنها، فتقترب منه، ثم نهض وتركها وتبعته، وجرى فجرت خلفه، فوصل إلى بركة سباحة، وصعد على لوح القفز، ورمى نفسه في البركة، وهي خلفه، ثم فجأة قُلب الفيلم، فصار اسماعيل ياسين يجري خلفها بظهره، وهي تهرب منه باتجاه ظهرها إلى أن استقرا في المقعد الذي كانا يقعدان عليه عند بدء الفيلم،وكانت المناظر مضحكة، وتسمع ضحك الجمهور يصك الآذان،

وزميلنا (فلان) لم يحركه كل هذا، لأنه كالمعتاد بطيء في رد فعله، إلى الحد الذي عندما يرد تنسى موجب الرد.

وبعد هذ الفيلم القصير المضحك، عرضت «الجريدة»، وكان أول خبر فيها صورة الملك فاروق بجسمه الوافي يخرج من طائرة أقلته من الإسكندرية إلى القاهرة، وقد ملأ جسمه باب الطائرة، فانفجر (فلان) ضاحكاً، وقهقه قهقهة مجلجلة لفتت أنظار الناس، وأُحرِجْتُ فقررت أن أتظاهر أني لست معه، ولا أعرفه، خوفاً من أن يكون من حولنا من البوليس السري، وبعد انتهاء العرض كلية، ذهب كل منا في حال سبيله، ولما وصلنا البعثة سألته عن أسباب تلك الضحكة، فقال إنه تذكر إسماعيل يس وتلك

العجوز، وأنه لم يستوعب الصورة إلا حينئذ.

وزميلنا (فلان) معجب بصباح الممثلة والمغنية المعروفة، وكان نجمها قد سطع في سماء الفن، فكان يحرص على دخول أفلامها عند أول عرضها، ويتتبع حركة الفيلم من سينما إلى أخرى، وذكر أنه دخل فيلمها «هذا جناه أبي» خمسة عشر مرة، وكانت أمنيته الكبرى أن يراها بعينه، فأخبر أنها تتغدى مع والديها في مطعم الشيمي بجوار «جراند هوتيل» في شارع فؤاد، فصار يذهب إلى هناك، ويدفع ثمن الوجبة الغالي طائعاً مختاراً، و «من الحب ما قتل».

وكان هناك طالب في البعثة صغير السن لا يزيد عمره عن اثنتي عشرة سنة (ع.ع.ع)، وله صديق (ح.ل) يسكن في العمارة التي تسكن فيها صباح، و

(ع.ع) جرئ جداً، فتعرف عليها في إحدى المرات التي زار فيها صديقه، وعرض (ع.ع.ع) على (فلان) أن يريه إياها، وأن يقدمه لها، ولا ندري أتم هذا أم لم يتم، لأنه من المؤكد أنه لن يخبر أحداً بذلك إذا كان قد تم اللقاء.

وانتهزتُ مرة فرصة وجود فيلم للفنانة صباح في إحدى دور السينما «البلدي» في حي شعبي، فابتعت تذكرة «ترسو»، وهي الدرجة الثالثة، أدنى درجة في صالة العرض، وادّعيت أنها «بلكونة»، لأن أمثالنا لا يدخلون السينما إلا في درجة الصالة أو «البلكونة»، ولا نتطلع إلى «اللوج»، لأن مثل هذا التطلع «يخلع جيبنا» مع رقبتنا لعلوه وبعده عن مقدرتنا المالية.

فذهب الزميل العزيز (فلان)، واكتشف «اللعبة»

ولم يكن هناك إمكان لتغيير الدرجة، ولا ترك الفيلم، ولابد من «شرب» المقلب، والتمتع بفيلم «صباح»، وفداؤها الراحة والمظهر!. وعندما جاء ليعاتبني على ما فعلته ادّعيت أن «قاطع» التذاكر قد خدعني، ولم يصدق (فلان) كلامي، وتأكد أنه مقلب، ولكن مادامت التذكرة جاءته مجاناً، «فبيع البلاش ربحه بيِّن»، ومنها إلى غيرها مما يُرجى أن يمحوها من أحد الطرفين على أحد الطرفين، وليس مهما ممن يأتي المقلب، وعلى من يقع، المهم أن يقع.

***

سوف أوقف قليلاً أخبار المقالب ليرتاح القارئ، وأتأكد أنه لم يمل هذا اللون من الأحداث، وسأعود إليها فيما بعد، سواء في هذا الجزء أو الذي يليه؛ لأن

المقالب كما قلت في البعثة ومجتمعها لا يُستغنى عنها إلا إذا كان يُستغنى عن الأكل والشرب. ولعل في الإقدام عليها، والحرص على تنظيمها نوعاً من التنفيس عما في طبيعة الصغار والشباب من حب الأذى، ورؤية المعاناة، وهذه لابد لها من مخرج، والحظيظ من يتنفس بهذه الأمور شبه المشروعة في المجتمع، على شرط أن لا يأتي منها أذى جسمياً بالغاً، أو نفسياً مزعجاً، وخير المقالب ما يأتي عرضاً، ويعرض نفسه بطريقة لا يستطيع محب المقالب أن يقاومها..

معلومات من
مفكرة عام
١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م

من مفكرة عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م :

مفكرات الجيب هذه كنت أدون فيها الحوادث التي أجد أنها تستحق التسجيل، لتكون لي علامات على الطريق في المستقبل إذا احتجت إلى الرجوع إليها لسبب أو آخر، ولكن للأسف، حتى الآن، ليس بحوزتي إلا جزء من مفكرة هذا العام، ولم أكملها لأني وجدت أحسن منها، وأوسع مساحة للتدوين، فاعتمدتها بدلاً من الأولى.

إلا أن ما عدا هذه الأولى قد فُقد في نقل كتبي وأوراقي من مصر إلى المملكة، عندما تخرج أخي الدكتور حمد، واضطر أن يبعثها، وقد ضاع منها كثير في الجمرك، وفي الرقابة.

الثلاثاء ٢٧ محرم ١٣٦٥هـ/ ١ يناير ١٩٤٦م:

النص المختصر في المفكرة:

«بسم الله الرحمن الرحيم، في ليلة هذا اليوم استلمت النظارات من الشركة، وفي اليوم نفسه استلمت بعض الكتب من مكتبة النهضة».

***

هذا هو النص المختصر المكتوب في المفكرة، وهو يبين نشاطي خارج دار البعثة، سواء كان ذلك في النهار أو في المساء.

وأمر النظارات هذا يستحق التعليق، فأمور الصحة بعد أن وصلنا إلى القاهرة بدأت تأخذ حيزاً في تفكيرنا، ومنها استعمال فرشة الأسنان بانتظام، وبالطريقة الصحية، ومن التحى بدأ يحلق ذقنه بانتظام،

ومن لديه قصر نظر، خاصة للبعيد، حرص على أن يحافظ على نظره، فيكشف على عينيه، وقد يكتشف أنه بحاجة إلى نظارة للبعد، يسهل بها نظره إلى السبورة، وتساعده في السينما على رؤية الشاشة بوضوح، هذا زيادة عن نصح الطبيب بإدامة استعمالها محافظة على النظر، ثم يأتي مجهود اختيار «برواز» النظارة، وملاءمته للوجه، وثقله على الأنف أو خفته، واختيار اللون المناسب للوجه الأبيض والوجه القمحي. وقد يتبين أنه يحتاج إلى نظارة للقريب تساعده على القراءة والمذاكرة الطويلة. ثم يأتي الخيار: هل تكون الاثنتان في «برواز» واحد أو كل واحدة منفصلة عن الأخرى؟ ويكون في ذلك حيرة، خاصة وإن إتقان جعلهما معاً في «برواز» واحد جديد على الصنعة، ولم يتقن بعد، ولابس النظارة المزدوجة يجد صعوبة في

التعود عليها، وقد تتسبب بوقوعه عند نزول درج.

عندما لبست النظارة لأول مرة تبين أنها غير متقنة القياس، وشعرت عند لبسها أن الأرض قد بعدت، وأن الأشخاص أنحف من المعتاد وأطول بكثير من أحجامهم المعتادة. فاضطررت إلى تركها مدة غير قصيرة، ثم أخذت أخرى ومع إتقانها نوعاً ما فلم أكن استعملها كثيراً، ويكاد يكون استعمالي لها فقط للنظر إلى السبورة، أو للنظر إلى شاشة السينما، أو إلى من على خشبة المسرح.

وبقي أمر النظارات معي إلى اليوم، ويكاد يكون مع كل أحد، وأمر العيون والنظر مثله، وفي سننا الآن تأتي مشكلة الماء الأبيض، وإزالته بسهولة في ضوء العلم الحديث، وتقدم الطب، ودخول استعمال

الليزر لمشاكل النظر.

أما مكتبة النهضة التي وردت الإشارة إليها في النص فتكاد تكون أهم مكتبة في القاهرة وأرقاها، وقد اختارتها إدارة البعثة لتحيل إليها الطلاب لأخذ كتبهم الدراسية، وهي (إدارة البعثة) تقابل المكتبة بما تحقق على كل طالب في حدود خمسة عشر جنيهاً في السنة، وهو المبلغ الذي خصصته إدارة البعثة لكل طالب، ورأت الإدارة أن تسلك هذا المسلك فلا تعطي الطالب المبلغ بيده خوفاً من أن يقدم بعض الطلاب في صرفه في أمور كمالية، فيضيع الهدف السامي الذي خصص من أجله، وأشهد أنها محقة في هذا، ولو أعطت الطلاب مخصص الكتب في يدهم لأنفقت في حضور التمثيليات في المسارح والأفلام في السينما، تقريباً!.

ومع هذا الاختيار ذي النية الصافية، والسعي للأفضل، فقد كان بعض الطلاب يحتال، وبمفاهمة مغرية مع بعض من يعمل في المكتبة، أو استنهاض عطف، يحصل على بعض المبلغ مع «فاتورة» سند مصطنع، ولكن هناك طلاب حريصون على أن يجعلوا الأمر يمشي في طريقه، حامدين الله على هذه النعمة، التي لو عرفها طلاب البلدان الأخرى لغبطوهم عليها.

ومن أبرز الطلاب الذين يحرصون على شراء الكتب سواء من مكتبة النهضة على حساب البعثة، أو من المكتبات الأخرى، وما أكثرها، الأستاذ أحمد بن علي المبارك، الذي كان، على ما أعتقد، عنده من الكتب ما ليس عند أحد من طلاب البعثة، وكان قارئاً متميزاً.

وكان بعض الطلاب يتذمرون من وقف تأمين

الكتب على مكتبة واحدة، ويلحون على أن يختار الطالب المكتبة التي تروق له، ويكون ما تحتويه أقرب إلى تخصصه، وبدؤا بالضغط على نواح مختلفة، وأكثر ما أزعج الإدارة نغمة بدأ بعض الطلاب يروجها بصوت خافت، وهي إن إدارة البعثة لها مصلحة مادية من ذلك، ومثل هذه التهمة تُرعب، فغيرت الإدارة النظام، وطلبت من كل طالب أن يذهب إلى أي مكتبة يختارها، على أن يحضر قائمة مصدقة من المكتبة عن الكتب التي ابتاعها وأسعارها.

بهذا جاء الفرج للطلاب المتذمرين، وصار بعضهم يقيم صداقة مع بعض المكتبات، ويكون له دالة على صاحب المكتبة، فيعطيه «وصلاً» بكتب لم يشترها، أو اشترى غيرها مما لا صلة له بتخصصه، فقد يكون في

كلية علمية، ويبتاع كتباً أدبية، ويوضع في «الوصل» كتب علمية، ومع هذا فلم يقتنع بعض الطلاب بهذا، فطبعوا «أبواكاً» بأسماء مكتبات وهمية، أعطوها إسماً اختاروه، وصنعوا أختاماً للمكتبة الوهمية هذه، وصاروا «يُشرّهون» بعض زملائهم، ويكرمونهم بالاستفادة من هذه «الأبواك»، وعمل «أبواك» من هذا النوع أمر سهل، وله مطابع ميسرة صغيرة، تقوم لبعض الأشخاص بطبع «أبواك» دفاتر باسمهم، وكذلك الأختام من السهل تصنيعها.

ثم جاء اليوم الذي يعطى فيه الطالب المبلغ من أول السنة يصرفه كيف شاء، ويؤمل أن يكون فيما ينفع دراسته وتخصصه، ويساعده على التبحر في العلم الذي اختار التخصص فيه. وكان هذا بحق إنهاءً لفترة

ملأها التوتر والتذمر والتهم والعناء والحيل، وتأنيب الضمير أحياناً، وخوف الوقوع فيما يوجب العقاب من تزوير وتدليس أحياناً أخرى.

وكانت الإدارة تظن، أملاً في أول الأمر، أنها تستطيع أن توجه الطلاب إلى طريق تنفعهم، وتسيرهم في جادة تكون مثالية في الغرض الذي هم بصدده، ولكن هذا الاتجاه اعتمد على نظرية ثبت علمياً أنها غير ناجحة النجاح الذي أملوه، وأنتجت في بعض جوانبها محاذير أبطلت الجوانب المضيئة في الأمر، ورأت، وهي المشغولة بأعباء الإدارة، أنها مغلوبة حتماً من طلاب متفرغين لهذه الحيل، لأن فيها لذة ومتعة، وفيها مكاسب واضحة، وكل هذا يغري بتنويع هذه الحيل، ومع التجارب، ومرور

الوقت زاد الإتقان، مثل مزاولة أي حرفة. وكان من بين هذه الحيل ما يقال تقويةً للحجة بطلب عدم تقييد الطلاب بالشراء من مكتبة واحدة، أن الإدارة تتساهل مع بعض الطلاب، وأن في هذا تفرقة بين الطلاب مرفوضة، والمطلوب العدل.

وحجة الإدارة أن هؤلاء الطلاب الذين يعاملون معاملة متميزة إما أن يكونوا قدماء، ووصلوا إلى سن ناضجة، وأنهم يساعدون الإدارة في عملها، وهي التي تشكو من ضغط العمل وقلة الموظفين، وهي حجة تقولها الإدارة بهمس، وعن طريق أحد الطلاب المؤثرين في زملائهم، ولا تستطيع أن تبديها علناً، لأن الطلاب سيفندونها عن كل طالب مميز أعطي حقاً حُرم منه الآخرون.

الخميس ٢٩ محرم/ ٣ يناير:

النص:

«في مسائه ذهبت إلى الكورسال، فيلم «بنات الريف»، وأخذت بعض الكتب من مكتبة النهضة، وأرسلتها مع صالح الجهيمان، وأوعدوني بأخذ الباقي في يوم الجمعة».

***

يوم الخميس هو يوم بدء إجازة الأسبوع، وهو يوم «الفسحة» لنا، وكان يُعطى لنا مكافأة عندما وصلنا القاهرة، وسكنا في دار البعثات، وكان مقدارها (٢٧٥) مئتين وخمسة وسبعين قرشاً، أي ثلاث جنيهات إلا ربع، ويدخل فيها مصاريف المواصلات وغسل الملابس وكيّها، وكيّ الطربوش، وصبغ الحذاء، وعشاء

يوم الخميس، ثم سرعان ما زيدت جنيهاً فأصبحت (٣٧٥) ثلاث مئة وخمسة وسبعين قرشاً، أي أربع جنيهات إلا ربعاً. وبقيت كذلك إلى أن تركت البعثة بعد تخرجي، إلا للطلاب الذين تركوا بيت البعثة فمكافأتهم تختلف.

وكان هذا المبلغ بالنسبة لمستوى المعيشة مجزياً، فقد كان الجنيه المصري حينئذ والجنيه السوداني يساوي عند الصرف اثني عشر ريالاً سعودياً ونصفاً، وهما أعز من الجنيه الاسترليني الذي كان صرفه اثني عشر ريالاً فقط. وكان خريج الجامعة يُوظَّف بست جنيهات في الشهر، وكثيرون يغبطونه على هذا، وعلى اللقب الرسمي الذي يمنح له آلياً عند حصوله على درجة البكالوريوس، وهو «أفندي».

وسأعطي نموذجاً لبعض المصروفات مما يعطي فكرة عن مستوى المعيشة، خاصة بما عليه الحال اليوم، فمثلاً قيمة تذكرة الترماي من دير النحاس عند نهاية الرروضة إلى ميدان العتبة ثمان مليمات، ومن الروضة أو الجيزة إلى ميدان العتبة قرش ونصف، ومثله قيمة تذكرة الحافلة، وكنا ندفع لغسيل الهدوم خمسة عشر قرشاً، ومثلها للكوي، وعشرة قروش لصبغ الحذاء، كل هذا في الشهر.

ونحن طلاب كلية دار العلوم من السعوديين نأخذ «جراية»، مكافأة شهرية قدرها جنيهان مثلما يأخذ الطلاب المصريون، وتأتي هذه من أوقاف خصصت لكلية دار العلوم، ولهذا كان ينظر إلينا من قبل زملائنا في البعثة على أننا مليونيرات وكان من يفلس من

زملائنا من غير طلبة دار العلوم قبل نهاية الشهر نسلفه ونفرِّج كربته، وقد أفادتنا هذه المكافأة الإضافية في شراء أقمشة البدل الممتازة، ونشبع رغبتنا من شراء الكتب، والحمد لله لم تصبنا عين من أولئك الذين ينفقون بسفه.

الجمعة ١ صفر/ ٤ يناير:

النص:

«صليت صلاة الجمعة في المسجد الذي في العتبة، وذهبت بعد ذلك، وأخذت (كتاب) المنطق التوجيهي من المكتبة، وفي مسائه، السادسة، سمعنا محاضرة الدكتور عبدالرحمن عزام في الجامعة الأمريكية، وعنوانها: «الجامعة العربية والوحدة العالمية»، ثم ذهبت بعدها مع أحمد [المبارك] إلى الأستاذ إبراهيم

السويل».

***

هذا النص يعطي لمحة عن نشاطنا في عطلة نهاية الأسبوع، وإذا لم يكن هناك فيلم مغرٍ فهناك محاضرة مفيدة، وإذا لم يكن هذا ولا ذاك فهناك الزيارات الاجتماعية، وأداء الواجب حيالها، وإبقاء الصلة بيننا ومن هم خارج دار البعثة، فالأستاذ إبراهيم السويل كان أستاذنا في المعهد كما سبق أن ذكرت[1]، وقد التحق بعد التدريس بوزارة الخارجية، وأصبح السكرتير الأول في السفارة السعودية، ومقرها في حي الدقي، والأستاذ إبراهيم، بجانب فضله علينا بتدريسنا، ثم بحسن استقباله لنا في السفارة، ومساعدته لنا عند الحاجة، فهناك قرابة لي معه؛ فوالدته من أسرة الخويطر، وهو

(١) الجزء الخامس، ص ٣٩٩ وما بعدها.

صديق حميم للأستاذ أحمد بن علي المبارك، منذ أيام دراستهما الجامعية، وقبل أن يعود الأستاذ إبراهيم إلى المملكة، ويلتحق بالتدريس هناك.

يبدو أن جدّة استعمالي للتدوين في المفكرة أثر على طريقة تدويني للأفكار، فأنا أختار بعض الأمور الطفيفة إعتماداً على أن ما هو أهم الصحف كفيلة به، إلا ما قلّ مما رأيت وجوب تدوينه، والحمد لله أن هذا حدث، فلقد أصبح له قيمة اليوم، ويساعدني علي تذكر بعض الأمور التي سرعان ما تتداعى الأفكار عنها بمجرد أن أنظر فيها.

السبت ٢ صفر/ ٥ يناير:

النص:

«ذهبت إلى المدرسة صباحاً، فحدث إضراب لأجل

المصري الذي قتله الإنجليز، فذهبت إلى شارع فؤاد، وبعدها رجعت، وتغديت عند الأخ محمد العنقري، وذهبنا في العصر مع مصطفى مير وسالم [بامفلح] إلى مكتبة عابدين، ورجّعنا الدفاتر الصغار، وأخذنا اثنين من الكبار، ووعدنا بالثمانية الباقية في الغد».

***

هذا النص يحدد تاريخ الحادثة التي أشرت إليها سابقاً، فذكرت أنها كانت سبباً لأحد الإضرابات التي قام بها طلاب دار العلوم، ويلاحظ أن دار العلوم حتى الآن تسمى مدرسة، وهذا لا يقلل من شأنها ومستواها الجامعي، فقبلها دار المعلمين العليا، وكثير من المدرسين الجامعيين كانوا من خريجيها، وهي مدرسة قوية، تعطي من كل علم بطرف، وكان من حقها أن تكون نواة لجامعة الملك فؤاد.

ويصف النص كيف قضينا الوقت باقي ذلك اليوم، وهو فراغ لم يكن في الحسبان، ولم يسبقه تخطيط، ولو كان عرف عن الإضراب قبله بيوم فربما كان الأمر مختلفاً، ويبين النص صلتنا بمكتبة عابدين، وقد حلت بالنسبة لنا محل مكتبة النهضة، وكان صاحب مكتبة عابدين يعمل في مكتبة النهضة سابقاً، ولعله شعر مع التجربة التي اكتسبها فيها أن بإمكانه أن يستقل بعمل يخصه، ويكون فيه السيد بدلاً من العامل التابع، وقد نجحت هذه المكتبة، ولعل السبب أن صاحبها كان لبقاً مع الزبائن، وزبائنه أكثرهم من العرب، بينما زبائن مكتبة النهضة كانوا أجانب، وتركيزها كان على الكتب باللغتين الإنجليزية والفرنسية، ويبدو أننا رمينا بثقلنا مع صاحب مكتبة عابدين، وهي بحي عابدين، بدليل أنه حتى الدفاتر كنا نؤمنها منها أو عن طريقها.

الأحد ٣ صفر/ ٦ يناير:

النص:

«حدث في ليلة هذا اليوم قتل أمين عثمان، ولم نعلم بالخبر إلا في اليوم الثاني، لم أخرج في مساء هذا اليوم، وقد عزمت على الخروج، ولكن فوات موعد الذي سأذهب إليه جعلني أتوقف عن ذلك».

***

هذا النص مهم لأنه يؤرخ لحادث سياسي أقام الدنيا وأقعدها في وقته، وهو نتيجة مجريات السياسة حينئذ، وتناحر الأحزاب بين بعضها وبعض.

ويلاحظ نقص المعلومات، فأنا في هذا النص لم أذكر اسم من سوف أقابله، وهذا عجيب، لأنه ليس لي علاقات تستوجب مثل هذه التعمية، وقد يكون صغر

صفحة المذكرة هو ما أوجب هذا الاختصار المخل، وقد يكون الموعد مع أحد أصحاب المكتبات، وتأخرت حتى موعد قفلها، أو المرور على أحد خياطي البدل.

الإثنين ٤ صفر/ ٧ يناير:

النص:

«حضرت إلى المدرسة مبكراً على أثر موعد [مع] الأخ محمد العنقري للذهاب إلى الذي سوف يصنع الماصة، وفي هذا العصر ذهبت لمكتبة عابدين، فلم استلم الدفاتر، واستلمت لمصطفى مير خمسة عشر قرشاً، ثمن الدواة. وفي المغرب ذهبنا للفانتازيو في فيلم دنانير، وأخذني النوم وأنا أذاكر في السرير».

***

يلاحظ أنه إلى الآن الإشارة إلى دار العلوم

«بالمدرسة»، لأنها إلى ذلك الوقت لم تلتحق بالجامعة، وإنما تعد مدرسة «عليا»، وكان هذا سبباً من أسباب بعض القلق الذي يعتري طلابها وأساتذتها خوفاً من أن يأتي يوم يقل شأنها بجانب كليات الجامعة، ولم تهدأ أنفسهم إلا بعد أن ألحقت بجامعة الملك فؤاد، وهي الجامعة الأولى في مصر، وينال طلابها الاعتراف الكامل في التوظيف، وفي الحق في الابتعاث، مع بعض التحرر عن وزارة المعارف التي كان التعليم يتبعها، وكان وزير التعليم العالي والتعليم العام واحداً، وكان لإضرابات طلاب دار العلوم، وسلطة بعض خريجيها القدامى في وزارة المعارف بعض التأثير في إعطائها صفة الكلية، وضمها لجامعة الملك فؤاد في القاهرة.

كانت إدارة البعثة تؤمِّن للطالب سريراً فقط، وكان الطلاب يكتفون «بشماعة» يعلقونها على جدار

في الغرفة، ولكنهم بعد مدة يبتاعون دولاباً يضعون فيه ملابسهم بدلاً من «الشماعة»، ثم بعد مدة يبتاع القادر منهم مكتباً «ماصة» وكرسياً، بدلاً من المذاكرة على السرير أو على الأرض، وبهذا عندما قررت أن أشتري مكتباً استعنت بالأخ محمد العنقري لتجربته في هذا المجال، وذهبنا في ذلك اليوم للنجار لتأمين ذلك.

وكانت مواعيد أصحاب الدكاكين أحياناً لا يفي بها أصحابها، إما لأن المطلوب ليس عند صاحب الدكان، وتعهد بأن يحضره ممن هو عنده، سواء كان ذلك كتاباً أو غيره، أو يكون السبب في عدم الوفاء بالوعد استعجالنا الأمر، ومجيئنا قبل الوقت، وإلحاحنا في الطلب، وقد يكون أخبرنا بأن الأمر سوف يأخذ وقتاً، ولكننا لا نصبر، وأعرف هذا في نفسي حق المعرفة. وقد نفرض عليه موعداً معيناً فيوافق على مضض، وهو يعرف أنه

لن يستطيع إنجاز الطلب في هدا الموعد، ولكنه يؤمل أن يستطيع، ولا يريد أن يخسر الزبائن، وهذا يفسر ما حدث عندما ذهبت لاستلام الدفاتر فلم أجد أن صاحب المكتبة قد أحضرها، ومع هذا فقد استفدت بعض الفائدة، إذ استلمت خمسة عشر قرشاً ثمن دواة قد أمّنها مصطفى، وأعادها لسبب أو آخر، والدكتور مصطفى له تعلق غريب بالأقلام والأحبار بقي معه إلى حين وفاته بعد أن تعدى سنه السبعين، كان مغرماً بشراء أنواع الحبر «كونكْ» بالذات وكلما جد جديد في هذه الماركة أمّن منه «درزناً» أو نصفه، ثم بعد أن يسمع عن جديد يتخلص من القديم بإعطائه لأصدقائه، وعلى هذا فأصدقاؤه، وأنا أحدهم، لا نشتري أقلاماً ولا أحباراً بانتظار ما سوف «يجرده» علينا مصطفى. وقد ارتقت هذه الهواية عنده بعدما

كبر، فصار يشتري أغلى الأقلام بعدد أصحابه، مع شرح لأسباب اختياره لهذا دون ذاك، فهذا قلم لا يجف إذا ترك مفتوحاً، وهذا قابل أن يركب عليه رأس عريض أو متوسط أو رفيع، وقد استعد بقطع الغيار هذه، وقد لا يحتاجها، وكانت فرحته كبرى عندما يكتشف قلماً جديداً، خاصة ماركة «شيفر» أو باركر»، وله دراية عميقة بأنواع الأحبار، فهذا لا «يبخ» أي ينتشر الحبر حول الحرف، وهذا لا يؤثر فيه الماء، وهذا يبدأ بلون وبعد مدة يتغير إلى لون آخر. وكنا نهنؤه على اكتشافه هذه الهواية التي تشبع منافذ السعادة في نفسه ـ رحمه الله رحمة الأبرار ـ فقد كان ابتسامة في حياتنا. عند النظر إليه ومقابلته نشعر بالسعادة الغامرة، وكان رجلاً أصدقاؤه من أصدقائه ومن أعدائه، فمن ينافسه عمله، أو يغبطه على شيء

سرعان ما يأسف ويقترب من مصطفى، اقتراب الصديق الصدوق.

وحبنا للسينما وما يُعرض من أفلام يؤكده ذهابنا في هذا المساء إلى سينما «الفانتازيو» في الجيزة، يشجعنا على هذا أنها سينما مريحة، وقريبة منا في «الروضة»، وكنا أحياناً لا نستعجل على رؤية الفيلم في أول عرض له في سينما راقية في وسط البلد في الأجزاء الراقية منها، وفي هذا توفير من ناحية، ومن ناحية أخرى يصبح عندنا فرصة لقراءة ما يكتبه النقاد عنه، وهناك ميزة ثالثة راجحة، وهي أنه في الغالب يعرض في «الفانتازيو» وأمثالها فيلمان لا فيلم واحد، وبهذا نكون دفعنا مبلغاً أقل ورأينا فيلمين بدلاً من واحد. وبهذا يتداخل «السواريه» مع «الماتينيه» وهما الفترتان في أول الليل ووسطه.

وانشغالي طوال النهار عن المذاكرة أصبح ثقيلاً مهيضاً على صدري، ولهذا بادرت بالبدء بالمذاكرة حالما وصلت إلى البيت، وأخذت أذاكر في السرير، وهي عادة كل طالب خاصة في الشتاء، وتجد كل واحد منّا في سريره لا يُرى منه إلا عيناه وكتابه بيده، وباقي جسمه تحت البطانيات مدفأً، وهذا يسارع باستدعاء النوم، لأن عنصريه متوافران: التعب والدفء! وإهمال المذاكرة، وتركها إلى وقت التعب والنوم سوف يكون له أثر غير حميد على تحصيلنا عند تقويم عملنا السنوي.

الثلاثاء ٥ صفر/ ٨ يناير:

النص:

«جئت إلى المدرسة مبكراً، وفي المساء ذهبت إلى

مكتبة النهضة فلم أحظ منها بطائل، ثم ذهبت في الخامسة مساءً إلى المناظرة التي أقامها أبناء دار العلم في الجمعية الجغرافية الملكية، وقد استلمنا في هذا اليوم ثلاث جنيهات من المدرسة، وفي الظهر مررنا على صانع الماصة، وتكلمنا معه فيها، واتفقنا معه على أن تكون بأربع جنيهات وأن تنتهي في يوم الخميس أو السبت، وسلّمنا له جنيهين وبقي عندنا جنيهان».

***

في هذا النص ذكرٌ لما كان يسمى «جرايه»، وهي المكافأة التي كانت دار العلوم تعطيها طلابها، وتأتي من أوقاف على طلاب دار العلوم رصدت مبالغها لهذا الغرض، وهذا المبلغ الضافي كان مفيداً لنا طلاب دار العلوم من السعوديين، وأصبحنا معه نحصل تقريباً على ضعف ما يأخذه طالب البعثة السعودية

في الكليات الأخرى، وكانت هذه المكافأة رفداً محموداً يساعدني على شراء الكتب دون خوف من نقص المادة المساعدة على هذا، وكنا نُغبط على هذه المكافأة، وكان بعض زملائنا يُفلسون عند منتصف الشهر، فيلجؤون إلينا لإسعافهم بالسلف، كما سبق أن ذكرت[1]، وبعضهم ممن يشتري كتب القصص، أو كتب مجموع المقالات يبيعها علينا بعد مدة بأثمان بخسة، وهي كتب على كل حال ليست من المقررات، وقد اشتريت عدداً منها من الزميل (ع.م) والزميل (ع. ش)، وأحدهما يسميني (كوهين)، لأني أشتريها منه بما يقل عن نصف قيمتها، وأسميه (كوهين) لأنه بدلاً من أن يهديني إياها بعد أن استغنى عنها، وبعد أن دب إليها التمزق، وانفكاك الحبك، يأخذ مني

(١) انظر ما سبق ج (٦) ص ٩٦.

ثمناً يُعد مجزياً بالنسبة لحالها المتردية، وتحتاج إلى مبلغ لتجليدها، والتجليد غير رخيص وقد يكون ثمنه ضعف ثمن الكتاب وإن كان جديداً. وقد اشتريت مرة عدداً من الكتب غير قليلة من الزميل (ن.م)، فغافلني يوماً وهو من له الحق، لما بيننا من صداقة، أن يدخل غرفتي ويفعل بمحتوياتها كما يشاء، فدخل غرفتي في غيابي وكتب على جميع الكتب التي ابتعتها منه إهداءًا منه لي. واليوم قيمتها المعنوية لا تقدر بثمن، لأنها بهذا دخلت التاريخ بعد هذه المدة التي تزيد عن خمسين عاماً.

ولصلتنا المستديمة الحميمة مع الكتب أصبح لها شأن في حياتنا ونحن في البعثة، وأذكر أن أحد الأقرباء من الزملاء ذهب مع أخي حمد إلى مكتبة دار النهضة لاختيار بعض الكتب للأخ حمد، فأمّن هذا الزميل

كتابين على حساب مُخصص الأخ حمد، وكلما طالبه حمد بإعطائها له قال له: الجيب واحد وليس بيننا حساب، مع أنه كان دقيقاً في محاسبته في كتب أخرى تخصه.

ويلاحظ في هذا النص قيمة «الماصة»، وهي أربع جنيهات، ويمكن قياس مستوى المعيشة حينئذ، بما قد تكون عليه اليوم، ويلاحظ كذلك أن «العربون» كان نصف قيمة المكتب، لأن النجار غير واثق منا فقد نجد من هو أرخص منه، ونتركه، لهذا وثّق حقه بهذه الطريقة، والعقل زينة.

«الجراية» التي نأخذها من دار العلوم جنيهان في الشهر، والمذكور في المفكرة ثلاث جنيهات، ولعلها مخصص شهرين، أُنفقت لسبب أو آخر، وقد يكون السبب أن أحد الشهرين ناقص بسبب الإجازة.

الأربعاء ٦ صفر/ ٩ يناير:

النص:

«في صباح يوم الأربعاء كان لدى التلاميذ ميل إلى الإضراب، ولكنهم لم يضربوا إضراباً صحيحاً إلا الثلاثة الدروس الأخيرة».

***

أبرز تعليق يمكن أن يُبدأ به على هذا النص التعبير بلفظ «التلاميذ» رغم أنهم طلاب تعليم جامعي، والسبب أن الفرق بين كلمة «تلميذ» وكلمة «طالب» لم يتبلور مصطلحها بعد، وقد تبلور فيما بعد وصارت كلمة «تلميذ» تعني من هو في التعليم العام، و «طالب» تعني من هو في المرحلة الجامعية، أو في الدراسات العليا. وأكد التعبير بتلاميذ كذلك أن دار العلوم كانت حينئذ تسمى مدرسة دار العلوم.

والإضراب مهرب واسع من الملل من الدراسة، واليوم هو الأربعاء من أواخر أيام الأسبوع، ويبدو أن فكرة الإضراب لم تقو إلا في وقت متأخر بعد أن مرّ نصف الحصص. ولم يبين النص أسباب هذا الاضراب، وقد تكون تافهة ولكنه جاء بنتيجة تتساوى مع المجهود الذي بذل متأخراً.

والإضراب في تلك الفترة عامل رئيس في حياة الطلاب والعمال، والحكومات في هلع من الفئتين.

الخميس: ٧ صفر ١٣٦٥هـ/ ١٠ يناير ١٩٤٦م:

النص:

«في الثانية عشرة والنصف صباحاً ذهبنا ننتظر وصول صاحب الجلالة [الملك عبدالعزيز]، فوصل في الساعة الثالثة والربع، واستقبلناه، ورجعنا في الساعة الرابعة والنصف. ثم ذهبنا بعدها إلى سينما

«رويال» فيلم «الجنس اللطيف»، ابتدأ [عرض الفيلم] السادسة والنصف، ورجعنا بعدها».

***

هذا النص مهم لتسجيل زيارة الملك عبدالعزيز رحمه الله لمصر رداً على زيارة الملك فاروق الأول رحمه الله إلى المملكة، واجتماعه بالملك عبدالعزيز عند جبل «رضوى»، وقد حدد النص المواقيت بدقة، وبيّن الاستعداد التام لهذه الزيارة، وأظهر الاحتياط في إعطاء وقت كاف للمشاركين في الاستقبال أن يأتوا في وقت مبكر، فتعرف كل فئة مكانها في محطة مصر وهي محطة القطار الذي يحمل جلالة الملك عبدالعزيز في مجيئه من ميناء السويس، هو ومن في معيته من وفد الشرف المصري الذي صحب جلالته من جدة، ومن في معيته من رجال من علية القوم، والنص حدد الوقت الذي استوعبه الاسقبال، ومغادرة المستقبلين المحطة بعد أن تحرك الموكب، وقد وصل جلالته

المحطة الساعة الثالثة والربع بعد الظهر وغادرها إلى حيث سوف يسكن في (قصر الزعفران) الساعة الثالثة والنصف، ومدة انتظارنا مجيء جلالته من الساعة الثانية عشرة إلى وقت الوصول في الساعة الثالثة والربع، وقد يبدو الوقت طويلاً إلا لنا نحن الذين كنا هناك، ورأينا الفئات المختلفة من المستقبلين، وقيام رجال المراسم بترتيب أماكن وقوفهم وقت السلام.

كان يوماً حافلاً، وكانت محطة القطار تعج بالمستقبلين الرسميين وغيرهم ممن نعرفهم من صورهم في الصحف، وفي الأخبار المصورة في دور السينما، وقد أتاحت لنا هذه الفرصة رؤيتهم على الطبيعة، وكان من بينهم رؤساء أحزاب، ووزراء، وأعضاء برلمان، وسفراء، وكتَّاب وغيرهم، ولم ندرس في هذا اليوم، ولم ندرس دراسة جادة أو منتظمة في الأيام التي كان جلالته ضيفاً على مصر.

والنص يكشف حرصنا على السينما خاصة وأن اليوم يوم خميس، وهو بدء عطلة نهاية الأسبوع، وصناعة الأفلام في تلك الفترة كانت مزدهرة، لأنها شهدت انتهاء الحرب العالمية الثانية، وانطلاق العاملين في الفن من قيود كانت فرضتها الحرب، فانطلقوا من عقالها، وأخذوا يدفعون إلى سوق الأفلام أعداداً متوالية، وبجانب الأفلام العربية هناك أيضاً الأفلام الأجنبية «المدبلجة»، التي يُركّب على نطق الممثلين فيها بالإنجليزية نطق عربي، وبعضها تكتب أسفل منظر الفيلم ترجمة له، وكنا أحياناً ندخل الفيلم مرتين حتى نستطيع أن نستوعب الترجمة.

لقد برز ممثلون عرفت بهم هذه الفترة، رجالاً ونساءً، وأصبح لهم بين الناس معجبون، يحرصون على حضور أفلامهم، وصار هناك نوع من العصبية لبعضهم، بحيث أن بعضنا يحرص أن يرى الفيلم الذي يمثل فيه فلان مهما قيل عن الفيلم من إنقاص حق من النقاد. وجاء

وقت كان الجمال، وحسن الصوت، هو الأساس الأول لاختيار الممثل إلى أن بدأت معاهد التمثيل تخرّج ممثلين درسوا الفن «على أصوله»، فاختلفت معايير اختيار الممثلين، وأصبح جمال الممثلة ليس هو الأهم، وتدريجاً ترقَّى ذوق الجماهير، حتى العامة من بينهم، وساعد على رُقي الذوق مشاهدة الأفلام الأجنبية.

وكانت الأفلام تركز على إبراز الأدواء الاجتماعية، والإيحاء بطرق معالجتها. وكان بعض الناس يتهم بعض الأفلام بأن وراءها تخطيطاً غير مخلص للوطن وأنه يزرع الفتن، ويدللون على هذا بكثرة الأفلام التي تحاول أن تقضي على الفروق الطبقية، فتظهر ابنة باشا تتمرد على أهلها وتتزوج ابن فلاح، أو ابن باشا يتمرد على أهله ويتزوج فلاحة. وهناك أفلام تحرّض العمال على أصحاب الأملاك والإقطاعات، وهكذا كان بث التذمر والفتن.

الجمعة ٨ صفر/ ١١ يناير:

النص:

«في صباح يوم الجمعة لبسنا في الساعة العاشرة اللباس العربي، وذهبنا إلى الجامع الأزهر، وصلينا [الجمعة] مع الملك هناك، ثم رجعنا إلى البيت، حيث تغدينا. وفي تمام الساعة السادسة حضرت المحاضرة التي ألقاها الأستاذ حسونة في قاعة «يورك»، وموضوعها «الوهابية والسعودية». وفي الساعة التاسعة والربع دخلت [سينما] «رويال» فيلم «الصبر طيب»، وخرجت منه، ورجعت إلى البيت».

***

كان ترتيب برنامج جلالة الملك عبدالعزيز لهذا اليوم أن يصلي الجمعة في الجامع الأزهر، وكان

هذا ترتيباً موفقاً، وفي صباح هذا اليوم لبسنا، نحن الطلاب، ثيابنا العربية، وذهبنا بحافلات إلى الجامع الأزهر للصلاة مع الملك وكان ذلك في الساعة العاشرة صباحاً، وهو وقت مبكر، ولكن تنظيم هذه المناسبة يحتاج إلى مثل هذا الوقت حتى تستطيع التشريفات أن تضمن إتقان العمل.

ولما انتهت الصلاة بدأنا رحلة العودة إلى دار البعثة، ولا أنسى منظرنا ونحن نسير في شارع الأزهر بلباسنا العربي، ومنظر مجموعتنا الكبيرة المنتظمة، والناس مصطفون على جانبي الطريق يلقون علينا التحايا، والابتسامات، والتلويح بالأيدي، والتصفيق، وكان مرور الملك عبدالعزيز والملك فاروق ـ رحمهما الله ـ قبلنا قد ألهب المشاعر، ونالنا نصيبنا من الترحيب الحار، إلى أن

وصلنا إلى الحافلات التي كانت سوف تقلنا في عودتنا إلى دار البعثة، وكانت هذه الحافلات قد أُوقفت قرب ميدان «العتبة الخضراء» في نهاية شارع الأزهر، وهي مسافة طويلة، ولكن روح البهجة، وحرارة الترحيب جعلتنا نحس وكأننا محمولون، مما أنسانا طول الطريق.

ويلاحظ أن الوقت كان شتاءً، وفي الشتاء يطول الليل، ولكن نشاطنا يُدخل أوائل الليل ضمن نشاط النهار، وهذا يفسر النشاط الذي سوف يتم في هذا اليوم.

وقد أخذتنا الحافلات إلى دار البعثة حيث تناولنا الغداء، وأخذنا بعض الراحة «بنومة» بعد الظهر التي لا «يفوّتها» أحد إذا قدر على ذلك، خاصة وقت الشتاء، ودفء «البطانية» يغري بهذا، وهذا يُفسر مدى غضب

الطالب إذا «تثاقل» معه زميل، وحاول أن «ينكد» عليه «التعسيلة».

لقد نُظم برنامج حافل بمناسبة زيارة جلالة الملك، وكل بجانبه أدلى بدلوه، وناله قسط من المساهمة، وكان نصيب الجامعة محاضرة عنوانها: «الوهابية والسعودية» ألقاها الأستاذ محمد أحمد حسونة في قاعة «يورك» في شارع القصر العيني، وهي واسعة، وشارعها واسع.

والأستاذ محمد أحمد حسونة أحد أساتذة دار العلوم البارزين، وكان يدرسنا فيها «الجغرافيا التاريخية»، وكان له اهتمام واضح بما يخص جغرافية المملكة العربية السعودية، ولعله، لهذا السبب، اختير ليلقي هذه المحاضرة المتخصصة. والأستاذ محمد أحمد حسونة من خيرة المدرسين، هادئ الطبع، صافي النفس، طيب

القلب، متواضع الجانب، عطوف على الطلاب، يحبونه ويقدرونه، وقد حظيت به المملكة العربية السعودية مدرساً فيها في كلية الآداب بجامعة الملك سعود، وكان ذلك عندما كنت وكيلاً لهذه الجامعة، فكان لي شرف أن زاملت أستاذي هذا المتميز.

وقاعة «يورك» قاعة مناسبة لمثل هذه المحاضرات، وأذكر أننا مرة حضرنا فيها مناظرة عن المرأة، وكانت بين الدكتور البارز إبراهيم سلامة، أستاذنا في الأدب العربي بكلية دار العلوم، والدكتورة دريَّة شفيق المعروفة بدفاعها عن حقوق المرأة في تلك الحقبة. كان الدكتور إبراهيم فصيحاً وخطيباً مصقعاً، أخذ بجانب المعارضة لأراء الدكتورة دريَّة، وألهب عواطف الحضور، وفاز بالأصوات في النهاية.

ورغم تتابع النشاط علينا في هذا اليوم إلا أن حق الترفيه محفوظ، والسينما هي المجال لذلك، وقد ذهبت إلى سينما رويال، في الساعة التاسعة والربع، وكان يعرض فيها فيلم «الصبر طيب»، وبعد انتهاء الفيلم عدت إلى البعثة، وهذا لا يعني أني وحدي، ففي الغالب معي أحد الزملاء القريبين مني مكاناً أو قلباً، أو هما معاً مثل: هاشم شقدار، ومصطفى مير، أو صالح الجهيمان، أو غيرهم ممن هو من «شقتنا» أو من كليتنا.

السبت ٩ صفر/ ١٢ يناير:

النص:

«في الساعة التاسعة صباحاً اجتمعنا، وذهبنا إلى الجامعة، حيث رأينا زيارة الملك لها، ثم رجعنا منها،

وفي الليل ذهبنا إلى سينما «ماتينيه» في سينما «كايرو بالاس» في فيلم: «حلم من ألف ليلة وليلة»، ودخلنا سواريه في «أوليمبيا»، فيلم «بوسة» صحبة الأخ مصطفى مير».

***

كان يوم زيارة الملك عبدالعزيز رحمه الله يوماً مشهوداً، وكان من أبرز أيام الزيارة، لمقام محيط الجامعة بما فيه من علماء وطلاب علم، وبما فيه من مظهر تخصصات مختلفة، ولابد أن ما رآه رحمه الله هناك أوحى له بأفكار تضيف إلى حبه للعلم ونشره في بلاده، وتقديره لدور المتعلم في حمل عبء العمل لمصلحة مجتمعه بجدارة ومقدرة، وقد ذهب طلاب البعثة إلى الجامعة لأنهم كانوا من مكملات المنظر السعودي في تحركات الملك، وقد بُذل جهد مخلص

للاحتفاء به رحمه الله هو ومرافقيه في هذا المرفق المرموق، وقد حظينا نحن الطلبة بنصيبنا من العناية، والاهتمام البالغ، مما كان له أثر إيجابي فيما بعد في تسهيل القبول في الكليات المختلفة وبالأعداد الكافية.

ويلاحظ من النص أننا دخلنا السينما في هذا اليوم مرتين، في دارين للسينما مختلفتين، وهذا نادراً ما يحدث، لأن المسافة بين الاثنتين أحياناً لا تسمح بذلك، وحينئذ لابد من اختيار أحداهما.

والمسافة، وبُعد دار عن دار، ليس هو المشكلة الوحيدة، فهناك الوقت ووقت صلاة المغرب بالذات، فإذا صادف أن الأذان قرب بدء السينما، أو يحل بعد بدء الفيلم، فحينئذ لا سبيل لرؤيته، وقد تعرفنا على عدد من البوابين لعمارات قريبة من دار السينما، وكنا ننشئ

معهم «صحبة»، وهذا يسمح لنا بالصلاة عندهم، وأغلبهم من النوبة، وهم أناس طيبو القلوب، فيهم سماحة ولطف، والأمر لا يحتاج أكثر من أن تسأل البواب عما إذا كان عنده سجادة لتصلي عليها فيرحب، وبذا حلينا إشكالات عويصة، تغلبنا فيها على بُعد المسجد من السينما، أما الفرق بين الصلاة منفردين أو مع جماعة فلم نكن نفكر فيه، ونؤول الأمر على أننا جماعة، لأننا لا نذهب إلى السينما إلا جماعة، يضاف إلينا البواب الذي يرحب بالصلاة مع أناس أتوا من «بلاد ربنا». وفي هذا اليوم بالذات فإن المشكلة لم تقم البتة لأن صلاة المغرب تحين اليوم في الساعة الخامسة والثلث، وهذا الوقت لا يتعارض مع أوقات السينما، سواء كانت السينما «ماتينيه» أو «سواريه».

وكان أحد الفيلمين، وهو فيلم «السواريه»، أي المتأخر إلى وقت المساء اسمه «بوسة» والنجمة «نور الهدى»، وكانت من النجمات المحبوبات الصاعدات، وكانت مغنية معجبة، لها جمهور غفير، لصوتها المميز الجذاب، وقد لمعت لفترة من الزمن، وتواكب ظهورها مع ظهور صباح، وأُمِّل أن تكون بلمعان صباح.

ويلاحظ نشاطنا في الذهاب إلى السينما، وحرصنا ألا يفوتنا فيلم يوصي النقاد برؤيته، ولم يكن هناك شيء يعوقنا، فالمال متوافر، والوقت في يدنا، فإن كان وقت السماح لنا بالخروج من الدار والفسحة، وإلا احتلنا لذلك، يعضد بعضنا بعضاً، (شُدّ لي واقطع لك) أحدنا يغطي على زميله اليوم، وغداً يغطي زميله عليه، والحيل طريفة، ويتفنن في إتقانها.

ولكن الإقبال النهم على السينما العربية بدأ يخف تدريجاً؛ ولعل السبب أننا وجدنا كثيراً من المواضيع التي تعالجها الأفلام من أدواء المجتمع أصبحت مكررة، وأصبحنا نعرف مجرى الفيلم قبل أن تأتي المناظر، وهناك عامل آخر وهو أنا بدأنا ندخل الأفلام الأمريكية أو الإنجليزية، وندقق الاختيار، ونشعر أننا نكسب لغة.

الأحد ١٠ صفر/ ١٣ يناير:

النص:

«كان من المفروض أن هذا اليوم يوم زيارة البعثة للملك عبدالعزيز، ولكن لم يكن ذلك، وعلى إثر هذا العمل، وإخلاف الموعد تأخرت عن المدرسة، وقد قضيت وقت الصباح عند الإخوان في غرفة يوسف

الحميدان، وقد قرأت في هذه الجلسة بعض كتاب من سلسلة «إقرأ» واسمه «الشيخ قرير العين»، ولم أخرج في هذا اليوم، ولم أتغد، لأنه غير محسوب لي أكل، ولم يكن لي شهية في الأكل، أكلت الغداء مع أمين جاوة في غرفتي على الخصفة!».

***

في هذا النص عدد من المواضيع التي تستحق أن يُعلّق عليها، ليكون ما سوف يقال إطاراً يحيط بالمواضيع المختلفة المختصرة في هذا النص.

وأول هذه المواضيع تغير موعد زيارة طلاب البعثة للملك عبدالعزيز في مقر إقامته، وكان تطلعنا عظيماً، والإعداد له أخذ وقتاً، وقد كان هناك فكرة إلقاء بعض الخطب والقصائد، ولكن يبدو أن قصر

مدة زيارته لمصر رحمه الله وازدحام برنامجه، حال دون ذلك، فؤجل من البرنامج برنامج زيارتنا ونحن أبناؤه، ومقدِّرون لهذا التصرف، وهذا التأجيل قد يكون من الصعب أن يتم مع برنامج آخر.

وأذكر مما قيل عن بعض «إفراديات» برنامجه في الليل هو متابعته لبعض أفلام «الكاوبويز» الأمريكية، لما فيها من خيل وفرسان، وهجوم وردٍ لهجوم. وكانت من البرامج التي نفضلها نحن الطلبة، حتى الطلاب الذين لغتهم الإنجليزية ضعيفة، لأن الحركة في هذه الأفلام تغني عن اللغة.

ويبدو أن إلغاء موعد مقابلة الطلاب لجلالته جاء متأخراً، إذ أنه لو علم عنه قبلها بليلة لأمكن أن نذهب إلى الكلية، ومادام جاء متأخراً، وليس في

الذهن برنامج آخر، فضلتُ أن أبقى في البعثة، ولكن ليس في غرفتي، وإنما في غرفة الأخ يوسف الحميدان، وكان يسكن مع يوسف رحمه الله في هذه الغرفة الأخ فهد بن عبدالرحمن الطبيش، والأخ سعود بن محمد ابن عبدالعزيز الدغيثر، وبجوار غرفتهم كان يسكن الأخ عبدالرحمن المرشد الموسى، والأخ حمزة محمد عابد ـ رحمهما الله ـ، والشريف صادق رفيق. وكانت هذه «الفيلا» ملاصقة للبيت الرئيس للبعثة، وقد فتح في البيت الرئيس باب يساعد على دخول هؤلاء الطلاب ويساعدنا نحن في الدخول أيضاً، خاصة أنه يوصل رأساً إلى مطعم البعثة ومطبخها، والعيادة الطبية، وصالة «البنج بونج»، وقد سكن أخي حمد عندما وصل من مكة في هذه «الفيلا» مؤقتاً.

وعندما ذهبت إلى غرفة الأخ يوسف رحمه الله لم يكن بقية زملائه في الغرفة متواجدين، فكلهم في كلياتهم، أما يوسف فلم يذهب لأن دراسته قد تكون بعد الظهر في ذلك اليوم. ولم أُضع الوقت في الزيارة، ولابد أن الدكتور يوسف كان يذاكر في طرف من الغرفة، لأن دراسته جادة فهو في كلية الطب، ولهذا أخذت أقرأ في أحد كتيبات سلسلة «إقرأ»، وهي من الكتب المنتقاة، وتُطبع بحجم يسهل حمله.

ولعل الأخ أمين حسن جاوه في مثل حالتي، فلم يأكل في مطعم البعثة، وإنما أكلنا معاً في غرفتي، وافترشنا أثناء الأكل الخصفة (الخصّاف).

الإثنين ١١ صفر/ ١٤ يناير:

النص:

«لم أذهب إلى المدرسة، وإنما ذهبنا جميعاً ـ البعثة ـ لمشاهدة العرض العسكري، الذي سيعرض أمام صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز، وقد رجعنا منه ظهراً. وفي الليل ذهبنا إلى «الفانتازيو»: فيلم «نداء الدم».

***

كان العرض العسكري وافياً، وفيه مجهود ملحوظ، وكان عرضاً كامل الأسلحة والمعدات، ولابد أنه قد أعجب جلالة الملك وهو الفارس الذي يقدِّر المظاهر العسكرية، وما يتصل بالإعداد للحروب، والوقاية منها. وأذكر أنه أخذت لنا صورة في مكان العرض، ونحن في المدرج بثيابنا العربية، وهذه الصورة عندي،

وسوف ألحقها بهذا الجزء ـ إن شاء الله ـ.

ولأن ذهابنا كان في الصباح فلم نذهب للكليات، وعدنا من العرض ظهراً، ولم نهمل مساء ذلك اليوم هوايتنا المفضلة، والتي لعلنا كنا نتطلع إليها طوال النهار، ووضعنا مخطط إكمالها، وهي الذهاب إلى إحدى السينمات، وقد اخترنا دار سينما «الفانتازيو»، الدار المفضلة لقربها منا، وتميز ما تعرضه، وكان الفيلم لهذه السهرة: «نداء الدم».

كان العرض العسكري الذي شهده الملك عبدالعزيز في مطار «ألماظة»، وكان عرضاً معتنى به، وقد نصبت فيه «صواوين» للضيوف، ومنهم طلبة البعثة. وقد أخذت لنا صورة من حسن الحظ أني قد احتفظت بصورة منها (مرفقة بعد هذا)، وفيها يظهر عدد من طلاب البعثة



بلباسهم الوطني، ويظهر في الصورة محمد علي البكري، والسيد أحمد شطا، والسيد عبدالله دباغ، وصالح جمال الحريري، وصالح الشلفان، وعبدالعزيز الربيع، وعبدالله أحرار خوجة، ومحمود مرداد، وأمين جاوه، وعبدالعزيز الخويطر، وشرف كاظم، ومحمد علي مكي، وعبدالرحمن المرشد، وعبدالرحمن اللنجاوي، وعبدالرحمن الحقيل.. وغيرهم.

الثلاثاء ١٢ صفر / ١٥ يناير:

النص:

«ذهبت إلى المدرسة، وفي اليوم هذا استلمت مجلة دار العلوم بأعدادها، وهي لمدة عشر سنين، وكان العدد الأول من السنة الأولى، والأول من السنة الثانية أيضاً ناقصاً، وأودعتها عند البواب، وفي المساء جئت

والأخ مصطفى مير واستلمناها من البواب».

***

مجلة دار العلوم بأعدادها التي ذكرتها لاتزال عندي، وهي عندي ثمينة، وثمينة كذلك عند طلاب دار العلوم، لأنها من خيرة المجلات العلمية في ذلك الوقت، وتمتاز أن مقالاتها بأقلام أساتذة جامعيين متخصصين، ولا أزال أذكر سعيي لشرائها، وحصولي عليها، وذهابي مع الأخ الدكتور مصطفى لأخذها، وقد حمل الحمل معي رحمه الله وكنت كما ذكر النص قد أودعتها عند بواب الكلية حتى أجد من يساعدني على حملها.

وصداقتي مع الدكتور مصطفى بدأت من أول يوم وصل فيه من المملكة، لأنه وصل بعد وصولنا

بسنة، وصادف أن ابن خالته هاشم شقدار كان زميلي في الغرفة، فتعرفت عليه، وبدأت الصداقة تتعمق، وبقيت إلى حين وفاته ـ رحمه الله رحمة الأبرار ـ وكانت محبتي له تعادل محبتي لشقيقي الدكتور حمد، أعز الناس عندي، وأقربهم إليَّ، ومصطفى رجل صافي النيّة، أبيض السريرة، لا يضمر لأحد أذى، سريع المسامحة لمن أساء إليه، فكانت طبيعته تحبب الأخيار إليه، وتبعد الأشرار عنه، وقد حماه الله من أهل الأذى والشر لأنه ترك حمايته إلى الله، وتوكل عليه، فكفاه شر من به شر، ويُسلِّم أمام ما يعترضه في حياته مما يزعجه، ولكن الله سبحانه يوفق من يأتي لنجدته، وهذه الحال كانت حاله عندما كان طالباً وعندما أصبح طبيباً، وهو منصور دائماً.

الأربعاء ١٢ صفر / ١٦ يناير:

النص:

«في الصباح ذهبت إلى المدرسة، وفي طريقي إليها سلمت للنجار بعض ثمن «الماصة» (المكتب)، وفي ظهر اليوم مررت عليه، وكان المقرر أن نذهب إلى قصر الزعفران في الساعة الرابعة للتشرف بالسلام على الملك، ولكن لانقطاع الترام والأوتوبيس من طريق الكلية، لأن الملك سيمر بهذا الطريق عند رجوعه من الجامعة العربية، لذا لم أتمكن من بلوغ البعثة إلا متأخراً، ولم أتمكن من الذهاب للسلام عليه، فذهبت واستلمت المكتب من النجار، وقد ابتدأت المذاكرة عليه باسم الله وعونه».

***

زيارة الطلاب لجلالة الملك عبدالعزيز في مقره في قصر الزعفران كانت تعويضاً عن الموعد السابق الذي ألغي. وإيقاف المواصلات عن الطريق الذي كان سوف يسلكه يدل على الاهتمام بالزائر المبجل، وهو ما لم نره يعمل مع أحد من الزوار الكبار، والنص يدل على أنه رحمه الله كان في زيارة للجامعة العربية.

ويبين المقطع الأول من النص مدى اهتمامي بالمكتب، وعدم صبري أو انتظاري إلى أن يحين وقت إنجاز الشيء، كانت كأنها عادة متأصلة فيَّ، فإذا رغبت في شيء فإن الأمر يأخذ مني كل مأخذ، ويملأ حيزاً وافياً في ذهني يؤدي إلى عدم الانتظار حسب ما هو مقرر ومتفق عليه، وتلعب العاطفة هنا دوراً يكاد يختفي معه العقل، فالعقل يعلم أن الطرف الآخر في «العقد» لن ينهي الشيء قبل الوقت، لأن وقته

منظم، وفي يده أعمال أخرى، ولكن العاطفة تقول إنه ربما احتاط وأعطى موعداً بعيداً، ولكنه سوف ينهيه قبل هذا الموعد، ولكن هذا التعليل يتهاوى أمام بعض الأمور التي لا تقبل الأخذ والرد بين العقل والعاطفة، فالرجل الذي «يحمّض» الأفلام لا يفتح دكانه قبل الرابعة عصراً مثلاً، وأنا أعرف هذا جيداً، ولكني أذهب قبل الوقت بساعة، وأشعر براحة لأني أول من سوف يلج الدكان، وما تمَّ مني في أمر المكتب مَثَل واضح على ما قلت. ومن المؤكد أن عدم تشرّفي بالسلام على الملك، وهي فرحة كبرى، عوَّضتها باستلام المكتب، الذي يدل على علو درجته قولي: «ابتدأت المذاكرة عليه باسم الله وعونه».

***

الخميس ١٤ صفر/ ١٧ يناير :

النص:

«لم ندرس في هذا اليوم انجليزي لغياب المدرس، وفي الساعة الرابعة والنصف مساءً ذهبت إلى العتبة، وصليت المغرب في المسجد الذي خلف سينما ستوديو مصر، ودخلنا «الكوزمو» فيلم «حرم الباشا»، ثم رجعنا ونمت في الساعة الحادية عشرة والنصف».

***

كان منهج اللغة الإنجليزية في دار العلوم بسيطاً جداً في السنة الأولى، ومع هذا فالطلاب المصريون كانوا يجدونه صعباً، لأنهم لم يسبق لهم دراسة اللغة الإنجليزية، وهم الآتون من معاهد الأزهر في الأرياف. أما نحن فكنا نجد ما يُعطى لنا من اللغة الإنجليزية

سهلاً جداً، لأننا سبق أن درسنا حروف الهجاء، وبعض الجُمَل، ومعاني الكلمات من قبل، منذ السنة الأولى الابتدائية، وهي حينئذ رابع سنة للطالب، هذه المعرفة أطاحت عن أكتافنا عبأً.

وهناك الفقرة التي تتحدث عن وقت الصلاة ووقت السينما، وهو الأمر الذي سبق أن أشرت إليه[1]، وهو الحرص على البحث عن مسجد يكون قريباً من دار السينما حتى لا يضيق الوقت بين الصلاة وبدء الفيلم، وإذا لم نجد مسجداً اكتفينا بمصلى في مدخل إحدى العمارات في مكان بواب العمارة. وأذان المغرب اليوم، كما تشير المفكرة، وهو مطبوع فيها، الساعة الخامسة والنصف إلا ست دقائق، وعلى هذا لا يزال لدينا وقت

(١) انظر ما سبق في ذكريات السبت ٩ صفر/ ١٢ يناير، ص ١٢٦.

كاف للصلاة بأناة قبل الذهاب لسينما «الكوزمو» التي اخترناها اليوم.

ولا أزال أذكر ذلك المسجد خلف دار سينما «ستوديو مصر»، لكثرة ما صلينا فيه، وغالباً نأتي مبكرين، فنقضي الوقت بدراسة «الفاترينات» التي تعرض فيها نماذج من البضائع في ذلك الدكان، وكثيراً ما يكون هناك من فائدة عند شراء بعض الحاجات في وقت لاحق، وقد حدد النص اسم السينما واسم الفيلم.

الجمعة ١٥ صفر/ ١٨ يناير:

النص:

«لم يجر ما يستحق التدوين، ولكني في هذا اليوم استيقظت متأخراً، أي قرب الساعة الثامنة صباحاً. وفي الحادية عشرة والنصف صلينا في مسجد الروضة،

وهو المسجد الذي افتتحه صاحب الجلالة الملك فاروق، وفي مساء هذا اليوم كنت عازماً على النزول إلى العتبة، ولكن النوم كان [أَبْدَى] فنمت».

***

ما سجلته في ذلك اليوم في نظري هو أبرز ما مرّ بي في ذلك اليوم، لأنه لم يجر فيه أمر مهم يخص الدراسة فاليوم يوم الجمعة، ولا دراسة يشار إليها، وليس لنا مشاركة في برنامج الملك عبدالعزيز في ذلك اليوم وإلا كان هذا حدثاً يستحق أن يُسجل، وهذه الجمعة صليناها في مسجد الحي، وهو مسجد بُني حديثاً، وحضرنا افتتاح الملك فاروق له، وقد استفدنا منه، لأنا قبل ذلك كنا نصلي في مسجد صغير في «المناسترلي» بأطراف الروضة، وكان إمامه كفيفاً، وقائماً بعمله على الوجه الأكمل، إلا أننا لاحظنا أنهم بعد الصلاة

يقيمون ذكراً في باحة المسجد، ورأيناهم يقفون في دائرة، ويتأرجحون، ويبتدئون بطيئين، ثم بعد مدة يسرعون، وطوال الوقت يرددون جملة: «الله حي»، ويدخلون في حالة توحي كأنه سوف يغمى عليهم، والإمام معهم، وهذا جعلنا نعيد النظر في هذا المسجد وإمامه، وعوضنا الله بالمسجد الثاني.

وقد عددت أن الاستيقاظ الساعة الثامنة يوم الجمعة، وهو يوم الراحة بالنسبة لما تعودت عليه، متأخراً. والعادة أن بعض الإخوان الخيّرين، ممن معنا في «الشقة» يوقظوننا لصلاة الفجر، ونصلي جماعة في وقتها، وعلى رأس هؤلاء الأستاذ الدرَّة الجوهرة إبراهيم زاهد رحمه الله، والأخ خضر حجار، والأخ صالح بابصيل، ولا أدري ما الذي حدث في هذا اليوم، ولم يوقظنا أحد، إلا إذا كنا صلينا ونمنا، وهذا أقرب لما حدث.

السبت ١٦ صفر/ ١٩ يناير:

النص:

«سافر صاحب الجلالة [الملك عبدالعزيز] إلى الإسكندرية، وكانت الكلية قد أضربت لأجل أن يسافر الطلبة إلى الإسكندرية، وقد تغديت مع الأخ عبدالعزيز الربيع في غرفتي. وفي وقت العصر نزلت مع الأخ مصطفى مير، ومررنا على المصور، وأخذ هو بعض الكتب».

***

بدأ التدوين بمذكرة هذا اليوم بالإخبار أن الملك عبدالعزيز سافر إلى الإسكندرية، وهي المدينة الثانية في مصر بعد القاهرة، وميناء الإسكندرية هو الميناء الأول في مصر على البحر البحر الأبيض المتوسط، ولا

يمكن أن تكمل هذه الزيارة الملكية دون الذهاب إلى الإسكندرية، ورؤيتها توسع المدارك، وتدعو للمقارنة بينها وبين القاهرة، في كل من الطقس، ونوع المباني، وطبائع الناس.

أما إضراب الطلاب، ليسافروا إلى الإسكندرية، بمناسبة سفر الملك عبدالعزيز إليها، فدليل واضح على أن الطلاب يبحثون عن أي سبب ليضربوا هروباً من الدراسة، أو إغاظة الحكومة، ويكون التحريض من ممثلين لبعض أحزاب المعارضة، دُسُّوا ليقوموا بهذه المهمة.

أما الإشارة إلى أني تغديت مع الأخ الأستاذ عبدالعزيز الربيع ففيه دليل على أننا جئنا متأخرين لدار البعثة، والخادم الخاص بشقتنا عنده تعليمات مني أنه

إذا تأخرنا يحجز لنا الغداء حتى نأتي، ونأكله في الغرفة لأن المطعم يكون قد قفل، والأستاذ عبدالعزيز الربيع سبقني إلى البعثة[1]، وهو من خريجي المعهد العلمي السعودي في مكة، ومن ولادة المدينة المنورة، والتحق بدار العلوم، وتخرج منها، وعاد وعمل في وزارة المعارف وآخر منصب له كان مدير التعليم بالمدينة المنورة، وهو أديب مرموق، وكاتب معروف.

وقد سجلت أني نزلت أنا ومصطفى، نزلنا إلى داخل البلد، للمرور على المصور، إما لأننا سوف نتصور عنده، أو لنأخذ صوراً سبق أن صورها لنا، أو أنها صور صورناها، وأعطيناها لأحد محلات التحميض، ليحمض الفيلم ويخرج منه صوراً، من كل منظر

(١) سافر ضمن البعثة الرابعة في شوال عام ١٣٦٣هـ/ سبتمبر ١٩٤٤م.

صورة، ثم بعد أن نراها قد نطلب صوراً أخرى. ولأننا كنا محرومين في مكة[1] من الاستفادة من مثل هذه الإمكانات الحديثة الجذابة؛ أقبلنا عليها إقبالاً شديداً، فبدأنا بالتصور عند المصورين، وكان هناك مصوران شهيران أحدهما يدعى رمسيس، وهو مصور الملوك كما كان يسمى، وكان في شارع محمد علي، ولم يكن من أرقى الشوارع، وشارلز، وكان في نهاية شارع إبراهيم باشا على نهاية الميدان في ظهر المسجد، وكان المكان بارزاً وفي مكان جيد، وأظن أن الإثنين أرمنيان أو يونانيان.

وقد أخذنا على الأقل صورة أو صورتين عند رمسيس، ولكن أغلب صورنا كانت عند «تشارلز». و «شارلز» كان قبل ذلك في شارع عبدالعزيز أمام

(١) الصورة التي أخذت لي في مكة قبل ابتعاثي ملحقة في آخر الكتاب.

محلات عمر أفندي (أورزدي باك)، وكان استقبال «تشارلز» للزبائن أكثر ودية من «رمسيس»، واستطاع أن يجذب إليه الزبائن.

هذا جانب من جوانب تعلقنا بالصور، ولكن هذا لم يكن الجانب الذي يشبع رغبتنا، ومثل غيرنا ابتعنا «كميرات» آلات تصوير بدائية، وكنا نتابع تطورها، ونحاول أن نختار «الموديلات» والماركات، وصار عندنا نهم في التصوير، ثم دخلنا مرحلة جديدة: نشتري المحاليل والمعدات اللازمة لتحميض الأفلام وطبع الصور، ورغم جاذبيتها في أول الأمر؛ خاصة وأنت ترى الصورة تظهر تدريجاً من العدم إلى الوجود أمامك، ولكن سرعان ما دب فينا الملل وتركناها خاصة وأن عملنا غير متقن نسبة لعمل المهنيّ.

الاثنين ١٨ صفر / ٢١ يناير :

النص:

«ذهبنا في عصره إلي شارع فؤاد لأخذ الصورة فوعدنا أن نأتي غداً، وذهبنا بعد ذلك إلى شارع الفجالة فلم نجد الكتب التي ذهبنا لأجلها ثم عدنا».

***

نزولنا في عصر هذا اليوم، في الغالب أنا ومصطفى، لأخذ الصور لابد أنه كان قبل الموعد المحدد لنا، وكنا حريصين على سرعة أخذها، ونزولنا في الغالب ليس من أجلها وإنما من أجل الكتب والبحث عما رغبنا البحث عنه، ولكن مادمنا قد وصلنا قريباً من المصور فلا ضرر من أن نمر عليه فقد نجد أنها جاهزة. وهذا يدل على أن المصور سيحمض «فيلماً» لنا ويطبع منه صوراً.

وشارع الفجالة الذي ذهبنا إليه عامر بالمكتبات، ونجد فيه الكتب التي لا نجدها في غيره، خاصة الكتب القديمة، أو التي نفدت طباعتها لكثرة الإقبال عليها مثل كتب فطاحل الأدباء: طه حسين، العقاد، المنفلوطي، توفيق الحكيم، وزكي مبارك، والمازني.. وغيرهم، أو لقدم طبعها، وعدم الاهتمام بإعادة طبعها.

وكنا نوصي أصحاب هذه المكتبات بالاحتفاظ لنا بما يصل إليهم من الكتب القديمة التي يجلبها المحتاجون من الأدباء وغيرهم، أو مما يُجلب من التركات، أو باتصالهم بمكتبات خارج القاهرة.

الثلاثاء ١٩ صفر/ ٢٣ يناير:

النص:

«خرجنا من المدرسة بعد إنهاء الحصة الثانية لسفر

صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز من مصر إلى المملكة، وكان المفروض أن نذهب ونودعه، ولكن لما وصلنا من المدرسة وجدنا أن السيارات لا يمكنها أن تنتظرنا، وفي العصر لم نذهب إلى شيء. وقد أحضر مصطفى مير الصور من المصور شارع فؤاد نمرة (٨)».

***

يبدو أن ترتيب توديعنا للملك لم يكن متقناً من قبل إدارة البعثة، أو من قبل التشريفات، وكان المفروض أن لا نذهب للدراسة في هذا اليوم، وقد ذهبنا وعدنا متأخرين، فوجدنا أن السيارات التي كانت ستقلنا قد تحركت بعدد قليل من الطلاب والإداريين، على كل حال يكفي في التوديع عدد محدود يكون رمزاً لطلاب البعثة، وهذا يفضله رجال التشريفات، خاصة إذا كان هذا العدد من كبار السن من الطلاب، ممن هم

في السنوات الأخيرة.

ولأننا لم نودع جلالة الملك لم نكن في حالة نفسية تدفعنا إلى أن نملأ وقتنا بقية الصبح بشيء، لأن المهم قد فاتنا، وليس هناك ما يعوض ما كنا نتطلع إليه من التوديع، ومن لباس الثياب العربية، والتبختر بها أمام الجموع التي ترقص على جانبي الطريق.

السبت ٢٢ صفر / ٢٦ يناير :

النص:

«وصلني كتاب من حمد وصالح يخبرونني فيه بوصول الخالة حصة تاريخ ٢٢ صفر، والخالة حصة المشار إليها هي أخت الوالدة وأمي من الرضاعة».

***

حمد المشار إليه هو شقيقي، وصالح هو صالح بن

إبراهيم الضراب، ابن خالة والدتي، وأهمية الخطاب الذي وصل هو أنه يحمل نبأ ساراً وهو مجيء خالتي وأمي من الرضاع إلى مكة[1]. وقد غَبَطْتُ الأهل على وصولها، فهي عزيزة علينا، وهي أكبر من والدتي، ومجيؤها إلى مكة هو في الغالب بنية الحج، لأنها لم تأت إلى مكة قبل ذلك، وتاريخ الخطاب يلفت النظر، فقد كتب يوم ٢٢ صفر، ووصلني يوم ٢٣، وهذا يعني أنه جاء مع شخص، وإلا لو كان بالبريد لأخذ أكثر من أسبوع.

ورغم انتظام البريد في مصر وفي مكة إلا إننا لا نزال نفضل إرسال الخطابات و «الوصول» الطرود مع ركاب، ولا شك أن في هذا بعض المضايقة خاصة أمر الطرود، ولكن لا أحد يأبى أن يحملها، وقد يكون

(١) انظر ما جاء عنها في الجزء الأول: ص ٣٤، ٣٥، ٢٧٠.

حملها جزءاً من المضايقة يتلوه البحث عنا والاتصال بنا، وهو جهد غير طفيف.

الجمعة ١٣ ربيع الأول/ ١٥ فبراير :

النص:

«وفي تمام هذا اليوم تمامٌ لعطلة نصف السنة».

***

والغالب أن يكون بدء الدراسة في أوائل أكتوبر. يلاحظ أنه لم يدون في المفكرة أخبار الأيام التي تلت يوم الثلاثاء ١٩ صفر، حتى يوم الجمعة ١٣ ربيع الأول، والسبب أبانه النص وهو أن تلك الأيام كانت أيام أجازة لأجل منتصف العام الدراسي. وأتصور أنه كان هناك نشاط مكثف، تركز في الذهاب إلى دور

السينما وعلى زيارة المكتبات. وقد يكون هناك رحلة إلى الإسكندرية، أو إلى مدينة أخرى، وقد تكون مع طلاب الكلية.

و «جنينة» الحيوانات حديقة مفضلة، ويمكن قضاء صباح أحد الأيام فيها، والوقت فيها يمر بين المرور أمام أقفاص الحيوانات المفترسة، وأقفاص القرود التي لقنها الناس بعض الحركات البذيئة، والنظر إليها يضيع بين القرود والفتيات من جميع الجنسيات والأطفال وتعبيراتهم البريئة.

وقبل أن أتحدث عن اليوم اللاحق لهذا التاريخ، وفيه وفيما بعده أخبار عن إضراب، يحسن أن أتحدث عن ظاهرة الإضراب في ذلك الوقت، فهي مظهر بارز في حياة الطلاب والحكومة والوطن عموماً.

الإضراب:

لم يكن هناك أكثر من إضراب طلاب الكليات، وطلاب المدارس الثانوية بنين وبنات، لأن أعمارهم ليست بعيدة عن أعمار طلاب الجامعة. وكانت في الغالب تُتَّخذ احتجاجاً على تصرف الإنجليز في مصر، وأحياناً يكون في الظاهر، أما ما وراء ذلك في الحقيقة فهو تحريض من أحزاب المعارضة تشويشاً على الحكومة والحزب الحاكم. وكانت الحجج تافهة، ويتلمس لها أتفه الأسباب وأوهاها، ولكن متى ما درجت عجلة الإضراب أخذت طريقاً لا يحكمه حتى منظموها، وإنما تخضع لحماس الجمهور الذي لا عقل له، ولا يخضع لتدبير أحد إلا لتدبير الحي القيوم.

وقد يقصد بالإضراب حركة محدودة، ولكن يفلت

الزمام، فيكون هناك تكسير لواجهات الدكاكين الزجاجية، وحرق لبعض الممتلكات، وقد تسيل دماء، وقد تستغل من قبل أناس غير ظاهرين وجدت نيتهم السيئة تجاه البلد فرصة فانتهزوها، وأشعلوا النار في الهشيم، وتتدخل الشرطة ويفرق الجمع بالقوة، ولهذا عواقب ومحاسبات.

كان الإنجليز محتلين مصر عملياً، ويصرفون أمورها أحياناً علناً دون حياء، وأحياناً من وراء حجاب، وكانت فترة الحرب العالمية الثانية، التي انتهت عام ١٩٤٤م تسمح لهم بمثل ذلك، لأن قانون الطوارئ لا يزال قائماً بسبب الحرب، وهو صارم غاشم. فلما انتهت الحرب، وقوة الإنجليز موهنة، بدأ المصريون يتنفسون الحرية.

ومما كان يحرك المشاعر، ويظهر الكوامن، ويقوِّي الاتجاه الوطني، والعزة والكرامة، أن هناك معسكراً للإنجليز في قلب القاهرة، في «قصر النيل»، قريباً من التجمعات الطلابية، ومستعداً للتدخل فوراً. ولهذا كان أول بوادر تقهقر الإنجليز هو نقل هذا المعسكر بعيداً، بحيث لا يراه الناس صبحاً ومساءً، وكان احتفال وطني بهيج أن أخليت هذه الثكنات وحل فيها جنود مصريون.

وكان الشعور ضد الإنجليز محتقناً في كل جوانب الحياة، فالجندي الإنجليزي لا يأمن أن يمشي في الشارع وحيداً، إلا بعض من يتسلل بثياب مدنية ليذهب إلى أماكن مشبوهة، وهذ أيضاً قد يكون مصيدة متقنة يتم النجاح فيها، لأن ما يحكم الجندي هو عاطفته، وتجاهله لما يقتضيه العقل، مثل ذهاب بعضهم للمواخير. أذكر

مرة ونحن عائدون من السينما ليلة إحدى الجمع، وكان المطر ينزل غزيراً والشوارع تسير كأنها أنهار، وكنا في الترماي، وحاذينا منطقة قريبة من «دير النحاس» (فم الخليج) مشبوهة، والترماي يمشي ببطء، ويبدو أن أحد الجنود الإنجليز قد زار شارعاً في ذلك الحي، وأراد أن يذهب إلى الثكنة، وأغرى أحد الشباب بأن يحمله بمقابل على ظهره، وينقله إلى الجانب الآخر من الشارع، ويقربه من موقف إحدى وسائل النقل، وصادف أن الترماي كان قريباً منه، فلمحه الركاب، وأخذوا يصرخون على المصري: يا هندي يا هندي، فحركوا فيه وطنيته ورمى الجندي في الماء. وكلمة يا هندي شتيمة شديدة، لأنها تشير إلى المدة الطويلة التي خضع فيها الهنود للإنجليز، ولم يتمرد الشعب عليهم، ويطردهم، حتى ذلك الوقت.

وعلى هذا فأحد أسباب كثرة الإضرابات هو الشعور بأنه آن الأوان أن يقضى على الكبت السياسي، وأن يسمح للطاقات المضغوطة أن تنفجر، ولا يهم في من تنفجر، المهم أن تخرج من القمقم، فالإضراب رغم أنه يأتي ببعض الفوائد إلا إنه أيضاً يترك أضراراً لمواطنين لا ذنب لهم، وقد يقضي أحياناً على حياتهم، أو يستأصل أسباب معيشتهم، ويصبح هناك كاسب وخاسر، ولا يعرف حينئذ من هو الخاسر المستحق للخسارة والرابح المستحق للربح.

وسوف أحاول أن أعطي مما أذكر عن المرات، التي شهدت فيها إضراباً، صوراً مختلفة لعلها تساهم في رسم الصورة الحقيقة لما كان يحدث، وروح الإضرابات وأهدافها واتجاهاتها في تلك الحقبة، ونوع الجمهور الذي يكون الأداة لها.

كان كل حزب في مصر في تلك الأيام له طلاب يمثلونه، مهمتهم الدفاع عن مبادئ الحزب، وتجنيد الشباب للإنضمام إليه، وتنفيذ الأوامر التي يعطيها الحزب عند الحاجة. كان عندنا طالب في كلية دار العلوم يمثل أحد الأحزاب ولنرمز لهذا الطالب بحرف (ف)، وبقي في السنة الأولى عدداً من السنوات، ولم يكن ينجح، وكان معروفاً أنه مزروع في الكلية لخدمة ذلك الحزب، وخلافاً لنظام الكلية لم يجرؤ أحد أن يفصله بعد أن رسب السنوات التي يكفي نصفها ليفصل، وكان حضوره حسب رغبته، إن شاء حضر المحاضرة أو تركها، وإن شاء جاء إلى الكلية، وإن شاء غاب.

وفي أحد الأيام، وكنت واقفاً بجواره فأخذ يبحث عن صحيفة، ولما سأله أحد الزملاء لماذا هذا الحرص، ما هو الشيء الذي تريد أن تراه فيها، فقال له ليس شيئاً محدداً،

أريد أي شيء يصلح أن يكون مقنعاً للإضراب.

بعد أن قلب صفحات الجريدة وجد مطلوبه بسهولة، فهناك خبر صغير في زاوية يشير إلى أنه قام جدل في مدينة السويس بين «فكهاني» وجندي إنجليزي، وأن الجدل زاد عن الحد فاحتد الجندي البريطاني، وأطلق النار على صاحب دكان الفاكهة وأرداه قتيلاً، فوضع (ف) الجريدة تحت إبطه، وصفق بيديه بأعلى قوته، وتبعه آخر، وثالث ورابع، وكانت هذه هي علامة الدعوة للإضراب التي لا تُرد، فإن كان الطالب الذي سمعها حزبي سارع بإجابة النداء، عملاً بالواجب تجاه الحزب، وإن كان غير حزبي فإنه يجدها فرصة للتخلص من الدرس والذهاب للبيت، ولذا ترى الطلاب وهم يخرجون من الفصول كأنهم إلى نصب يوفضون، أو كأنهم نمل أخرجه دخان من

جحوره، وبعد ثوان تمتلئ ردهة الكلية، ثم يقادون إلى مدرج المحاضرات العامة، أكبر مدرج في الكلية، ويبدأ الخطباء «يستعرضون عضلاتهم». يبدأ هذا فيخطب بحماس مثيراً من أمامه، مستفيداً من مقدرته على الخطابة، ومسترجعاً تجاربه في تحريك شعور الجماهير، فإذا تعب أعطى صولجان الخطبة إلى آخر، وبعد صراخ وهيجان يتعب ثم يعيدها للأول، ثم يُقترح الخروج من الكلية إلى ميدان «لاظوغلي»، وهو غير بعيد عن حي المنيرة حيث تقع كلية دار العلوم، وفي ذلك الميدان يقع مجلس الوزراء، وفيه المنتهى، وغالباً يقفون ثوان أمام مدرسة المبتديان الثانوية للبنات، ويحثونهن على الخروج، وتتلاقى رغبات ترك الدروس، وتخرج الفتيات يهتفن مع الهاتفين، وإذا كانت أصوات الرجال «بيانو» أو «أورغن»، فأصوات البنات «عود»

أو «كمنجة»، وتستمر الهتافات منددة بشيء أو مطالبة بشيء، حتى تصل المظاهرة إلى ميدان «لاظوغلي»، وقد تضاعفت مرات ومرات لما انضم إليها من الناس الذين مرت بهم، وهم أخطر إضافة إذ يدخل بينهم من له أغراض أخرى. وبعد هتاف وتصفيق وصفير، يبدأ الأفراد يتسللون لواذاً تدريجاً حتى يضمحل هذا العدد بأسرع من وقت تجمعه.

وأذكر أن حادثة مماثلة لهذه، حدث فيها ما كان متفقاً عليه قبل يوم الإضراب بيوم، وحدد الخطباء، ولم تكن تخص مطالب حزب، وإنما تخص الدراسة والوطن، والإنضمام إلى الجامعة، ومهاجمة المعارضين، وقد تجمع الطلاب تدريجاً حتى إذا غص المدرج بهم بدأ الخطباء بإلقاء الخطب، وبين كل خطبة وخطبة ينفجر الهتاف كأنه آت من حنجرة واحدة: «يحيا الإضراب»،

«يحيا الإضراب»، «الإضراب حتى الموت»، «الاعتصام حتى الموت». ولأنه لا يحكم روح الجموع إلا الله، فكان الهتاف يهتف دون تمعن في المدلول، يهتفون ثم يفكرون، فغدرهم أحد الخبثاء، وهم في سكرة الهتاف، فقاد «أوركسترا» الهتاف قائلاً:

«يحيا الإضراب»، فقالوا بعده: «يحيا الإضراب»، ثم قال: «يحيا الاعتصام»، فقالوا بعده: «يحيا الاعتصام»، ثم قال: «الإضراب حتى الموت»، فقالوا بعده: «الإضراب حتى الموت»، ثم قال: «يحيا الموت»، فقالوا بعده: «يحيا الموت»، ولم ينتبهوا إلى أنهم خدعوا إلا بعد أن قالوها، ولم يكن بالإمكان رد الجملة بعد أن قيلت ورددتها جدران القاعة:

قد قيل ما قيل إن صدقا وإن كذبا

فما اعتذارك عن قول إذا قُبلا

ولم يعتصموا حتى الموت، بل خرجوا، وأخذوا طريقهم إلى حيث يقصدون، وسرعان ما بدأ الانضمام من غير أبناء الكلية، والتسلل من أبنائها، وكفى الله المؤمنين القتال، الإضراب وحَدَث، والصحف وكَتَبت، والإشارة أُعطيت، والويل لمن لا تكفيه الإشارة، سوف يتهم بأنه ليس حراً.

كنا نحن الطلاب نفرح بهذه الإضرابات، ونشيد بالداعين إليها، أياً كانوا، المهم أن جهودهم تكلل بالنجاح، فالإضرابات تعفينا من حضور الدروس، التي بعضها لا يضيف كثيراً إلى معلوماتنا التي لا نزال نختزنها، أو ما في الكتب التي في أيدينا، وبعض المدرسين يُدرِّسون بطريقة مشوقة، وبأسلوب جذاب، ويعطينا شيئاً مخبأ عنا وليس في الكتب التي في أيدينا، أو يفسر لنا ما صعب فهمه، أو يحل لغزاً احترنا أمامه،

أو يعطينا قاعدة نتخذها أداة تساعدنا فيها ندرس وحدنا، أو ينبهنا إلى ما نكون أقرب إلى الغفلة عنه، أو إلى تجاهله على أهميته، ويدخل بين فقرات الدرس بعض القصص المروِّحة عنا ثقل الدرس دون ابتعاد عما عليه أداؤه من معلومات، وبعضهم لا يتردد في قص قصة لا يسمح بقولها إلا أمام الذكور، وقصها في دار العلوم مجاز لأنه ليس فيها بنات، أما في كلية البنات فالأمر مختلف، وفهمت أنه فيها بعد سمح للبنات بالالتحاق بالكلية، وهذا جاء معه بنقصين، الأول عدم قص مثل هذه القصص، والثاني شغل أذهان الطلاب بأمور الفتيات، واستراق النظر إليهن، وكلا الجنسين في سن مراهقة لا يلجم جموحها إلا قوة الدين إذا كان صاحبها يرجح خوف الله، تساعده هذا تربية وطبيعة.

وآفة بعض المدرسين غير المريحين أنهم يضيعون وقت الدرس في التفريج عن عُقد متجمعة لديهم، فهذه فرصة أن وجدوا جمهوراً كبيراً يستمع إلى ما يقولون كما يختارون، دون مقاطعة أو نقد أو احتجاج، تجد بعضهم يحكي أمام طلابه بطولات له لم تقع، أو وقعت فزاد في مجالات البطولة فيها، وأخفى نواقصه، وعلى هذا فهو يحورها ويشكلها بالقالب الذي يناسب كبرياءه، ويبني له مجداً في أذهان الطلاب المفتوحة رغماً عنها.

وهناك من بين المدرسين من طبع كتاباً أو كتباً، أجبره على تأليفها أن الترقية من درجة علمية إلى أخرى تتوقف على هذا التأليف، ومحتوى بعض هذه الكتب لا يزيد عن أن يكون قصاصات أو اقتباسات من كتب أخرى، لم يزد جهده عن أن قام بإلصاق

بعضها ببعض مع تحريف كبير أو تحريف طفيف، لا يزيد عن أداة اللصق. وقد علق أحد الطلاب على مثل هذا العمل على أنه ضمان لنا نحن الطلاب أن الأستاذ قد «ذاكر»، ورجع إلى بعض الكتب، ولم يجتر ما كان حفظه من أيام دراسته.

ومن الآفات أن يكثر المدرس من الإحالة بين آن وآخر إلى كتابه، وإلى الفصل المقصود منه، ولكن مثل هذا المدرس لا يحرم طلابه من أن يكافئهم في نهاية العام على صبرهم عليه، وتشجيعهم له بالصمت ليستمر في إغراقهم بالاستماع إلى إنجازاته الخيالية، بأن يحدد لهم الفصول التي ستأتي منها أسئلة الإختبار النهائي، فيوفر عليهم بهذا جهداً كبيراً.

وبعض هذه الكتب يبدأ المدرس طباعتها من أول العام، ويأخذ الطلاب ملازمَ تباعاً، أولاً فأول، وبهذا

يضمن المدرس أن عدداً من كتبه ابتيع، وقد يفيده هذا في أن يعدل في هذه الملازم إذا أبدى أحد ملاحظة، أو هو اكتشف وهو يحاضر إضافة أو وجوب حذف، وهذه المبالغ المدفوعة مقدماً تساعد المدرس على دفع المبلغ المقدم للمطابع.

والبون شاسع بين هذا المدرس والمدرس الذي يشد الطلاب إليه، ويأخذ بلبهم، ويحرص الطلاب أن يلتحقوا بفصله، ومثل هذا ينضبط الفصل تلقائياً معه فهو لا يحتاج إلى تهدئة الطلاب، أو طلب الإنصات له منهم، وقد يكون هذا المدرس حازماً شديداً، ولكن الطلاب يحترمونه ويقدرونه، ولا يجدون طريقاً لانتقاده، وإذا كان هناك نقص فهو منهم لا منه، ومثل هذا يطمئن الطلاب إلى عدله في إعطاء النتائج العادلة عند الإختبار، لأنه صاحب أمانة وذمة وقبل أن يحكمهم

حكم نفسه، وأخضعها لكل المُثل التي يُدرِّسها، أو يتطرق إليها عرضاً في درسه، والأساتذة في دار العلوم أمامي الآن في ذهني بقسميهم، الممتدح وغير الممتدح، ولكني لن أذكر أحداً منهما، وقد يقال أنه كان عليَّ أن أذكر الممتدحين، ولكن بما أن الإثنين معروفا الأسماء فبعملية حسابية سهلة يمكن أن يعرف هؤلاء من هؤلاء، على أن حُكمي اليوم مبني على نظرتي عنهم عندما كنت طالباً، ولم أكن بالنضج الكامل الذي يجعلني أتخلص من شعور الطلاب المسيطر حينئذ، والذي قد لا يكون خالياً من التحيز، ومراعاة مصلحة الطالب في نظره، وهي قد لا تكون مصيبة.

وعند التعمق في أسباب نفرة الطلاب من الدروس قد يتبين أن الأمر لا يقف اللوم وحده على الأساتذة وحدهم، فالطلاب كذلك يعدون عاملاً من عوامل

النفور من المحاضرات، لأنهم أصبحوا في مرحلتهم الجامعية يعتقدون أنهم يستطيعون أن يحصلوا على المعلومات من غير إرشاد المدرسين، وأن ما ينقصهم هو التوجيه إلى طرق البحث، والتدريب عليها، ليستفيدوا منها عندما ينتقلون إلى المراحل العليا، ولتنفعهم في حياتهم العملية أياً كان نوعها، لأن في طرق البحث ما يرشد إلى حسن التصرف أمام متطلبات الحياة، سواء ابتكاراً أو ابتداعاً، أو معالجة لخلل حدث، ولم يكن الوسط الجامعي كله قد استعد لمثل ذلك، وإن كان من تخرج من جامعات خارجية عرف منها قيمة مثل هذا النهج، وبقيت بعض الكليات الجامعية أشبه بثانويات مكبرة، انبعاجها في حشو المعلومات، والإتيان بها في الاختبارات، وبعد الاختبار ينسى الكثير منها، إلا ما يبقى أساساً

لما سوف يُعطى في السنة التالية أو التي بعدها. وهذه الصفة لم تكن في الجامعات المصرية فقط، بل تعدتها إلى الجامعات العربية الأخرى.

لهذا كنا نفرح بترك المحاضرات ونرحب بالإضراب، لا لأننا سوف نذهب إذا كنا مجتهدين وجادين إلى المكتبة لنعوض ما افتقدناه، ونملأ روحنا بما نختاره مما يريح نفوسنا، ولكن لنرتاح فقط من وعثاء هذه الدروس، إذ لم نكن بحال من النضج تجذبنا إلى المذاكرة، أو الذهاب إلى المكتبة التي لم تكن معدة إعداداً يغري الطلاب بالذهاب إليها، وقد تغيرت حالها بعد أن انضمت الكلية إلى جامعة الملك فؤاد، وبدأ الاهتمام بالمكتبة اهتماماً جُعل أحد مظاهره فتح أبواب المكتبة للقراءة والبحث والاستعارة، واكتمل هذا التنظيم تقريباً في آخر سنة من سنوات دراستي في دار العلوم، أو في السنة التي سبقتها.

وقد واكب هذا انتهاء هيئة التدريس من حل مشكلة الكراسي والرتب العلمية، التي كانت سبباً في كثير من الحساسيات التي أحد جوانبها تصنيف العلماء البارزين الذين لا يحملون شهادة الدكتوراه، وهي الأساس في ترتيب درجات المدرسين إذا لم يكن لهم بحوث أو مؤلفات موثقة جامعياً.

وسأكتفي بهذا عن الإضراب، وأرجو أن يكون قد أعطى صورة قريبة من الواقع عندما يضاف إليها ما جاء أثناء التعليق على النصوص التي وردت مؤرخة في المفكرة، وميزتها أن أيامها موثقة تاريخاً، وتبين الفصل من السنة، وتبين مناسبة تنظيمها وطريقته..

وأعود لأكمل الأيام المدونة في المفكرة.

***

السبت ١٤ ربيع الأول/ ١٦ فبراير:

النص:

«كان يوم إضراب».

***

يلاحظ أن هذا اليوم هو أول يوم بعد انتهاء إجازة منتصف العام. والعودة بعد الإجازة عادة تكون ثقيلة على المُجاز سواء كان طالباً أو موظفاً أو عاملاً. وهذا أمر طبعي، فبدء العمل أياً كان يمثل التعب بعد الراحة، والقيد بعد الحرية، والإعطاء بعد الأخذ، ولهذا تلمَّس الطلاب هنا ـ كما هي عادتهم ـ مهرباً من الدراسة مثلما يتلمسها الموظف والعامل، ولكن الطلاب يفوزون بقصب السبق في هذا. وأيام العمل مظلومة لأن الطالب يأخذ منها راحة قبل بدئها

وبعد نهايتها، فيوم السبت ويوم الأحد مهددان، ويوم الأربعاء مهدد، والموظفون لهم طرقهم في التحايل على يوم السبت والأربعاء، فهذا مريض، وهذا يريد إجازة اضطرارية وهي حق أعطاه إياه النظام، وتنقص هذه الإفادة في المفكرة لعدم ذكر السبب، ولعله سبب غير مقبول، أو مهتز الصورة؛ ولهذا لم أهتم بتدوينه.

الأحد ١٥ ربيع الأول/ ١٧ فبراير:

النص:

«كان يوم إضراب».

***

الإثنين ١٦ ربيع الأول/ ١٨ فبراير:

النص:

«كان يوم إضراب».

***

الثلاثاء ١٧ ربيع الأول/ ١٩ فبراير :

النص:

«كان يوم إضراب».

***

إن كان السبب في هذا اليوم والأيام التي قبله مجهولاً، فقد حدث في هذا اليوم حادث هزّ مصر، وسيجد فيه الطلاب حجة قوية للاضراب ولكن للأسف جاء هذا الحادث في نهاية الأسبوع، ولهذا لن يستفاد منه الفائدة المتكاملة.

«كان هذا اليوم يوم وفاة «المرحوم» أحمد حسنين

باشا في حاث اصطدام سيارة رِفْعَتْه مع سيارة للانكليز على كوبري الإسماعيلية، وحصول الاصطدام من السيارة الانكليزية اللوري».

***

جرت العادة في تلك الأيام أن يفسّر مثل هذا الحادث أنه عمل مرتب، وأنه جاء بعد تنظيم دقيق، ومراقبة لخط سير الباشا، وأوقات مروره على الطرق التي اعتاد أن يسير عليها، وسوء الظن هذا أوجبه تكرر مثل هذا الحادث، وأخذه نمطاً واحداً، ونسقاً متشابهاً، يوحي بأنه أسلوب متعمد للتخلص من الخصوم السياسيين.

يلاحظ أنه ورد في النص كلمة «المرحوم»، ولم أكن أعرف في تلك الأيام أن هناك اعتراضاً على قولها

لأنه لا يُزكَّى على الله أحد، وأنه يلزم أن يقال: «فلان رَحِمَهُ اللهُ» أو «المرحوم بإذن الله» أو «إن شاء الله». وقد علمت أن بعض العلماء البارزين أجاز قول «المرحوم» تفاؤلاً بأن الله سوف يرحمه.

وأذكر منظراً في فيلم يمثل الطبقة «الأروستقراطية»، فيه لمحة استهزاء، وتقوم بالدور في هذا الفيلم الممثلة «علوية جميل»، وهي دائماً تمثل المرأة «الأروستقراطية»، وكان لها ابن توفي والده «الباشا أو البيك»، وجاءت الكلمة على لسان الابن وهو يتحدث عن والده، فقال عنه «المرحوم»، فنهرته أمه، وقالت: لا تقل «المرحوم»، وإنما قل «المغفور له». وهذا التعبير في نظرها أنسب لمن هو مثل والده من علية القوم.

الأربعاء ١٨ ربيع الأول/ ٢٠ فبراير:

النص:

«كان يوم إضراب».

***

هذا يعني أن الإضراب استمر من يوم السبت إلى هذا اليوم، ولابد أن وقوداً يوضع على لهبه ليشتعل ولا يخمد، وسنرى غداً إلى أي مدى وصل، نتيجة الجهد المبذول.

الخميس ١٩ ربيع الأول/ ٢١ فبراير:

النص:

«كان يوماً مهيلاً جداً، أضرب فيه الشعب أجمع، وكانت الحادثة التي وقعت للتلاميذ والعمال في ميدان

«قصر النيل» مع الإنكليز وضرب الإنكليز لهم بالرصاص. كنا وقت الحادث في «باب اللوق» مع الأخ عبدالرحمن المزروع عند الدكتور مع عبدالرحمن الحقيل. رجعنا إلى البيت، ونحمد الله على السلامة. انقطعت المواصلات، وأغلقت المتاجر، كان ليلة العطلة الإسبوعية، ولكن إدارة البعثة منعتنا من الخروج».

***

هذا يوم مشهور، ودخل في تاريخ مصر بأحرف بارزة، وأثّر على علاقة مصر بالإنجليز، والإضرابات السابقة هي التي أوصلت إليه، فكانت إرهاصاً له. ووصول الطلاب المضربين إلى «عش الدبابير» كان لا بد أن ينتهي بمثل هذه المأساة، التي هزت كيان المواطنين، وأعطت حجة ضد الحكومة، انتهزتها أحزاب المعارضة.

الإشارة إلى ذهابنا إلى عياة أحد الدكاترة عمل دائم لأعضاء البعثة، فهم يساعدون من يقدم من المملكة للعلاج، لأن عندهم خبرة بالمشهور من الأطباء في كل تخصص، وقد يكون الطبيب الذي ذهبنا إليه طبيب عيون، استفاد من مراجعته الأخ عبدالرحمن بن إبراهيم الحقيل، أو اختصاصياً آخر، استفاد منه الأخ عبدالرحمن المزروع، فيما يشكو منه. وكثيراً ما يراجع الأطباء من لم يأت للعلاج، ولكن وجوده في مصر يعطيه الفرصة للكشف العام، وقد يتبين أن به مرضاً يستحق المبادرة بالعلاج، لم يكن يدري عنه، أو يتوقعه.

ولابد أننا أوصلنا أخوينا عبدالرحمن وعبدالرحمن إلى فندق كل واحد منهما، وعدنا إلى البعثة راجلين. وفي الغالب نحن، أنا ومصطفى، وعدنا على الأقدام،

فهادمنا في «باب اللوق»، فالمواصلات سواء كانت ترماي أو حافلة لابد أن تمر بميدان قصر النيل المتصل بموقع الحادثة، ويؤكد تأزم الأمر وخطورته أننا حمدنا الله على السلامة، من قلوبنا، وبإخلاص. وكان الإضراب كاملاً فلم تتوقف المواصلات فقط بل تبعتها كما هو متوقع المتاجر، والمتاجر تقفل لأن هناك خطراً على من فيها من الجمهور، وهو خطر يأتي من زاوية قد لا تكون متوقعة، هذا جانب والجانب الآخر في الأمر أن العاملين في هذه المتاجر يجدونها فرصة يحتجون بها على عدم المجيء إلى العمل، أو تركه إذا كانوا وصلوا قبل بدء الإضراب والحوادث. وقد قدرت إدارة البعثة مدى خطورة الموقف فمنعت الطلاب من الخروج هذه الليلة.

كتبت في هذا اليوم خطاباً لأخي حمد طويلاً، فيه

عتب عليه على قصر خطاباته التي يرسلها لي، ونقص المعلومات التي كنت أود أن أعرفها، ومناقشة له على ذلك، وتلمس الأسباب لها. وفيه رد لاتهامه لي بانقطاع المراسلة، وحديث عن مجلة المنهل، وحثه على الاشتراك في مجلتي «الاثنين» و«المصور» وفيه مداعبات، وتلطف. وسوف إن شاء الله أصور هذا الخطاب في ملحقات هذا الجزء مع طبع محتواه.

الجمعة ٢٠ ربيع الأول/ ٢٢ فبراير:

النص:

«صليت الجمعة في المسجد الذي بجوار استديو مصر».

***

وهذا في وسط المدينة، وهذا يعني أن المواصلات قد بدأت تعمل، وأن الأمور هادئة. والمضربون نادراً

ما يهدرون وقت راحتهم يوم الجمعة بالخروج للطواف في الشوارع. وقد تكون صلاتي في هذا المسجد المفضل توحي بأني دخلت السينما بعد الصلاة، سواء في سينما «ستوديو مصر» أو في سينما أخرى قريبة منها.

السبت ٢١ ربيع الأول/ ٢٢ فبراير:

النص:

«ورد إليَّ كتاب من مكة من الأخ عبدالرحمن العبدالله، وأخي حمد، ورددت جوابه، وسأرسله - إن شاء الله غداً - وزرنا في العصر الأخ عبدالرحمن المزروع، كان هذا اليوم عطلة على أثر الإضراب الذي سيدوم إلى يوم الإثنين».

***

هذا يؤكد أن الأخ حمد والأخ عبدالرحمن العبدالله أبا الخيل لا يزالان في مكة، وقد حرصت على أن أبادر في الرد حتى لا أُلام، وحتى أتطلع إلى سرعة خطاب يأتي منهما أو من أحدهما.

وقد انتهزت فرصة أني لم أخرج في صباح ذلك اليوم فنزلت إلى داخل القاهرة للإجتماع بالأخ عبدالرحمن المزروع. وكان هذا اليوم يوم إضراب استمراراً لإضراب الأسبوع الماضي، وسيدوم الإضراب إلى يوم الإثنين، ويعني هذا أنه لا دراسة. ونزولي بعد العصر لأني متأكد أنه ليس هناك ما يُخشى منه، لأن الإضراب عادة في الصباح، ولا أذكر أنه بدأ في العصر أو في المساء.

***

بعد هذا التاريخ تسكت المفكرة عن التسجيل إلى يوم الخميس ٢ جمادى الأولى ٤ أبريل.

الخميس ٢ جمادى الأولى/ ٤ أبريل:

النص:

«في هذا اليوم ولد للأستاذ إبراهيم السويل مولود».

***

كان أستاذي إبراهيم العبدالله السويل السكرتير الأول في السفارة العربية السعودية في القاهرة، وكان السفير عبدالله الفضل، ولعل هذا المولود هو ابنه فيصل وبعده وُلد سعود.

وأذكر أنه عندما بلغ هذا المولود اليوم السابع، دعانا الأستاذ إبراهيم إلى مأدبة في بيته، واختار أسماءً

منتقاة من طلاب البعثة، وكان على رأس المدعوين الشيخ عبدالعزيز الفوزان رَحِمَهُ اللهُ وهو خال الصديق صالح العبدالله الشلفان، وكان صالح من جملة المدعوين، وكذلك الأستاذ أحمد المبارك، وهو صديق قديم لإبراهيم. وكان من جملة المدعوين أيضاً الأخ خالد الحمد الحمدان، ويبدو أن الكُلفة مرفوعة بينه وبين الشيخ عبدالعزيز الفوزان، وعندما دخلنا غرفة السفرة رأى الشيخ عبدالعزيز لوحة جميلة معلقة في الصالون، تمثل منظراً ريفياً بديعاً، فأمر الشيخ الخدم بنزعها من مكانها ووضعها في سيارته، ففعلوا. فلما جلسنا على السفرة غافلنا خالد الحمد، وأخذها من السيارة، وخبأها تحت الدرج. فلما خرج الشيخ عبدالعزيز وأراد أن يركب السيارة نظر فلم يجد اللوحة فحلف أن لا يتحرك من مكانه حتى تُحضر الصورة، فاضطر خالد

أمام نظرات استجداء الواقفين، ومن بينهم الأستاذ إبراهيم، أن يحضرها، ويضعها في السيارة، وهذا المنظر يمرّ الآن أمامي كأنه مسجل على شريط.

وأذكر أيضاً أن هناك مجلة هزيلة، محدودة التوزيع، يكاد توزيعها لا يتعدى السعوديين، وبالذات رجال السلك الدبلوماسي وأعضاء البعثة، وهي ملك رجل نشط في هذا التوزيع، وقد وضع صورة ابن الأستاذ إبراهيم، المولود حديثاً، على صورة الغلاف، ولهذا الرجل قصة مع الأخ محمد العنقري، سوف أذكرها تحت عنوان «المقالب» الذي سوف يأتي آجلاً إن شاء الله.

والشيخ عبدالعزيز الفوزان كان قد حضر إلى مصر في مهمة معينة، وُكلت إليه للثقة فيه أمانة و «قدرة»، وكانت هذه المهمة شراء بعض مخلفات الإنجليز من

الطائرات، لتكون نواة للأسطول التجاري السعودي، وقد تم شراء بعض منها، وكان قد سكن عند مجيئه في شقة في المنيرة، وهو حي راق، وزرته مع ابن أخته صالح العبدالله الشلفان، وكان عنده عبداللطيف جزار، الذي يبدو أنه جاء برفقته، وفي الذهن جعله مسؤولاً عن الطيران التجاري.

والشيخ عبدالعزيز الفوزان ـ حسب ما فهمت ـ كان مديراً لجراج الملك عبدالعزيز في الرياض، وكان من الأهمية بمكان لمنصبه، ولشخصه القوي، ولأهمية هذا العمل المنوط به ودوره في إقامة الملك عبدالعزيز وسفره، وسمعت، وقد يكون ذلك عند تسليمه عمله في الجراج تمهيداً لانتقاله لعمل آخر ـ أن الملك عبدالعزيز طلب من الوالد، وكان حينئذ مدير مالية الرياض، أن

يحاسبه، وقيل عنه بعض ما استوجب ذلك، ولكن الوالد لم يجد عليه شيئاً، وثبتت أمانته وكفايته. وقد شعرت بشيء من حرارة الاستقبال عندما زرته، وقد يكون لعمل الوالد معه صدى في هذا.

ومادام أن الحديث عن الشيخ عبدالعزيز الفوزان، فهناك أمر يخص بعض العاملين عنده في «الجراج»، كان الأخ عبدالله السليمان المزيد العمرو رحمه الله خال أخي محمد يعمل موظفاً في «الجراج»، ويعود من عمله كل يوم عند أذان المغرب، ويصلي قبل أن يدخل من باب «الدروازة» بوابة الرياض، ثم إذا دخل صلى في أول مسجد يكون في طريقه، فإذا اقترب من بيته صلى في مسجد لصيق لبيته، لأن رجال الهيئة نشطون في هذا الوقت ولا يقبلون الأعذار، ويجد السائر أنه أفضل له

أن يصلي مرة أخرى من أن يحاول أن يقنعهم أنه قد صلى، ولولا ذلك لادعى من لم يصلِّ أنه صلى. هذه الرواية يرويها هو نفسه. وفي إحدى المرات لم يصلِّ الفجر، فاستوجب الأمر أن يُجلد جلدات خفيفة، فكان يقول وهم يجلدونه: «عسى ما يؤدبنا غيركم»، وهو رحمه الله فَكِه، وعنده قصص طريفة، وكان رحمه الله لا يُمل حديثه، وقد سبق أن تحدثت عنه في جزء سابق[1].

السبت ١٨ جمادى الأولى/ ٢٠ أبريل :

النص:

«أخذنا عند الأستاذ شبلي الدرس الأول في المنطق من الساعة الرابعة إلى الساعة الخامسة والنصف».

***

(١) انظر: الجزء (الخامس) ص ٥٦.

كان بعضنا من طلاب دار العلوم يجد صعوبة في درس المنطق، وكانت مادة مهمة، وكان في ميزانية البعثة مبلغ مخصص للدروس الخصوصية، إيماناً بضعف الطلاب في بعض المواد، وحرصاً على تفادي النقص عندهم، فاتفقنا أن نبحث عن أستاذ خاص، ووفقنا الله لشخص أزهري نبيل اسمه الشيخ شبلي، ضليع في علم المنطق. وكان يسكن في منزل في السيدة «زينب»، فنذهب إليه هناك، بجميع مستوياتنا الدراسية، وأذكر أنه يشاركنا هذا الدرس الأستاذ عبدالعزيز الربيع رحمه الله، وهو قد سبقنا في الدراسة، وهو في فصل أعلى منا، وكان المدرس طيباً كريماً، ويقدم لنا الشاي والبسكوت. وكان رحمه الله نظيف الملبس، جميل المظهر، يستقبلنا بكامل لباسه الأزهري، وكنا نستفيد منه. ولا أزال أذكر أنواع المواصلات التي نضطر في

مرحلة من مراحل الطريق إلى اتخاذها، لأن بيته ليس على الشارع العام، ولا قريباً منه، فنضطر إلى ركوب عربة «حنطور»، ولعلها المرة الأولى والأخيرة في حياتي لركوبها حسب ما أذكر. وكنا نمر ببعض الفلل الفخمة في هذا الحي القديم، وكان مظهرها يدل على أهميتها في زمن مضى، وأهمية الحي الذي تقع فيه، لأن أحواشها واسعة، وطرازها متميز، وتنفيذها متقن، وأشجارها باسقة مزهرة، يدل كل ذلك أنها كانت في يوم من الأيام بيوت عز، والحي حي عزيز، أدبر عنه زمنه.

وليس في النص ما يدل على الوقت الذي نقضيه في الطريق، وإن كنا نعرف الوقت الذي نصل فيه إلى بيت الشيخ ـ عليه رحمة الله ـ وهو الساعة الرابعة عصراً، ونغادر في الساعة الخامسة والنصف، ولكننا كنا نشعر أن الوقت الذي نقضيه في الذهاب والإياب لا يتناسب

مع وقت الدرس، ولكننا لا نتذمر، لأن المبالغ تدفعها إدارة البعثة، وفي رحلتنا ترويح نفس، ومتعة التجمع عامل مضاف إلى ذلك. على أن الفترة لم تكن طويلة، لأن الدروس الخصوصية تبدأ إلحاقاً في آخر العام، عندما يشعر الطالب أنه متأخر عن الركب.

والدروس الخصوصية إذا وضع لها برنامج متقن، يضمن فائدتها وعدم ضررها، فهي ذات فائدة عظمى، وكنت أدعو إلى ذلك دائماً، لأن الفصول في مدارسنا مكتظة، والمدرس لا يستطيع أن يساعد إلا من يساعد نفسه، بأن يذاكر له أهله، أو يأتون له بمدرس خصوصي سرّاً، أو يكون نابغة، وتبدأ الصعوبة من أول العام، ثم تتكدس مع مرور الأيام، ويتبين الخلل كبيراً في آخر العام.

ومن الحجج التي يتقدم بها من لا يرون صواب السماح بالدروس الخصوصية، أنهم يخشون أن يراعي المدرس من يعطيه دروساً خصوصية ويهمل الباقين، وقد يتهاون في درسه حتى يجبر الطلاب على أخذ دروس خصوصية، وهذا له دواء وهو أن لا يسمح للمدرس أن يعطي دروساً لأحد من طلاب مدرسته، أما في القرى فيمكن مراقبة الوضع لقلة الطلاب، وسهولة المراقبة. وكنا في مكة نُعطَى دروساً خصوصية في الدروس الصعبة، نتلقاها في الحرم، وبدون مقابل، وكانت تفيدنا فائدة جُلَّى. والتسليم بصحة إعطاء الدروس الخصوصية يقضي على التحايل القائم حالياً، وإعطاء دروس خصوصية بصورة سرية، وهذا فيه جرح للخلق، وتعويد للطلاب على التحايل، والشعور بتأنيب الضمير، وتعويد المدرسين على عادة بصورتها الحالية غير سليمة.

الأحد ١٩ جمادى الأولى/ ٢١ أبريل:

النص:

«أخذنا عند الأستاذ شبلي درس المنطق كالمعتاد، ووعدنا أن نأتي عصر الثلاثاء لدرس الشريعة».

***

ذكرت عن الدرس السابق أن هناك مبلغاً مخصصاً في ميزانية البعثة للدروس الخصوصية، وأزيد هنا أنه مخصص منه لكل طالب مبلغ معين، وكان طلاب الطب والعلوم والمحاسبة يحتاجون إليه دائماً، ولا يستغنون عنه، فوجد زملاؤهم الآخرون أنهم إذا لم يستفيدوا مما خصص لهم منه فسوف يضيع عليهم، وهذا يفسر أخذنا لدروس في الشريعة. وكان من شروط الدروس الخصوصية أن يجتمع عدد من الطلاب، ولا يسمح

لطالب واحد منفرد أن يأخذ درساً خصوصياً.

كنا نرى دائماً العظام البشرية في غرف طلاب الطب، وكان الطلاب يشترونها بأغلى الأثمان، ويستفيدون منها في الدروس الخصوصية، ولم يكن الحصول عليها علناً، ولكن يتم ذلك سراً مع بعض صغار الموظفين في المشارح في كليات الطب وفي المستشفيات.

الإثنين ٢٠ جمادى الأولى/ ٢٢ أبريل:

النص:

«هذا يوم عيد شم النسيم. مُنعت فيه البعثة من الخروج».

***

قد يبدو للوهلة الأولى هذا المنع غريباً، ولكن

عند التمعن نجد أنه قد يكون السبب فيه أن هذا العيد ليس إسلامياً، ومنع الطلبة من الخروج لفتة من الإدارة على أنه لم يغب هذا الأمر المهم عن بالها، يضاف إلى هذا أنه في هذا اليوم تخرج الأسر بأفرادها إلى الحدائق، متجملين فرحين.

ولا أذكر أن هذا المنع استمر في السنوات اللاحقة، وقد يكون السبب أنه لم يكن مقبولاً ولا عملياً، خاصة وأن الطلاب وجدوا طرقاً للتسرب إلى الخارج إما لواذاً، وإما تحت أعذار المرض، أو قضاء حاجات.

الإثنين ٥ جمادى الآخرة/ ٦ مايو:

النص:

«حاطه الخطب الجسيم

فتوارى في ستور الحلك

وتبـدى يحـدث الشـك
ومـن أي الطـرق سـلك
تتعالـى اللهفـة الحـرَّى
ماضـره لـو كـان مـلك»

***

وجدت هذه الأبيات قد كتبت في صفحة هذا التاريخ، وسبب كتابتها في الغالب استحساني لها، وكان بودي أني كتبت اسم قائلها والمصدر.

***

هذه نهاية ما دوِّن في هذه المفكرة، وما فيها يوحي بقيمة ما في المفكرات الأخرى المضاعة، ويبدو أن عدم إكمالي لأيام هذه المفكرة هو وقوعي على أخرى حقول صفحاتها أوسع.

بعض

ما وَعَتْهُ الذاكرة

سباحة الروح:

في الأحلام غموض، فبعضها أضغاث أحلام، ولا يستدل منه على شيء، وقد يكون جاء في النوم تنفيساً عن مخزون لم يُبح به النائم لأحد، وقد يحوم الحلم حول أمر حرم منه الحالم، وبقي في مخيلته، وجاء في النوم لامساً لجانب من جوانب التفكير في النهار، ونوع من الأحلام هو صدى لما يمر على الإنسان في النهار، ولهذا يقولون في عنيزة: «أحلام أهل نجد حديث قلوبها».

وأحلام تأتي بصفة رموز يفسرها أناس أعطاهم الله المقدرة على فتح مغلقها، وكان من أوثق الأخبار عن هذه قصة يوسف عليه السلام مع حلم فرعون، وهي تُري بوضوح المسافة بين اللغز والتفسير، مما يكشف أن

هناك بصيرة ثاقبة وهبها الله لبعض عباده، وقصة أحد أبناء آل الشيخ، وهو يلقب على ما فهمت «بالمصري»، لعل ذلك لبقائه في مصر مدة طويلة، مشهورة وهي أن أحد آل الشيخ رأى رؤيا، وأحب أن يعرف تفسيرها لما فيها من بشاعة، وطلب من شخص أن يذهب إلى المصري، وهو معروف بصحة تفسيره للأحلام، ولكنه قال للرسول: «ادَّعِ أنك رأيت هذه الرؤيا، ولا تخبره أني أنا الذي رأيتها». فذهب الرسول إلى «المصري»، فجاءه وقص عليه الحلم، وأنه رأى أنه يبول أمام الكعبة.

فقال له: لا يمكن أن تكون أنت الذي رأيت هذا الحلم، وإذا لم تخبرني من هو رائيه، فلن أفسره لك.

فعاد الخادم إلى صاحب الحلم، وأخبره بما قاله ابن

الشيخ «المصري»، فسمح له بأن يخبره بالحقيقة، فعاد وأخبره.

قال قل له: والله أعلم، أنه سيخطب في الحرم، وهذا قبل دخول الملك عبدالعزيز مكة.

وقد تحقق هذا الحلم، فبعد دخول الملك عبدالعزيز مكة خطب صاحب الحلم أمام الكعبة.

وورد في التراث الشعبي رؤًى تفسيرها يمشي مع المنطق الذي يقرن بين الحلم والتفسير، مثل الذي جاء لقاضي البلدة، وأخبره أنه رأى أنه في الحلم يكسر البيض، ويأكل البياض فقط ويرمي صفاره، وأنه رأى هذا الحلم مراراً في منامه، فأشهد القاضي الحاضر من الناس في مجلسه، ثم أمر بتعزيره، وقال: إنك نبَّاش قبور تأخذ الأكفان من على الموتى، وقد صح تفسير

القاضي، وهذا التفسير كذلك قريب المسافة من مظهر الحلم.

وهناك أمر يخص الروح، يأتي في أوقات أقرب ما يكون الإنسان من الضعف، إما لمرض، أو لعاطفة قوية كتلك التي تكون بين الآباء والأمهات مع أولادهم والأولاد ووالديهم، والحكام وبعض رعيتهم، والمثل لهذه موقف عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقد رأى «سارية» قائد جيش المسلمين، في ميدان المعركة، وأمره، وهو في المدينة على بُعد مئات الأميال، أن يلجأ إلى الجبل، فيحمي به ظهر جيشه، وسمعه سارية وهو يقول: «يا سارية الجبل»، فلجأ إلى الجبل وحمى ظهره وجيشه به، وحماه الله بهذا. هذه الصلة الروحية بين قائد حاكم، ذهنه مشغول بجيشه، فُتح له نافذة

رأى منها ما لم يره أحد من جلسائه، فما هو السر وراء ذلك، وهل لهذا قاعدة يمكن أن يستفاد منها في يوم من الأيام. وكان الغربيون يسخرون من هذه الحادثة، ثم عادوا بعدما توغلوا في بحوث «التِلِبَّثِي»، وآمنوا بها، واتخذها بعضهم قاعدة ينطلق منها إلى حديثه عن هذا الفن.

أقول هذا كله تمهيداً لحادثة شاهدتها، ومشيت خطوة خطوة مع سيرها، وهي ثاني حادثة في تاريخ حياتي، والأولى ذكرتها في ذكرياتي في مكة عندما أيقظ جدي والدتي وهو ميت يخبرها بسيل مكة العظيم، المشهور بسيل الأربعاء في عام ١٣٦٠هـ[١].

والقصة التي أنا بصدد قصّها حدثت هكذا:

(١) انظر: (الجزء الخامس) ص ٦١.

سبق أن ذكرت قرابتي مع معالي الأخ عبدالرحمن العبدالله أبا الخيل[1]، وكنا طلاباً في البعثة، وكان عبدالرحمن يسكن مع عدد من الزملاء في شقة استؤجرت لهم في شارع حافظ إبراهيم، في حي الروضة، قرب مبنى البعثة الرئيس، وفي يوم من الأيام أُخبرت أنه مريض، فسارعت لزيارته، فوجدت أن الزميل صادق رفيق قد أحمى ملعقة، وكوى بها عرقوبيه، ظناً أن ما به «خاطر»، و «الخاطر» هذا دواؤه في الطائف، وفي بعض بلدان المملكة، وكان المكوى طُولاً وعرضاً على شكل صليب. وهالني الأمر وأنّبتهم على هذا الفعل، وقلت لهم إننا في بلد في كل عمارة فيه فيها عدد من الأطباء ونأتي نحن ونلجأ إلى مثل هذا العلاج البدائي، وبادرت باستدعاء طبيب البعثة الدكتور عمر أسعد،

(١) انظر: (ج ٢، ص: ١٣٣).

وبعد الكشف الأوَّلي شك أن المرض تيفوئيد، ثم تأكد ذلك، وأُخذ عبدالرحمن إلى مستشفى الحميات في العباسية، وهي ضاحية من ضواحي القاهرة، والمريض فيها لا يُزار إلا بإذن، خوفاً من العدوى، واستطعت أنا والأخ يوسف الحميدان رحمه الله أن نأخذ إذناً بزيارة الأخ عبدالرحمن مرة في الأسبوع، وواظبنا على الزيارة، وكنا نتابع تدهور صحته، وفي مرحلة من المراحل يئسنا منه، ثم جئته كالمعتاد في أحد أيام الخميس، ووجدته قد دخل في إغماءة، ولم يكن البنسلين قد اكتُشف بعد، وكانت الأدوية محاليل ذات ألوان مختلفة، وقد تجمّدت في مقدمة فمه كأنها «بويات» أصباغٍ، لأنه لا يبتلعها أو لا يبتلع منها إلا القليل. ومر عليَّ الأسبوع ثقيلاً، ولما عدت في يوم الخميس التالي وجدته قد تحسن قليلاً، ودبّت الحياة فيه مرة أخرى، ولكنه لا يستطيع

الحديث، وإذا حاول فإنه لا يبين. وطمأنني من حوله من المعتنين به من أطباء وممرضات، أن الأمر أصبح أمر وقت، ثم عدته بعد أسبوع فوجدته في حال أفضل وبإمكانه أن يتكلم، ولكن الكلام يخرج منه كأنه يخرج من قاع بئر بعيد، ولا يكاد يفهم. وبعد لأي فهمت منه أن والدته توفيت في يوم حدده، وأنه شيعها أناس من بينهم فلان وفلان، وصلّوا عليها في المسجد الفلاني بعنيزة، وأن الأستاذ عبدالمحسن الناصر الصالح كان من جملة المشيعين، وأنه رثاها بقصيدة.

فقلت له: إن هذه «خذاريف» الحمى، وأن والدته هي أعزّ من عنده في الوجود، وهو يعرف أنها مريضة بالصدر، وهو مرض معها له أكثر من خمسة عشر عاماً، وأن هذه الأفكار والعواطف تجمعت فرسمت له هذه الصورة القاتمة.

وقلت له إن الخطابات لك يتوالى مجيؤها، وهي مجموعة عندي، وسوف أحضرها معي في الأسبوع القادم ـ إن شاء الله ـ وسوف تجد فيها ما يطمئنك على صحة الوالدة، فعليك أن تزيح هذه الأفكار السوداء من ذهنك، فأنت في حاجة إلى راحة البال مثل حاجتك إلى راحة البدن.

وفي الأسبوع الثاني جئت زائراً، فوجدته في صحة أحسن من قبل، وكانت الخطابات معي، كما وعدته، وكان من بينها ظرف «سمين» أسمر رأيت أن أبدأ به، ففضضته، ونظرت فيه، فإذا هو خطاب من الأستاذ عبدالمحسن الناصر الصالح رحمه الله وفيه يشرح عن وفاة والدة معالي الأخ عبدالرحمن، وتاريخ وفاتها، ويعدد المشيعين، ويذكر المسجد والمقبرة، ورثاءه لها، وأرفق قصيدة الرثاء. ولم يفاجأ عبدالرحمن بالخبر،

فلقد كان معايشاً للحدث.

والتيفوئيد كان مرضاً قاتلاً في تلك الحقبة، لأن الأدوية بعد الحرب لم تنل من البحوث ما كان يجب أن تناله، لانشغال علماء الغرب ومصانعها بما تحتاجه الحرب، وقد راح ضحية هذا المرض شاب من خيرة الشباب في البعثة، وزميل قديم لنا، ومحبوب للجميع، وشعرنا بفقده، وهو محمود أبّار رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

صدى الزلزال:

الزلزال الذي يحدث في اليونان يصل صداه إلى مصر، ولكنه يأتي إليها خفيفاً. وأذكر أني كنت نائماً في ضحى أحد أيام رمضان في غرفتي في الشقة «المحذوفة»، فأحسست بحركة في السرير، ظننت أنها قطة تتحكك فيه، فنهضت، ونظرت حولي وتحت

السرير، فلم أر شيئاً، وكان الباب مقفلاً، فلم أعر الأمر كبير اهتمام، وأوَّلت الأمر بأنه حلم، فلما جاءت الساعة الثانية والنصف ـ على ما أظن ـ أذيع في الأخبار أنه حدث اليوم زلزال في اليونان، بقوة كذا...، وأن أهل القاهرة أحسوا به في الساعة العاشرة، وتبين لي أنها اللحظة التي شعرت فيها بأن السرير يهتز قليلاً.

مع الأستاذ الحبيب عمر رفيع:

الأستاذ عمر رفيع رجل خيِّر، يتصرف مع الطلاب تصرف والد حنون، وهو مساعد مدير البعثة، وعُرف عنه أنه خطاط ماهر. وكان أحياناً يمر على الطلاب مع السيد ولي الدين أسعد، وأحياناً وحده. وعندما كنا في الشقة «المحذوفة» زارنا رحمه الله وكان مكان سريري تحت خشبة كبيرة في السقف، تساعد في حمل

السقف الذي بُني على عجل في أيام الحرب، وكان بها شرخ واضح، فلفت نظره رحمه الله إلى خطورتها إذا زاد الشرخ. فقال لي:

أبداً لن يزيد، ولن تسقط، وإن سقطت فعليَّ.

فضحكت، وقلت له: إن سقطت فسيكون سقوطها عليَّ، لأنني أنا الذي ينام تحتها.

فضحك رحمه الله بحنان، ومد يده، وقرص أُذُني مازحاً، كان رحمه الله يعطف على الطلاب، ويرعى أمورهم بأبوة حانية.

زيارة السيد ولي الدين:

السيد ولي الدين أسعد مدير البعثة، ابتعث مع أول بعثة سافرت في عام ١٣٤٦هـ، وكان زميلاه

السيد أحمد العربي الذي أصبح مديراً للمعهدين: تحضير البعثات، والمعهد العلمي السعودي، والسيد محمد شطا، المفتش الأول بإدارة المعارف العامة. وقد تخرج الثلاثة من دار العلوم، وكان السيد ولي الدين حازماً وذا تجربة في إدارة الطلاب، ومعالجة أمورهم، وتحمل مشاكلهم.

كان أحياناً يزورنا وحده، وأحياناً يصحبه في زيارته مساعده الأستاذ عمر رفيع. زارنا مرة في الشقة «المحذوفة» فأقبل الطلاب عليهما يبثونهما شكاواهم، وكثرت الشكاوى وتعددت، ورأى السيد ولي الدين أسعد أن من العقل والحكمة أن يختصر الزيارة، ووعد بأن يرسل أحداً يتتبع هذه الشكاوى، ويعالج ما يمكن معالجته. ومن جملة الشكاوى شكوى من «أفياش» الكهرباء، وأنها «أفياش حرب»، وأن الخلل الذي

فيها يزعج الطلاب، وأشار أحد الطلبة إلى «فيش» بعينه، وأنه خطر عند إعماله أو إطفائه. فقال السيد ولي الدين محاولاً تجنب النقاش:

«طيب.. طيب».

واستدار لينصرف، إلا أن الأستاذ عمر رفيع لم ير من مظهر «الفيش» ما يدل على خطورته، ومدّ يده عليه رحمه الله ليبرهن أن لا خطر منه، فلمس «الفيش»، فلذعته الكهرباء، ونفضت يده، لأن تلامساً داخلياً كان في الأسلاك، فنظر إليه السيد ولي الدين نظرة لها معنى، وكأنه يقول: «تستاهل» إذ لم تقتد بي ـ رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته ـ فذكراهما في أذهاننا عطرة، لأننا ندرك مدى ما تحملوه منا، فكنا مثال المشاغبة والإزعاج، ولا ينتهي واحد منا من أذى إلا ويبدأ أذى آخر منه أو من غيره، وبعضها يصل إلى الإدارة.

وأذكر أن السيد ولي الدين أسعد زارنا مرة في إحدى جولاته الليلية، وكنت في عصر ذلك اليوم قد ذهبت إلى السوق لأحضر بعض الثياب التي ألبسها في البيت لي وللأخ هاشم شقدار رحمه الله. وعندما عدت كانت الساعة حوالي السابعة مساءً، وكان الوقت صيفاً، وهذا الوقت وقت دخول صلاة المغرب، وكنا عادة نصلي جماعة في صالة «التوزيع»، التي تحيط بها الغرف، وكان الإخوان قد دخلوا في الصلاة، وعندما دلفت مع الباب مقبلاً على صف المصلين لاحظت أن من بينهم من يلبس الطربوش، وكنا لا نلبسه إلا في الخارج، وهذا قد لبسه في البيت وهو يصلي، فقلت:

«من هذا المغفل الذي يظن أن الله لا يقبل صلاته

إلا إذا لبس الطربوش؟».

ولم أكد أكمل الجملة حتى لاحظت أن لابس الطربوش هو مدير البعثة السيد ولي الدين أسعد، فلذت خلف الجدار حتى سجدوا، فصعدت بسرعة إلى السطح، وكانت الشقة المحذوفة في آخر طابق، تحت السطح، ولم أنزل من السطح حتى تأكدت أنه بدأ الجولة على الغرف، ولابد لي من السلام عليه، والأعتذار عن تأخري عن موعد العودة المقرر، وقلت له:

إن الأمر كان ملحاً، خاصة حاجة الأخ هاشم شقدار الذي كما ترون بدأ ثوبه يتمزق. وكان في ثوب هاشم عند الرقبة في الخلف تمزق طفيف، فأدخلت إصبعي وزدت في التمزيق شبراً، فابتسم هاشم، وقال بصوت خافت:

أنا ما ذنبي مزقت لي ثوبي؟

وأخذ يقص هذه القصة على من في المطعم، وجرت على الألسن قصة «المطب» الذي وقعت فيه مع السيد ولي الدين أسعد رحمه الله.

وحاول السيد ولي الدين أسعد أن يعرف الطالب الذي تلفظ بالألفاظ غير المؤدية، ولكن لا أحد من الطلاب أبدى أنه يعرفه. ولكنهم فيما بعد هددوني إذا لم أحضر شيئاً مقابل هذه «التغطية» فسوف يفضحون المخبَّأ، وأنا أعرف أنهم لن يفعلوا، وانفكَّت «الصُّرَّة»، وجاءت على أثر ذلك الكوكاكولا، لتهضم عشاء البعثة.

والأخ هاشم شقدار ـ رحمه الله تعالى ـ من أطيب الشخصيات التي عرفتها، واسع صدر، صافي سريرة،

محب للخير، مجدّ في دراسته، من أسرة كريمة ممتدحة، ندين بالفضل لشقيقه أستاذنا في المدرس السعودية في المعلاة جميل شقدار وأخلاقه جميلة مثل اسمه ـ رحمهما الله رحمة واسعة ـ.

وأذكر زيارة لي في الشقة المحذوفة من أحد أصدقائي، وهو الأستاذ أحمد بن علي المبارك، كان بيننا موعد للذهاب إلى خارج البعثة، فمرّ بي في هذه الشقة «المحذوفة»، وكان هناك خلل في حوض غسيل الأيدي، ويكاد السدد الذي يصيبه يصبح عادة يومية، فرآه طافحاً بالماء بما لا مزيد عليه، فقال:

امتلأ الحوض وقال قطني

مهلاً رويداً قد ملأت بطني

كان هذا استشهاداً موفقاً وفي محله، وقد أخذه

الأستاذ أحمد من شاهد من شواهد كتاب «الأشموني»، والشاهد في «قطني» ودخول الضمير عليها.

طُرف ومقالب:

من المتوقع أن يكون في مجتمع البعثة طُرَف ومقالب، وتأتي الطرف من مجيء الطلاب من بيئة محافظة مقفلة، إلى بيئة متحررة مفتوح بابها على مصراعيه، والمقالب جانب من جوانب الترفيه في هذا المجتمع الطلابي المصطخب، تأتي أحياناً طفيفة، وأحياناً مركبة، ويأتي رد الفعل فيها مثلها، إن كانت الأولى أو الثانية.

وقد أوردت بعضاً منها في أول هذا الجزء[1]، وقطعت سلسلة انتظامها خوفاً من الملل من ناحية، وزيادة في التشويق من ناحية أخرى، ومن هذه الأمور

---

(١) انظر: (ص ٦٠ من هذا الجزء).

المسلية الموقف الآتي:

الحمام مسرح من مسارح المقالب، وليس هناك مكان داخل الشققق أو خارجها إلا أوحى بمقلب، وشهد على خطواته. ومن الحركات الثابتة المكررة أن بعض الطلاب إذا عرف أن أحد زملائه قد بدأ في الاستحمام، وقدر أنه قد أدرج الصابون على جسمه، عَمد، إذا كان الوقت ليلاً، إلى مفتاح النور فأغلقه فيضطر المستحم إلى فتح باب الحمام، والخروج لفتح مفتاح النور، وحينئذ يكون صاحبه منتظراً فيصفق ويحاول أن يستدعي بقية الطلبة، ولكن الغالب أنه بعد إطفاء النور يختفي، وحينئذ تبدأ التهم، وتنزرع فتنة تأخذ وقتاً في هذه الشقة إلى أن يخمد أوارها. وإذا كان الوقت نهاراً أقفل صنبور الماء العام، وهو خارج الحمام، والنتيجة مثل الأولى يضطر المستحم أن يخرج عارياً ليفتحه.

دور الحمَّام في المقالب :

أذكر أننا سمعنا مرة جلبة وضوضاء وركضاً، فسارعنا إلي مصدر هذه الضجة، لأننا أدركنا أن هناك أمراً يستحق أن يُرى، فوجدنا (ق) في «السيب» عرياناً، يركض خلف (ف). وفهمنا بعد أن انقشع غبار المعركة أن (ق) دخل ليستحم، وحين قدَّر (ف) أن المستحم قد «ملط» جسمه بالصابون قطع عنه الماء من الخارج، وظن أنه سوف ينادي من يفتحه، إذا قَدَّر أنه قُفل، وأن الماء لم ينضب، ولهذا لم يسرع في الاختفاء، أما صاحبنا المستحم فخرج من الحمام كيوم ولدته أمه مشبعاً بالصابون، ورأى الفاعل، فجرى خلفه في «السيب»، وتتبَّعه من ممرّ إلى ممّر. وكان الإثنان متكافئين في قوة الجسم، ولكننا تداركنا

الأمر، وتدخلنا بينهما، وانتهى الأمر بابتسامات مأتاها (ق) الباسم دائماً، الذي لم يهمه عريه!.

عندما حمي الوطيس:

و (ف) و (ق) يسكنان في غرفة واحدة مع زميل ثالث، ولأن (ق) شخصية محبوبة، نحاول دائماً الاجتماع عنده، خاصة بعد العَشاء، وقد أحضر كل منا معه من المطعم كأس شاي، نشربه هناك، واجتمع في يوم من الأيام ما يقرب من عشرة أشخاص، وتأبى الطاقة المخزونة في هؤلاء الشباب إلا أن تخرج، وقد خرجت، وصورتها أن الباب قفل وأن كل من أراد أن يخرج دفعه الآخرون بقوة على (ق)، فينقض عليه (ق) ويبدأ صراع عنيف لا يفلت منه الضحية إلا بعودته إلى مكانه، وحمي الوطيس، وكثرت الظباء على خراش، فخلع من الجدار

إحدى «الشماعات» (علاقة تعلق عليها الملابس)، وأخذ يطوح بها يميناً وشمالاً بقوة، وفي إحدى المرات وصلت «الشماعة» إلى «لمبة» الكهرباء، فكسرتها، وأطارتها شذر مذر، فساد سكون، وكان الباب مقفلاً بالمفتاح، فأخذ الطلاب يتسربون واحداً واحداً إلى الشرفة، ومنها إلى غرفة فيها الأخ مقبل العيسى ومحمد علي الشويهي، حتى لم يبق أحد، ثم فتح الباب من الخارج، وكان المفتاح مع أحد الذين تسللوا الواذاً من الشرفة إلى الغرفة المجاورة، وكاد أن يكون هذا نهجاً يستعد له الطرفان.

وكان أحد الإخوان وهو (عبدالرحمن الشبل) بجانب الباب من الداخل، وكلما زاد الصراع، وقد أسند ظهره إلى الباب قرعه بيده من الداخل، فيظن الطلاب أن أحد ضباط البعثة أو مراقبيها قد حضر، فيهدؤون فترة، ثم سرعان ما يعودون إلى ما كانوا فيه.

رأى ما لم ير غيره:

كان ثلاثة من الإخوان يسكنون في غرفة في الدور الأول في بيت المنيل، وكان أحدهم قد تخرَّج، وهذا يتيح له أن يأتي إلى بيت البعثة متأخراً في حدود الساعة الحادية عشرة. وكان لنا زميل (ج) ينزل من غرفته إلى غرفتهم، وكانت له طبيعة خاصة، وكان يأتي كل ليلة، ويسمر معهم، ويشارك هذا الزميل عشاءه: (سميط وباسْطرمة) «خبز ولحم»، وكان الآخرون يداعبونه ويقولون له:

لقد تعشيت عشاءً دسماً، فكيف تشارك الرجل عشاءه؟

فيقول: لو لم يردني أن أشاركه لما عرض عليَّ ذلك، وقد عرض عليّ، ولم يعرض عليكم، وأنا أشعر بشهية

لهذا النوع من الأكل، فلماذا أقول: لا!.

وهؤلاء الثلاثة يسمعون عن الحشيش ولكنهم لم يروه، ولم يجربه أحد منهم، تدارسوا بينهم أمر الزميل (ج)، وهو صاحب آراء غريبة، فكيف لو حشش؟ واتفقوا مع البواب أن يحضر لهم قطعة حشيش، وشراء الحشيش في تلك الأيام في مصر سهل، فأحضر لهم قطعة، فوضعوها لصاحبنا (ج) في غطاء إبريق الشاي من الداخل، وجعلوا البُخار يأخذ منها رطوبة إلى الشاي تدريجاً، ولأنهم لا يعرفون المقادير، فقد كانت «الكيلة» وافية، وشرب (ج) الشاي بعد أن شارك في الأكل، وصعد لينام في غرفته.

وكان يشاركه في الغرفة (ق) وآخران، وجاءني هذا مسرعاً، وأيقظني من النوم، وقال:

إن (ج) في حالة هذيان لا نعرف سببه ونريد تليفون الدكتور عمر أسعد، فنزلت معه للإدارة مسرعاً وفي آخر زلفة من الدرج، وكان (ق) قد سبقني إلى غرفة المدير حيث التليفون، اعترض طريقي (ش) وأخبرني أن هناك مقلباً «لُعبَ» على (ج)، وأنه قد أعطي من قبلهم حشيشاً. «فبردت» بعد أن كنت متحمساً، وفكرت كيف أتخلص من (ق) دون أن أخبره بالحقيقة، فلم أكلم الدكتور عمر، فصرت أضرب من تليفون الإدارة إلى تليفون الإدارة، فيظهر صوت غريب، فالتفتُّ إلى (ق)، وقلت:

لعل الدكتور عمر جاء إلى بيته متأخراً ونام، ورفع السماعة، ولا يريد إزعاجه، ولكن دعنا نصعد ونرى كيف حال (ج). فصعدنا ووجدنا الإخوان ممن معه في

الغرفة محيطين به، وأشرت لهم بما أخبرت به عن حقيقة حاله، فارتاحوا، وأصبح الأمر أمر «فرجة» عليه. وناداني (ج)، وهو ملقى على ظهره في السرير وقال:

إنه لم يحدث من قبل أن مات أحد ثم عاد إلى الحياة إلا أنا، هات ورقة وقلم لأصف لك الآخرة.

وأخذ يخلط عباساً بدباس، ونحن حوله متمتعون بما يدلي به، ويتكلم عن بعض مظاهر الدنيا على أنها من الآخرة، ويركز على أشعار المعري وما فيها من فلسفة إلى أن أُجهد فنام.

وفي الصباح ذهب إلى «كازينو» الجيزة ليشرب الشاي، وكان أثر الحشيش لا يزال معه. فجلس على مائدة على النيل قرب الماء، وطلب شاياً، وأمر ماسح الحذاء أن يمسح حذاءه، ويصبغه، فلما نظر إلى الماء،

خيل إليه أن الماء يقترب منه تدريجاً، وقبل أن يتم ماسح الحذاء مسح الحذاء الأيمن نادى (ج) النادل، وطلب منه أن ينقل الشاي إلى المستوى الأعلى، وانتقل إلى المستوى الأعلى، ثم سرعان ما تخيل أن الماء بدأ يرتفع بسرعة إلى المستوى الذي هو جالس فيه، وقبل أن يتم ماسح الحذاء عمله ترك (ج) «الكازينو»، وخرج لا يلوي على شيء.

و «الكازينو» لا يبعد عن «كوبري» عباس إلا خطوات، وهذا الجسر متحرك، أي ينفتح إلى «الجنب» لتمر منه السفن، وهذا أوجد في وسطه فتحة تدخل إصبعاً واحداً، فلما وصل إلى هذا المكان، ورأى هذه الفتحة واسعة، بحيث أنه لا يستطيع أن يجتازها، نادى صاحب سيارة أجرة وركب فيها إلى أن اجتاز

هذه الفتحة، وقد أخبرنا بهذا بعد مدة، وبعد أن عرف القصة من أولها إلى آخرها، وهذه طبيعة فيه يخفي ما يحدث له مما قد يضحك من حوله، ولكنه بعد مدة يفشي السر.

أحد آثار الحشيش على متعاطيه:

والحشيش يجعل متعاطيه يتخيل الأحجام أكبر من حجمها الطبيعي، وأذكر أني كنت سائراً بعد الظهر في أحد الأيام، وإذا برجل من الريف واقف أمام غطاء تفتيش، إما ماء أو مجاري أو كهرباء، في «شارع شريف»، وحوله أناس يتزاحمون، ونظرت وإذا هو يشير إلى فتحة صغيرة في «غطاء التفتيش» عن طريقها يفتح الغطاء، ويقول: «حوشوني لاحسن أقع في البير»، فجاء أحد رجال الشرطة، وكان نبيلاً،

وبهدوء وضع قدمه على الفتحة، وأخذ الرجل من يده، وأدخله في شارع فرعي وتركه.

ويبدو أن أحد زوار طلاب البعثة كانت له عادة «بلبعة»، أي يتعاطى الحشيش، وجاء مع زميله السعودي إلى عيادة البعثة لسبب صحي، فدخل وسلم على الدكتور عمر أسعد رحمه الله ومدّ يده على أنفه ومسكه، ثم جاء بحركة تدل على أنه يظن أنه لايزال ممسكاً به، ومد يده مقدار ذراع وقال:

ما لأنفك طويل يا دكتور بهذا الشكل.

وأعاد الحركة بلمس الأنف ثم إبعاد يده مقدار ذراع، فأدرك الدكتور عمر حالته، وقال:

يا فلان أراك مبسوطاً.

فرد الطالب، وكلاهما كان يبتسم، والطلاب الحاضرون كذلك:

وكيف لا أكون مبسوطاً وأنا أراك يا أحسن دكتور.

فقال الدكتور عمر: تسلم، ربنا يخليك.

والدكتور عمر رجل عاقل ومحبوب، ولا تفارق الابتسامة وجهه، ويداوي بلباقته، قبل أن يداوي بدوائه رحمه الله فقد كان نعم الأخ لجميع الطلاب.

والطلاب في البعثة يعرفون أن الحشيش يحدث «هلوسة» لمتعاطيه، ويصبح مادة خصبة للسخرية، ولكنهم لا يعرفون المقادير التي تؤخذ عادة، فيزيدون العيار عندما يقررون أن «يعملوا» مقلباً في أحد زملائهم، فيزيدون «العيار»، مما يخرج المقلب إلى «خط أحمر».

أراد طالبان أن «يعملا» مقلباً في زميلهم الثالث (ش)، فوضعوا له في القهوة حشيشاً، فأثَّر عليه تأثيراً بالغاً، فكان يطل من غرفتهم، وهي في الطابق الأرضي،

فيرى أرض الشارع بعيدة، ويقول لهم: كيف نقبل أن نسكن في الدور السابع.

وكان هذا في عام ١٩٤٨م، والحرب بين العرب وإسرائيل تخيم على الأجواء، والخطر من هجوم جوي كان قائماً، وكان البعوض كثيراً في تلك الأيام، ورأى بعوضة تطير، فصاح:

«اطفئوا الأنوار، الطيارات الطيارات».

وكانت «شرّاعة» باب الغرفة، وهي الزجاجة التي في أعلى الباب «مثلجة»، وكان في الممر «لمبة»، فظن النور ناراً، فصاح:

«النار، النار».

ولقد ندم زميلاه لما تسببا له فيه، وكانت فرحتهم كبرى عندما نام نوماً عميقاً.

الفرسان الثلاثة :

تصل بعض دفعات البعثات متأخرة، فيتعذر إيجاد مكان لهم في كليات الجامعة، وذلك قبل أن يفتح باب إرسالهم إلى جامعة الملك فاروق الأول في الإسكندرية، وكان الحل هو إلحاقهم في مدرسة ثانوية في القاهرة، والهدف هو تقويتهم، لأنهم في حاجة إلى ذلك، وللاستفادة من وقتهم فيما ينفع دراستهم، ولا يضيع فيما قد يأتي من جنوح وضرر.

كان هناك ثلاثة في سنة من السنوات لم يتمكنوا من الالتحاق بالجامعة، فأرسلوا إلى إحدى المدارس الثانوية، وهم: (ح) و (م) و (ص)، ولم يؤمنوا بفائدة التحاقهم بهذه المدرسة، لذا لم يأخذوا الأمر بجد، وصاروا أحياناً يخرجون من دار البعثة على أنهم

ذاهبون للمدرسة، ويذهبون إلى السينما، أو إلى حدائق الأندلس، أو حديقة الحيوان.

وكانت المقالب بينهم، لفراغهم، على قدم وساق، بعضها يكون من وحي اللحظة، وبعضها يأتي بعد تخطيط وإعداد. وغالباً ما يتفق (ح) و(م) على (ص) كما حدث في إحدى المرات عندما ركب الثلاثة لجهة معينة اتفقوا عليها، وانتهزوا غفلة (ص) فنزلوا من الترماي، وغيروا وجهتهم إلى جهة أخرى، غالباً ما تكون السينما، وفي المساء يبدأ الاتهام والعتاب والجدل، ونحن من حولهم نوقد النار برمي الحطب عليها كلما رأينا أنها بدأت تخمد.

وفي إحدى المرات اتفق الإثنان على أن يلعبا على زميلهم الثالث، فكتبوا خطاباً على لسان مدير

البعثة السيد ولي الدين أسعد، وكان من ثلاث نسخ، أرسلت كل واحدة من هذه النسخ إلى كل واحد منهم، ومعها خطاب يطلب فيه الإجابة على الأسئلة في النسخة المرفقة. وفي الخطاب إشارة إلى أن المدير بَلَغَهُ من ثقة أنهم لم يكونوا يذهبون طوال العام إلى المدرسة كما هو مقرر.

والأسئلة كما يلي:

(١) لماذا لم تذهبوا مع أنكم تعلمون أن الحكومة تصرف عليكم، وعلى دراستكم، مبالغ طائلة؟

(٢) من الذي حرّضكم على مثل ذلك، ومن هو المسؤول عن هذا التصرف، والتأثير على الآخرين؟

(٣) أين كنتم تقضون أوقاتكم؟ وتكون الإفادة عن هذا بالتفصيل.

(٤) يتم الجواب بخطكم، ويسلم للإدارة غداً صباحاً.

فلما تسلم كل واحد منهم خطابه انزعجوا، واهتموا وتدارسوا الأمر، واتفقوا أخيراً على الخطوط العريضة للجواب، وعلى أن يجيب كل واحد منهم بأسلوبه وبخطه.

فاتفق الإثنان اللذان دبرا المقلب على أن يتظاهرا بأنهما سوف يذهبان خارج الشقة، ويتفرقا كل واحد في اتجاه، حتى لا يعرف أحدهما ما كتب الآخر مادامت الخطوط العريضة للإجابة متفق عليها، ولن يخرج الجواب عنها. وخرجا ولكنهما ذهبا إلى السينما. أما (ص) فقد اهتم كثيراً، وساعده زميله في الغرفة، و «شرب» المقلب معه، فأخذا يسودان ويبيضان، ويغيران ويبدلان،

وانقضى من الليل أغلبه قبل أن يصلا إلى صيغة مرضية، وناما متأخرين. وفي الصباح وجدا ورقة قد أُدخلت من أسفل الباب تقول:

«نعيماً، فقد أكلتم المقلب».

ولم يبين اسم من كتبها، وتظاهر مفصِّلا المقلب ومنفذاه بالغضب الشديد، ولما برد الأمر اتفقوا على أن المقلب أهون مما لو كان غير مقلب، وأن الأمر صحيح، وتنسموا نسيم العافية.

مقلب ورده:

(ط) من طلاب الشقة المحذوفة، وكثير الأذى لزملائه، وقد احتك مع أكثرهم، ومن جملتهم (ص)، وكان (ط) يعرف صلتي بالأستاذ إبراهيم السويل، وقرابتي منه، وهو صديق له كذلك، ومر الأستاذ

إبراهيم على (ط) في البعثة فلم يجده، فترك له «كرتاً» ليعرف أنه فقط مرّ به، ولم يكتب عليه شيئاً، فاستفاد (ط) من هذا «الكرت»، ووجهه لي، وكتب عليه على لسان الأستاذ إبراهيم أنه مسافر سفراً مفاجئاً إلى المملكة، وأنه يود أن يراني في المطار، وأعطى «الكرت» لعم «غنيم» البواب، فجاءني هذا وأنا نائم بعد الظهر، وأيقظني من النوم، وأعطاني إياه، فسألت عم غنيم، كيف يأتي إلى هنا الشيخ إبراهيم ولا يصحيني؟ ومتى جاء؟ وكيف جاء؟ ومن إجاباته داخلني الشك، فأخذت بتلابيبه، فأقر أن الذي أعطاه «الكرت» هو (ط)، فطلبت منه أن يوهمه أني ذهبت، وأني «شربت» المقلب، وصليت العصر، ولبست البدلة، وذهبت إلى «مشوار» كان عليَّ أن أذهب إليه.

وكان (ط) كثير التأنق، و «معاكسة» البنات،

ويرى أنه أهل لأن ينظرن إليه ويعجبهن، وكان دائماً من غرفته التي لا تبعد عن غرفتنا «يعاكس» من شرفة الغرفة، بطريقة مخفاة بنتاً بين العمارة التي هي فيها وعمارتنا بيوت واطئة، فانتهزت فرصة ذهابه يوم الجمعة في الصباح، ولبست مثل «فنيلته»، وأبرمت «فوطة» على رأسي مثل ما يفعل حين يغسل شعر رأسه، وذهبت إلى غرفته، بمباركة من زملائه في الغرفة، وأخذت أؤشر للبنت بصورة واضحة ووقحة، وبإصرار، وكان هناك من الجيران من رآني، واستهجن عملي.

وفي اليوم التالي ذهب أهل البنت وجيرانهم إلى إدارة البعثة وشكوه على مدير البعثة، وحددوا «الشرفة» التي كان يقف فيها، ولصقت به التهمة، وخصم عليه مبلغ لا بأس به من مكافأته، ولم يدر بخلده أن هذا بسببي،

وظن أن الشكوى جاءت نتيجة بعض معاكساته السابقة، ولا يدري عن الحقيقة إلا أنا وصاحبيه (ح) و (ب)، وهما يعتقدان أنه يستحق الجزاء لما كان يحرجهما به. وقد انحرم بعدها من الخروج إلى الشرفة.

وكان يسكن في غرفتنا لمدة لم تطل (د)، وفي يوم كانت «الترمايات» والحافلات قد أضربت، ولا وسيلة له للذهاب إلى داخل البلد إلا في «تاكسي»، وهو غير مستعد أن يدفع أجرة «التاكسي»، فذهب إلى دكان حلاق في شارع الروضة، قريب من دار البعثة، ومن تليفونه كلم (ط) عن طريق تليفون الإدارة، فلما حضر قال له أنا محمد كعكي، وقد وصلت اليوم إلى القاهرة من مكة، وسوف أسافر إلي الإسكندرية، وأسكن الآن في فندق «الكونتيننتال»، وأخوك قد أرسل معي لك شايا، فأرجو أن تشرفني

لتأخذه. والشاي في تلك الأيام في مصر بعد الحرب رديئ جداً، حتى أنه كان يشاع أنه يخلط معه بعض «النجارة»، وكانت هذه الهدية من الأهل في مكة مع الوافدين هي خير هدية.

وكان (ط) حذراً، ولهذا عندما رآني أصعد الدرج ذاهباً إلى غرفتي، وهو نازل في طريقه إلى مبنى البعثة الرئيس حيث التليفون قال لي:

«والله ما أدري إذا كان لك دخل في هذا الأمر أم لا؟ ولكن مادمت الآن دخلت البيت فلا خوف هناك منك».

ولم يدر أني شريك في الأمر مع (د).

وعاد مسرعاً بعد أن أجاب على المتكلم في التليفون، ولبس ثيابه، ونزل يبحث عن «تاكسي»، فرآه (د)

وسأله عن وجهته، فأخبره، فرجاه أن يأخذه معه، وهذا هو الهدف من المقلب، فحمله معه، وذهب إلى الفندق ولم يجد أحداً، فعرف أنه مقلب، ولكنه لم يعرف من نظمه إلا حدساً وتخميناً، فجاءني وقال:

«لنتعاهد بأن لا تحيك لي مقلباً، ولا أحيك لك مثله».

فعاهدته، وأمنت أذى أحد النشيطين في «العكننة».

وقلت في بدء حديثي عن (ط) أنه مؤذ، ومن أذاه حركة أقدم عليها مع (ص)، وهو معنا في الشقة المحذوفة، كنا نصلي العشاء كالمعتاد في صالة «التوزيع»، التي تدور عليها الغرف، وجلسنا نُسبِّح ونتحدث، فمر (ط) من جانب (ص)، وفي هذه اللحظة رمى (ع) قشرة موز على رقبة (ص)، موهماً إياه بأن الذي رماها

(ط)، فمسك (ص) بخناق (ط) ودخلا في «خناقة» حامية، ومضاربة بالأيدي، لأنها بدأت بمدَّة يد، ولا يغسل الدم إلا مدة يد، وكان أحدهما مؤمناً بصحة ما فعل، لأنه معتدى عليه، والآخر جاداً في الدفاع لأنه يعرف أنه مظلوم، وكاد هذا العراك يخرج عن حدوده لولا تدخل الإخوة الحاضرين، وكان رأس الشر (ع) وكان في هذه الأثناء يحجل بين المتعاركين يلهب النار، ويقول: «أنا يضرب»، «أنا يضرب»، كأنه يذكر كل واحد بدوره في العراك، ويريد للمقلب أن يكون متكاملاً وقد كان.

وكان لمجهود الأخ الحبيب الطاهر التقي النقي إبراهيم زاهد دور في إطفاء حريق هذه النار التي اشتعلت لأنه محترم من جميع الزملاء، وكلمته مسموعة، وهو إمامنا في هذه الشقة ـ رحمه الله رحمة الأبرار ـ

وبمناسبة الحديث عنه وعن الصلاة أذكر أننا مرة دخلنا في صلاة المغرب، فقرأ «الفاتحة»، ثم أعقبها بـ «الكافرون»، وكان الزميل (ب) في غرفته، وخرج ودخل الصف بسرعة، وكان الإمام يقول «لكم دينكم ولي دين»، فتوهم أنه يقرأ الفاتحة، فقال: «آمين»، فانفجر المصلون بالضحك، وقطعوا صلاتهم إلا الشيخ إبراهيم رحمه الله.

وأذكر مرة أني رأيته، وقد قرب وقت النوم، وبيده كأس شاي ثقيل، فقلت له:

يا أخ إبراهيم، هذا ثقيل، وأخشى أن يطرد عنك النوم.

قال: الشاي لما شرب له، هذا دافئ والدافئ أولى أن يسارع بالنوم.

وأمر الصلاة في الصالة، وقولنا «آمين» ذكرتني بما فعلناه مرة لنتغلب على مشكلة جمع الإخوان للصلاة، وإخراجهم من غرفهم، وقد جرت العادة أن يمر عليهم أحدنا ويذكرهم أنه حان وقت الصلاة، وأننا بدأنا نتجمع، وكان بعضهم وبالذات واحد منهم، لا يخرج من غرفته إلا إذا قرب الإمام من نهاية الفاتحة. فذات مرة اتفقنا أن نقوم بحيلة تكون درساً لهم، منتهزين فرصة أن الشيخ إبراهيم زاهد غير موجود لئلا نحرجه بمزحنا في أمر يخص الصلاة، رغم أننا نعرف أنه لن يقول شيئاً، ولكننا نعرف أنه بوده أن لا نقوم بما قمنا به. كنا في انتظار تجمع الإخوان فاتفقنا على أن يقول أحدنا بصوت مسموع «الله أكبر»، ونحن جلوس، ثم بعد برهة قلنا «آمين»، فخرج المتأخرون ركضاً، ولدهشتهم وجدونا جلوساً لم

ندخل في الصلاة بعد، وكان هذا درساً فعلياً نافعاً. يلاحظ أننا بهذا لم نخرج عن حدود المقالب، اللهم اغفر لنا فقد كانت نيتنا نبيلة.

وأود أن أسجل هنا حقيقة توجب الشكر لله سبحانه وتعالى، وهو أن طلاب البعثة مهما تعرضوا لما قد لا يرضي الله، إلا أنهم في أمر الصلاة والصوم كانوا في غاية الإلتزام، رغم أن أحدهم قد يجد صعوبة أحياناً في أمر الوضوء وهو خارج البيت، في السوق. كانوا يحرصون على عدم تأخير الصلاة، ويحرصون وهم في البعثة على أدائها ما أمكن، ويحرصون على صلاة الجمعة، وكان يمر عليهم رمضان وكأنهم في مكة بين أهلهم، تساعدهم في هذا إدارة البعثة بتهيئة الجو الرمضاني المشرق، خاصة في أمور الوجبات، وصلاة التراويح لمن يحرص عليها.

أعلمه الرماية كل يوم:

هذه الشقة المحذوفة شهدت كثيراً من عبثنا، ولعل السبب أننا كنا حديثي الوفود، ولم ننغمس بعد في الدراسة الجامعية، وعندنا من الوقت ما نقضيه في أمور العبث هذه.

كان هناك طبيب للبعثة، وكهربائي، وسباك، ونساء يأتين ويغسلن ملابسنا في سطح دار البعثة الرئيسة، ومكوجي لكوي الملابس والبدل (ولكن على حسابنا)، ومتعهد خضار وفاكهة ولحوم، وما تحتاجه الوجبات الثلاث، وكان هناك خادم لكل شقة تقريباً إلا شقتنا، وكان طبيب البعثة في أول سنة وصلنا فيها إلى القاهرة مصري، ثم استبدل بالدكتور عمر أسعد بعد أن تخرج من كلية الطب.

وكان الكهربائي في أول الأمر مصري، ثم استبدل بطالب من طلاب البعثة يدرس في كلية الهندسة التطبيقية هو (م)، وكان المؤمل أن تساعده هذه الوظيفة في دخله، ولكنه استمر يصرف أكثر مما يُحصِّل، وبقي يستلف نقوداً من زملائه قبل نهاية الشهر.

وعدّ أن من واجبه أن يفتش الغرف، وينزع «اللمبات» التي تصل إلى مئة شمعة، وإبدالها «بلمبات» ستين شمعة، ولا تجد طالباً في البعثة لم يركب مئة شمعة، وقد عمد إلى الدفايات وصادرها، وإلى الغلايات الكهربائية وصادرها لأنها تسحب من الكهرباء ما لا تتحمله ميزانية البعثة، وبهذا يُجبر الطلاب حينئذ على استعمال «السبرتاية» لعمل الشاي، وهي موقد يعمل على «السبيرتو».

حنق الطلاب على (م)، وويل لمن يجتمع طلاب البعثة على أذاه، فهم لا يملون التخطيط، ويسعدون بالتنفيذ. ولجؤا إلى حيلة سبق أن سمعوها من (م) نفسه، ألم أقل:

أعلمه الرماية كل يوم

فلما اشتد ساعده رماني

لقد أوحى بالفكرة قبل أن يُعين كهربائياً في البعثة، وارتدّ السهم على الرامي. صار الطلاب ينزعون «لمبة» من «اللمبات» ويضعون بينها وبين «الدواة» التي تركب فيها، قطعة نقد صغيرة «تعريفة» أو «نصف تعريفة»، هذا والنور مطفأ، فإذا أعمل أحدهم إزرار الكهرباء «طق الكُبس» الذي فيه صمام الأمان، واحترقت «الفيوز». ثم ينادون (م) ويحاول إصلاحه،

وبمجرد ما ينتهي من إصلاحه، وقبل أن يترك لوحة التوزيع لينصرف يُعطى أحد الطلاب إشارة «فيولع» النور، فيتحطم حامل «الفيوز»، فيحتار (م) في الأمر، ولما تكرر هذا في الشقق الأخرى اضطر أن يستعفي من العمل، وكفى الله الطلاب من التدقيق عليهم في أمور الكهرباء وصرفها.

شقة المقالب:

إذا كان للدكتور غازي القصيبي «شقة الحرية» فأحر بنا أن تسمى شقتنا المحذوفة «شقة المقالب»، فلا يكاد يمر يوم دون أن تسجل جدرانها مقلباً، ولا يسلم أحد مما يحاك في هذه البيئة الخصبة المقالب.

كان الأخ عبدالرحمن بن مرشد وصل من المملكة حديثاً، ولم يكن أُلحق بالبعثة بعد، وقد أحضر معه كمية

كبيرة من السكر، فتسلط عليها (د) و (ن)، وسرقاها، وتألم من عرف بذلك، لأن عبدالرحمن أتى من المملكة على حسابه الخاص، ولو كان ضمن الملتحقين بالبعثة لكان الأمر مختلفاً، لأن من لم يشترك في المقلب عادة يغبط من قام به، ولكن الأمر في هذه الحالة مختلف.

لما سمع الأخ مصطفى مير بالأمر أخذته الحمية الإنسانية، وقرر أن يثأر له، ولما تأكد من الفاعلَيْن دخل غرفتيهما، وعبث بحقائبهما وأخذ السكر، ورماه من نافذة الحمام، فسقط على أرض مبللة بماء آسن كان ينزل الماء عليه دائماً من إنبوب رئيس فيه خلل، فلما افتقدا السكر اتهم كل واحد منهما الثاني، وصار بينهما جفوة لم يعد أحدهما يثق في الثاني، وانفرطت شراكة لم يكن فيها خير للطلبة الآخرين.

سَيرْ مُنْسَج:

أحب الأخ هاشم شقدار كأنه شقيقي، والفضل لله ثم له، لحسن خلقه، وجميل عشرته، وقد سكنا في غرفة واحدة منذ أن وصلنا مصر إلى أن تخرجنا، كلما انتقلنا إلى بيت جديد انتقلنا وسكنا معاً في غرفة واحدة. ولأن المقالب في دمنا حتى لو كانت في الأقوال، فقلت كلمة لم يفهمها هاشم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أول الأمر لاح لي في هذا مشروع مقلب أهدى نفسه لي دون تعب، وأقدمت عليه رغم أن الضحية هذا الأخ العزيز هاشم. قلت له:

أنت أقوى مني باللغة الإنكليزية؛ ما معنى «سَيرْ منسج»، ونطقتها كأنها كلمة إنجليزية.

فقال: لا أعرف، ولا أذكر أنها مرت عليَّ، ولكني

سوف أبحث عنها في المكتبة غداً.

فجاءني في اليوم التالي وقال:

إنني بحثت عنها في أحد القواميس فلم أجدها، ولكني سوف أواصل البحث.

وبعد أيام قال لي:

إنني بحثت في كل القواميس التي في المكتبة، حتى القواميس العلمية. وأخشى أن تكون اسم عَلَمْ، فهل أول حرف فيها كبير؟ فإن كان، فهذا يؤكد أنها اسم علم.

فأبديت له شدة أسفي على إضاعة وقته في البحث عنها، فقال:

إنه لا داعي للأسف، فقد استفدت من دخول المكتبة والبحث في القواميس.

فقلت له: هذا يعني أنك غير غاضب عليَّ.

قال: ولماذا أغضب؟ ما الذي يدعوني للغضب؟

قلت: لأني «أكلتك مقلباً».

قال: كيف؟

قلت: الكلمة عربية، بل هي جملة عربية تشرح كلمة «نسْعة»، فتقول: إن النسْعة سَيْرٌ مَنْسوج، وهي ما ترى رجال قبيلة هذيل يشدون به وسطهم.

فانفجر ضحكاً، وقال لي:

«هي لك».

ويعني أنه سوف يقتص مني على هذا.

والدكتور مصطفى ابن خالته، وملتحق بجامعة فاروق الأول في الإسكندرية، ويأتي بين آن وآخر لزيارتنا، ولصلتي الوثيقة به أترك له عندما يزورنا

سريري وأنام على «البطانيات» على الأرض.

وفي ليلة من الليالي بعد أسابيع من المقلب الذي شربه هاشم رجعت للبيت متأخراً، ووجدت هاشماً نائماً، ووجدت على فراشي ورقة من مصطفى مير يقول فيها:

«لقد وصلت من الإسكندرية، وسأكون ضيفاً عليكما، فأرجو أن يكون عندك ذوق فتُكرم ضيفك بترك السرير له».

فلم يدر بخلدي إلا أن مصطفى قد وصل فعلاً، وخطه شبيه بخط هاشم، ولهذا لم يداخلني أي شك في مجيئه، فصليت العشاء متأخراً، وفرشت «البطانيات» على الأرض ونمت، وبعد دقائق أيقظني هاشم وقال:

«إنهض ونم على سريرك ما «هان» عليَّ أن أتركك تنام أكثر من هذه الدقائق، المهم أنك أخذت جرعة من كأس المقلب».

رحمك الله يا هاشم، وأسكنك فسيح جناته، والمقارن بين عملي معه وعمله معي يرى الفرق بين طيبه وعدم طيبي.

ورطة مع الشرطة:

عندما يقترب العيد يكثر إقبال الصغار والشباب على شراء «الطراطيع»، وخرجت من البيت لأشتري «طراطيعاً» وعليَّ ثوب، لأني لن أبتعد كثيراً عن دار البعثة، وذهبت إلى بائع «الطراطيع»، وابتعت منه كمية، ووضعتها في جيبي، وعدت، ومررت في طريقي ببيت البعثة الرئيس، وكان الأخ سعود

الدغيثر في الشرفة، فأشعل عدداً من «الطراطيع»، وألقاها من الشرفة إلى الشارع، وصادف أن كنت أسير قريباً من أحد رجال الشرطة، وكان ذاهباً إلى مركز الشرطة الذي لا يبعد عن دار البعثة إلا أمتاراً، فثارت «الطراطيع» تباعاً تحت قدم الشرطي، وأخذ يرقص من الرعب والمفاجأة، وظن أني أنا الذي رماها، فأمسك بي، وأخذني إلى المركز، وهو يردد:

تلعب مع الحكومة؟ تمزح مع الحكومة؟

ولم يفد أي قول أقوله، لأنه ظن أني مصري من أولاد البلد، لأني كنت لابساً «جلابية» ثوب، وكان المفروض أن أكون لابساً بدلة حتى ينظر إليَّ نظرة احترام وتقدير، أما الجلابية فتساعد على ثبات التهمة.

وكان الأخ عبدالمنعم عقيل يدرس في كلية الشرطة،

فرآني أدخل القسم، وكانت عليه بدلته العسكرية فاستفسر عن سبب أخذي إلى القسم، وسمع من العسكري، وسمع مني، أمام الضابط المناوب، فعاتبهم على سرعة اتهام أحد طلاب البعثة، جيرانهم، وما لهم عليهم من حق، فلما عرفوا أني طالب في البعثة تغير الموقف، واعتذروا وفاز بالمقلب سعود الدغيثر، ولا ألوم بحال من الأحوال الشرطي، فلو كنت في مكانه لما فعلت أقل مما فعل. وإني لمدين لعبدالمنعم عقيل على موقف النجدة الذي وقفه.

ونبل عبدالمنعم لم يقف عند هذا، فقد كرر موقفاً نبيلاً آخر بعد ما يقرب من خمسة عشر عاماً، وكان في ذلك الوقت وكيلاً لوزارة الداخلية في الرياض. كنت عندما عدت من دراستي في لندن، والتحقت بجامعة

الملك سعود، بدأت أبحث عن «فيلا» من الفلل التي بنتها الحكومة وباعتها على الموظفين بالتقسيط، فوجدت «الطيور قد طارت بأرزاقها»، ولا فرصة لي بالحصول على واحدة منها إلا بالتنازل، وكان الأخ «جميل ألطف» مديراً للأمن العام في الرياض على ما أعتقد، وكان قد حصل على «فيلا» من «فلل» عرين في الملز، وهي من الحجم الكبير، وقد نُقل إلى العمل في الطائف، ووافق على أن يتنازل لي، عن طريق ابن عمي عثمان العبدالله الخويطر. وقابلنا مشكلة أن «الفيلا» من حصة وزارة الداخلية، وليست من حصة وزارة المعارف التي تتبعها الجامعة، فذهبت إلى الأخ الكريم عبدالمنعم، وشرحت له الأمر، فأعطى موافقة الداخلية رأساً، ودثّرني ـ جزاه الله خيراً ـ بدثار ضاف آخر من المعروف.

مقلب تتلوه توبة:

يزيد المقلب أحياناً عن الحد المقبول، ويدخل في حدود الخطر. إما الجنون أو الحوادث المميتة. ويحدث هذا عندما ينسجم مخطط المقلب مع الجانب الفكه من الأمر وينسى الجوانب المظلمة فيه، ولكن الزمان، وتكرر التجارب، تعلم الإنسان ما كان يجهله، أو كان غائباً عن ذهنه، وتوقظه من «سدرة» تغشته أثناء لمعة المقلب وبريقه. أذكر ثلاثة مواقف أمسكت نَفَسي فيها، وتغشاني خوف ورعب للحظات، ولكن الله تداركني بلطفه، وأنقذني مما خشيته، وجاءت «العواقب سليمة» ولله الحمد.

وأول هذه المقالب حدث في الصيف، ولعله في السنة الثانية من مجيئنا إلى القاهرة، وذهب عدد كبير

في الصيف إلى أهلهم في المملكة، وتخرج بعضهم، وخلت غرف في البيت الكبير، وطلبنا الإنتقال إليها مؤقتاً حتى انتهاء شهر رمضان، وهذا يعفينا من الذهاب والمجيء للإفطار والسحور. وسكنت أنا و (ش) في غرفة واحدة، وفي ليلة من ليالي رمضان فضّل زميلي أن ينام قبل السحور على أن أوقظه في الوقت الكافي ليستعد له. وبعد أن نام خطرت في بالي فكرة أن أربط حبلاً بإبهام رجله، فإذا جاء وقت إيقاظه سحبت الحبل وأنا خارج الغرفة المظلمة، وقدرت أنه سوف يحتار في هذا الشيء الممسك بإبهام رجله، ولكن الأمر زاد عن الحد فقد استيقظ (ش) في هذا الظلام الدامس، وشيء ممسك بقدمه، وأخذ يصرخ، ولم يوقفه عن هذا إلا مسارعتي بإضاءة النور لأني خشيت أن يجن، وكانت فرحتي كبرى عندما أدرك

الوضع وانبرى لي بحنق شديد، والشتائم تترى، وفي النهاية لام نفسه، لأنه وضع في يدي أداة اللعب به.

لقد كانت لحظة مخيفة وأنا أراه يصرخ، ويحاول أن يفلت من ذلك الشيء الممسك بإبهام قدمه. ولعل هذه هي المرة الأولى التي فكرت فيها في الجوانب المظلمة من المقالب.

***

وهناك «مزحة» أخرى ثقيلة، لم أفكر فيها مسبقاً، ولكنها جاءت عرضاً: الأخ (ب) يكره الخنافس، ويخرج من المكان الذي هي فيه ركضاً، وصادف أني قابلته عند مدخل بيت البعثة الكبير، فرأيت «ندفة» صوف في الأرض، وأخذتها وتقدمت بها إليه، وقلت:

خذ هذه خنفساء.

وارتعب دون أن ينظر إليها بتمعن، وصعد درج المبنى حتى وصل إلى السطح، وقد أعجبني الأمر، خاصة وأنه أكبر مني جسماً بما يقارب الضعف، وتبعته، ومررنا بالنساء اللاتي يغسلن ملابس الطلاب في السطح، وتعجبن من اثنين، أحدهما صغير والآخر أكبر منه جسماً، هارباً أمامه.

وهالني الأمر عندما تسلق حائط السطح، وتعلق بالذروة، وهو يتدلى على الشارع، وبقي واقفاً على طرف الإبريز، ويديه تمسكان بأعلى الحائط، وكان السطح هو الطابق الخامس، ولو اختل توازنه، أو تعبت يداه، أو انكسر الإبريز لسقط في الشرفة التي تحته. حينئذ أسقط في يدي، وأدركت مدى خطأ ما أقدمت عليه، ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ألهمني بما أنقذ الموقف، وهو أني ابتعدت بسرعة عن الحائط،

ونزلت إلى الشرفة التي تحت قدميه، وقلت له:

إني هنا تحت فارجع إلى السطح.

فرجع إما لأنه خاف من الخنفساء، أو لأنه اطمأن أني ابتعدت عن طريقه، وقد ندمت ندماً بالغاً على هذه المزحة الثقيلة، التي لم يدع لي جانب الإغراء فيها فرصة للتفكير بما قد يكون فيها من خطر، والحمد لله أولاً وآخراً.

***

والقصة الثالثة التي داخلني الخوف من عواقبها، كانت في بيت «شارع عبدالمنعم»، وكان شريكي فيها (ش).

كان في المعتاد أننا بعد الغداء نملأ كأساً (كباية) من الشاي، ونصعد إلى إحدى الغرف، ونشربها هناك،

ونتحدث ثم نفترق، وننام نومة «القيلولة» حتي أذان العصر، وأحياناً لا ننام إلا بعد صلاة العصر، يتوقف الأمر على الوقت من السنة. وذات يوم صعدت أنا والزميل (ش) وشربنا الشاي في غرفة (ق) وعندما أردنا الإنصراف استلقى (ق) في سريره وقال:

«الله، غداء شهي، وشاي لذيذ، ولم يبق إلا زوجة أم ستة عشر».

ولم نلق بالاً لما قال. وذهبنا إلى غرفة مجاورة كان فيها الأَخوان عبدالرحمن أبا الخيل، وعبدالرحمن الذكير، ووقفنا في شرفة غرفتها، فصادف مرور «القريداتي»، وهو رجل يستجدي عن طريق عنز وقرد، يصحبهما معه، ويأمر الرجل القرد أن يرقص رقصة الفتاة، أو رقصة العجوز، أو يقفز على ظهر العنز. فنظر إليَّ (ش)

وهو من الذين أثقلت المقالب موازينهم، فقلت له:

هل في ذهنك ما في ذهني؟

قال: نعم.

واتفقنا على أن القرد هو خير من الزوجة أم «ستة عشر» لصاحبنا. فذهبت مسرعاً إلى «القريداتي» واستأجرت القرد منه لدقائق، فجئت به للدار، وكأني به الآن أمامي يسابقني الصعود على الدرج، والسلسلة طرفها في رقبته، والطرف الآخر في يدي، وكان مبتهجاً، ولعل أنه ظن أن الله أعتقه من مهنته مع صاحبه القاسي.

دخلنا الغرفة ووجدنا صديقنا يغط في نوم عميق، فأخذ (ش) طرف السلسلة وربطها برجل السرير، ثم حمل القرد ورماه بعنف على صدر (ق)، ففتح هذا

عينيه، ولعله ظن في أول الأمر أنه في حلم. وكأني أنظر إليه الآن ووجهه مليء بالرعب، وهو الذي لا تفارق الابتسامة وجهه، ونهض وأخذ القرد، ورمى به إلى أعلى بأقوى ما يستطيع، فجَذَبَتْ السلسلة القرد، واصطدم بالأرض بعنف، ووقف (ق) متحفزاً أمام القرد الذي كان لاصقاً بالأرض من الخوف.

في هذه اللحظة شعرت بالندم، وقررت أن لا أقترب من المزح الثقيل بعد الآن، واعتراني رعب مثل الذي اعتراني في الحالتين السابقتين، وتأكدت أن صاحبنا قد اختل، ولكن (ش) انفجر ضاحكاً، فأدرك (ق) الموقف، خاصة بعد أن سمع (ش) يقول له: ما رأيك في أم ستة عشر هذه؟ فانقض عليه (ق) وأخذا يتصارعان، وحمدت الله أني لم أكن وحدي،

فالاثنان ندان، أما أنا فأكون لقمة سائغة للزميل (ق) لو انقض عليَّ، ولا أنسى فرحتي بابتسامة (ق) عندما عرف أن هذا مقلب.

وانتهزت فرصة انشغالهما، أحدهما بالآخر، وحللت سلسلة القرد، وأسرعت به لصاحبه، وعدت ووجدت الاثنين يضحكان كأن شيئاً لم يكن، و (ق) يقول لنا: يا أولاد «الكذا» حتى التّمني «تنكدونه» عليَّ.

***

سوف أعطي المقالب راحة في بقية هذا الجزء ليكون شيء منها إبزاراً للجزء الذي يليه.

***

المراسلات

المراسلات:

اعتمدت في بعض ما كتبت في هذا الجزء على الله ثم على ما وجدته مدوناً في بعض أيام مذكرة عام ١٩٤٦م، وحُرمت من الاستفادة من المذكرات عن السنوات الأخرى لضياعها كما سبق أن بينت[١]. واستعنت مع هذا بما أسعفتني به الذاكرة. والآن سوف استقرئ الخطابات التي كتبتها أو كُتبت لي في هذه المرحلة. وهي ذات قيمة كبرى لما تحمله من حقائق مفيدة، ولما قد توحي به مما يوقظ الذاكرة، ويستدعي تداعي الأفكار، والذي يحمل من هذه المراسلات تاريخاً هو بلاشك أثمن مما سهي عن وضع تاريخ له، ولكني أرجو أن أتغلب على هذا النقص بالاستدلال على زمن الكتاب من محتواه، ومن مقارنته بالمعلومات الواردة في غيره.

(١) انظر ما سبق: (ج ٦ ص ٨٣).

الخطاب الأول (١) :

بسم الله　　　من القاهرة

١٨/ ٦/ ٦٤هـ

٣٠/ ٥/ ٤٥م

حضرة الأخوان الأعزاء عبدالعزيز وحمد العبدالله الخويطر المحترمين، لكم تحياتي وأشواقي. أرجو لكم تمام الصحة.

في يوم الأحد الموافق ١٥/ ٦/ ٦٤ = ٢٧/ ٥/ ٤٥م وصلت القاهرة بالسلامة، لم نلق أي مكروه، وذلك بفضل الله ثم بحسن توجهاتكم القلبية، راجين المولى تعالى أن لا يجعل ما مضى آخر العهد بكم. وأن يقدر الاجتماع قريباً.

هذا حررناه لكم إعلاماً بوصولنا وتعرفنا لما يلزم.

وتفضلو بإبلاغ سلامي للوالدتين والعمات وكافة الأهل.

ومن لدينا يهدونكم السلام.

المخلص أخوكم
صالح الضراب

ملحوظة: لم نراجع الدكتور حتى الآن.

العنوان: المفوضية العربية السعودية، شارع محمد باشا سعيد، شارع الداخلية سابقاً رقم ٨.

المعذرة، الكتاب مستعجل.

[illegible] القاهرة

١٨/٦/٦٦
٢٠/٥/٤٥

حضرة صاحبي الأخوان الأعزاء . عبد العزيز ومحمد العبد الله الخويطر المحترمين

لكم تحياتي وأشواقي ، أرجو أنكم بتمام الصحة

في ليلة الأحد الموافق ١٥/٦/٦٦ × ٢٧/٥/٤٥ وصلنا القاهرة

بسلام لم نلق أي متاعب وذلك بفضل الله ثم [illegible] توجيهاتكم

[illegible] . راجين المولى تعالى أن يكلل مساعيكم بالنجاح وأن

يقدر الاجتماع قريبا - هذا وقد [illegible] بوصولنا ونرجو

ما يلزم وتتفضلوا بإبلاغ سلامي للوالدة والعائلة وكافة

الأهل . و[illegible] السلام [illegible]

ملاحظة — لم نراجع الدكتور حتى الآن

العنوان - [illegible] شارع محمد [illegible]

شارع الداخلية سابقا

[illegible] رقم ٨

(١)

الخطاب الأول (١) :

هذا خطاب تاريخه يعطيه الحق أن يتقدم على الخطابات اللاحقة، وهناك فائدة أخرى من تقديمه وهو أنه سيأتي ذكر لصاحبه في كتب لاحقة.

الأخ صالح بن إبراهيم الضراب هو ابن خالة والدتي، وسبق أن ورد ذكره في جزء سابق. وخطابه هذا يشير إلى سفره إلي مصر، ومبادرته بالكتابة لي أنا وحمد دليل على اللحمة الأسرية التي كانت تربطنا، والأخوة التي كانت تجمعنا، وقد سكنا معاً في بيت واحد مدة تجعل إرسال خطاب مثل هذا لا يستغرب. والخطاب يعبر عن نفسه، ويلاحظ حسن الخط وجمال التعبير، والتخلص من بعض لوازم الخطابات القديمة.

الخطاب الثاني (٢):

بسم الله الرحمن الرحيم..

حضرة المكرمين الأعزاء سيدتي الوالدة والخالة والخوات حفظهم الله آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، على الدوم، مع السؤال عن صحتكم، جعلكم الله بأتم الصحة والسعادة.

وصلنا القاهرة بالسلامة، ما رأينا من فضل الله أي مكروه، ربنا يديم السلامة والعافية علينا وعليكم.

سافرنا من عندكم، وجلسنا في جدة في الأوتيل يومين، وظهر الجمعة ركبنا الباخرة، ونمنا فيها ليلة، وهي واقفة، ولا سافرت إلا ظهر السبت الساعة السادسة [غروبي]، ووصلنا القاهرة ليلة الأربعاء، ربنا لا يجعل

ما مضى آخر العهد بكم آمين، ويمكن بعد إسبوع ندخل الامتحان ـ ربنا ينجح مقاصدنا ومقاصدكم، ويجعل النجاح حليفنا وإياكم.

والأخ صالح البراهيم صحته تسرك، يا خالة، بالحيل، ولابد خطوطه وصلتكم عقبي، ولا تشرهون عليَّ في عدم إرسال الخطوط مبكراً، أو إرسالي برقية أخبركم فيها بالوصول، لأن مصر ما هي مثل مكة، أمشي خطوتين وارميهن في البريد، والذي غيري ما هو قاعد لطلباتي وأوامري، كل حدّه حدّ نفسه، لولا أننا وجدنا في البعثة صديق قديم من الجماعة اسمه محمد العبدالعزيز العنقري كان ما أدري وش تكون حالتنا، ولكن الله مطّلع على القلوب، ويعلم إن ما لنا حيلة فرحمنا، له الحمد والشكر.

الحقيقة إن محمداً هذا وسع علينا الدنيا، جزاه الله خير [كذا] الذي معنا في البعثة أكثرهم لهم أقرباء في البعثة نفسها، أو أصدقاء كإخوان.

أخبرتكم بالأخبار هذه لأجل لا تشرهون عليَّ في عدم إرسالي خبر الوصول بسرعة، والأخ محمد ما نحب نكلفه، وإذا كان رفيقك عسل لا تلحسه كله، حنا مغطينا الحيا منه من أفعاله بنا، تولّى الله مجازاته عنا.

وأنا هذا الأسبوع مشغول بالمذاكرة، وإذا اختبرت ـ إن شاء الله ـ ونجحت أخبرتكم في كتاب ثاني.

أخبرونا عن صحتكم، وصحة أهل عنيزة، وهل صندوق العمة موضي وصل أم لا؟ ولابد مدرسة العيال انفتحت، وابتدأت الدراسة. واحرص، يا أخ

حمد، على الوقت لا يضيع منه دقيقة إلا وأنت مستفيد منها، وابطل عادة عدم المذاكرة الذي أخبرك تحبها، واجتهد ترى ما ينفعك إلا اجتهادك، وقريباً ـ إن شاء الله ـ تكون رئيس البعثة المعهدية، وقد سهّلنا لك الطريق بسفرنا قبلك، فتجيء بحول الله وكأنك داخل من بيت لبيت. ربنا ينجح المقاصد، وأنت تسهل الطريق لعبدالله ـ إن شاء الله ـ والعام كنت عندك، وأعرف كيف توانيك، فأحثّك وأعلِّمك واليوم أنت رقيب نفسك ومعلمها، وانقضى عهد الطفولة وأتى دور المعرفة والرجولة. أقول هذا الكلام من قلبي لما رأيت أمثالك عندنا، ومقدار اجتهادهم، ولا تغتر بأنك الثالث أو الرابع وتتّكل، بل اعمل واتّكل.

هذا ما لزم، مع تبليغ سلامي العزيز لديكم، ودمتم في حفظ الله.

الولد

عبدالعزيز العبدالله الخويطر

في ٢٢/ ١٠/ ١٣٦٤هـ

(العنوان بالخلف)

وإن شاء الله، يا أخ حمد، تكتب للخالة حصة السليمان خط على لساني أن تخبرها بوصولي كأني مرسله لها من مصر، وكذلك أبوي عبدالله وخالي إبراهيم وخالي عبدالعزيز، واخبرني رجاء عن محمد العبدالله هل نزل إليكم أو ماذا. أرسلت رسائل قدر التراب لم يجبني كما تخبر عنها جواباً أبداً.

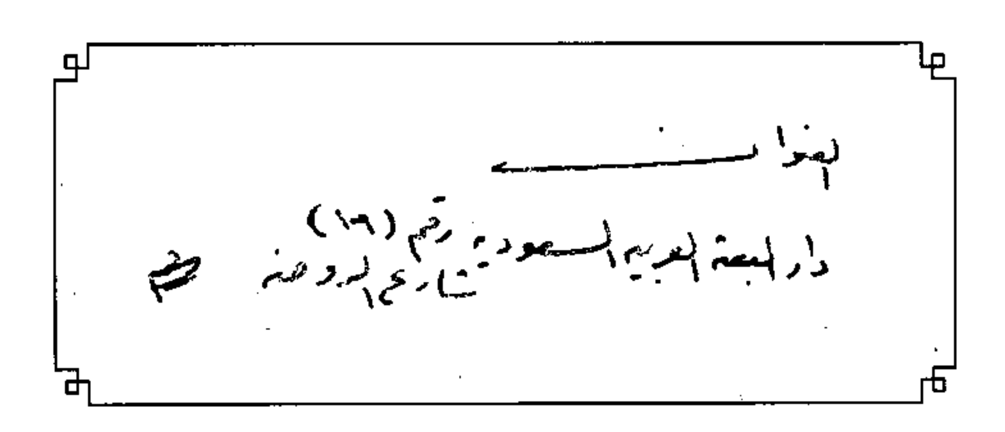
بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة [illegible] معظم الرئيس

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته [illegible] مع السؤال عن [illegible]

[illegible]

(٢)


العنوان
دار البعثة العربية السعودية رقم (١٦) شارع الروضة

الخطاب الثالث (٣) :

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المكرم العزيز الأخ حمد العبدالله الخويطر حفظه الله.. آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام.

مع السؤال عن صحتكم، جعلكم الله بخير وعافية، ونحن لله الحمد بأتم الصحة والسعاددة.

قدمنا لكم قبل هذا كتاب [كذا] مع الأخ صالح البراهيم [الضراب] الأمل أنه وصلكم بالسلامة، والخطوط الذي معه تأملتوهن مسرورين. وفي طي كتابك كتب بعض الإخوان في المدرسة أرجو أن تسلمها لهم، والذي بعنيزة ترسلها له. وأرجوك تسلم الكتب لأصحابها الموجودين في مكة من غير أن يطلع

عليك أحد حال تسليمك إياها، خوفاً من أن يشرون [كذا] لأني ما أرسلت لهم كتب [كذا]، أما كتاب الأخ عثمان [الصالح] فتضعه في ظرف، وتسأل الأخ إبراهيم الحجي عن العنوان، وترسله للرياض، وإن كان إنه سيحج، وبقاؤه أصلح فلا تذخر في التحري عن المستحسن.

هذا ما لزم والسلام.

كذلك حمزة عابد إن كان هو غير موجود في مكة فاطلب من الأخ أحمد الخيال يستفسر من محمد صادق قاضي عنه، ويسأله عن عنوانه، وضعه في ظرف وارسله، واعطه إياه، رأيك!.

مني السلام على سيدي الوالد والوالدة وحصة ونورة والخالة هيا، ودمت، والسلام.

هذه هي الرسالة الثانية مني لأخي حمد، أرسلتها له من القاهرة إلى مكة بدون تاريخ، ولكن هناك ما يدل على أنها كتبت في أواخر شوال أو أوائل القعدة من عام ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م)، أي بعد وصولي القاهرة بما يقرب من الشهر.

والذي يدل على ذلك ما ورد في الخطاب عن الزملاء والأصدقاء في مكة والرياض وعنيزة إذ لم ينفرط عقدهم بعد، ولم تنقطع الصلة معهم، وبعضهم سوف يلحق بي. وسوف يتأكد هذا الحدس من الخطاب السابق الذي يشير إلى أن هذا الخطاب سبقه آخر، وأنه أرسل بالبريد العادي، بينما أرسل الثالث بالبريد الجوي، فوصل قبله. وسبب إرساله بالبريد الجوي مشروح في الخطاب الثالث، وأهم شيء فيه هو إرسال الشاي

المطلوب مع الأخ عبدالرحمن أبا الخيل بدلاً من محسن بابصيل الذي وصل إلى مصر قبل أن يتصل به الأخ حمد قبل سفره من مكة.

والخطاب الأول يشير إلى عودة الأخ صالح الإبراهيم الضراب من القاهرة إلى مكة بعد العلاج. وأذكر أني زرت الأخ صالح في «لوكاندة» تطل على ميدان العتبة الخضراء، ويبدو أن مجيئه كان للنزهة أكثر منه للعلاج، ولكن كثيرين، ممن يأتون للسياحة والنزهة في مصر يجدونها فرصة لعرض أنفسهم على أطباء عامين أو أطباء متخصصين. لقد كان الطب في مصر متقدماً بالنسبة للمملكة العربية السعودية، وقد مرّ ما ينبئ عن تاريخ وصوله مصر.

أما من أشير إليه في كتابي باسم (الأخ عثمان) فهو الأستاذ عثمان الناصر الصالح رحمه الله، وكان جاء إلى مكة ثم عاد إلى الرياض، ومتوقع أن يأتي مع سمو الأمير عبدالله بن عبدالرحمن آل سعود للحج مع الملك عبدالعزيز كالمعتاد كل عام.

ومعرفتي بالأستاذ عثمان تعود إلى ما قبل هذا العام بأكثر من أربع سنين، وكنا نلتقي في الحرم لصلاة المغرب ونبقى إلى ما بعد صلاة العشاء بوقت غير قصير، حيث نتحدث في الأمور العلمية والأدبية، وبقيت الصلة إلى أن توفي رحمه الله في آخر أسبوع من شهر صفر ١٤٢٧هـ.

أما حمزة عابد فهو زميلي في سنوات المعهد الثلاث، ولكنه لم يُبتعث هذا العام، لأن عدد من يبتعث سنوياً

محدود، خلاف تحضير البعثات فقد كان يبتعث جميع من يتخرج منها، وقد ارتفع عدد من يبتعث من المعهد فيما بعد مما أتاح للأخ حمزة أن يلحق بنا في البعثة وفي دار العلوم.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المكرم العزيز الأخ عبد الله الخويطر.   حفظه الله آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام ثم السؤال عن صحتكم جعلكم الله بخير وعافية ونحن والحمد لله بأتم
الصحة والسعادة قدمنا لكم قبل هذا كتاب مع الأخ صالح إبراهيم الأصل إنه وصلكم بالسلام والخطوط
الذي معه أنا [illegible] مسرور به وقد طرأ لنا بله كتب لبعض الأخوان في المدرسة أرجو أن تسلمها
لهم والذي لعنيزة ترسلها. وأرجوك تسليم الكتب لأصحابها الموجودين في مكة من غير أن
يطلع عليه أحد حال تسليمه إياها خوفاً من أن يشرهوا به لأني ما أرسلت لهم كتب
أما كتاب الأخ عثمان فتضعه في ظرف وتسأل الأخ إبراهيم الجبر عن العنوان وترسله للطائف وإن كان
إنه سيحج وبقاؤه أصلح فلا تتأخر في الشركة السعودية هذا ما لزم والسلام.
لأن حمزة عبد الله كأنه هو غير موجود في مكة فأطلب من الأخ عبد [illegible] يستفسر منه محمد صادق
[illegible] عنه ويسأل عن عنوانه وضعه في ظرف وأرسله وأعطه إياه رأساً. منا السلام على سيدي
الوالد والوالدة وعمه وعزه والـ[illegible] جميعاً ودمتم والسلام

(٢)

الخطاب الرابع (٤) :

هذا خطاب رابع في ورقة واحدة مع الخطاب السابق، وقد أوجب إفراده ليوجه للوالدة وبقية الأهل.

وهذا نصه، وسوف أعلق على ما يستوجب التعليق فيه، مع ضرورة وضع صورة الخطاب مع الملحقات.

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المكرمة العزيزة سيدتي الوالدة والخالة هيا والخوات حصة ونورة.. حفظهم الله آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام.

مع السؤال عن صحتكم، جعلكم الله بخير وسرور، ونحن لله الحمد بخير وعافية لم ينقص علينا سوى مشاهدتكم السارة، ربنا يقدر الاجتماع بكم

على أسَرّ الأحوال.

قدمت لكم قبل هذا كتاب [كذا] مع الأخ صالح [الضراب] الأمل وصلكم بالعافية، وقرت عينك يا خالة فيه.

والخطوط الأمل أنكم تأملتوها بالعافية. أما من جهتي أنا فلله الحمد بخير وعافية لا ينقصني من السرور شيء سوى رؤياكم، خصوصاً نورة. كتبت الكتاب هذا لأني ما عندي مذاكرة في هذه الساعة، وإلا الوالد ما كتبت له لأني خابره ما يحب الكتب الزائدة، أما أنتم يا الحريم فمثل ما تعرفون.

مني السلام على العم عبدالله [العوهلي]، وأهله، إن كان انهم نزلوا من الطائف. أما مصر فحنا نتغطى هذه الأيام من البراد في المجالس، وأظنها مثل مكة.

هذا ما لزم، ومني السلام على جميع من سأل عني، ودمتم سالمين والسلام.

لابد يا أخ حمد إننا إن شاء الله نبي نُحصِّل شنطة بدون فلوس ونرسلها لك إن شاء الله، فأنت لا تستعجل وتشتري يمكن نرسلها مع أفراد البعثة الذين سيحجون والسلام.

الولد

عبدالعزيز العبدالله الخويطر

***

وكتبتُ خلف الصفحة، الآتي:

«الأخ محمد العبدالله القاضي أرسلت له عدة كتب، وأنا في مكة. فهل جاك لي منه رد؟ وهل كان في الطائف أما ماذا؟ .. ودمت.

وإن كان تعرف الأخ محسن بابصيل، ولا صار عليكم تكليف فتعطيه شوي شاهي، وهو جزاه الله خيراً ما يقصر إن كان إنه سيأتي عن قريب، إما أُقّة أو أقّتين. تحطونها في طابوق تنك [علبة تنك]، وإن كان ما رضي فلا تتكلفون.

***

الأخ محمد العبدالله القاضي ابن خالتي منيرة، وأخي من الرضاع، وسبق أن تحدثت عنه[1]، وما ذكرته هنا أني أرسلت له عدة كتب وأنا في مكة دليل آخر على أن هذا الخطاب كتب منذ وقت قريب، وسيؤكد هذا ما جاء في خطاب آخر.

وطلب إرسال شاي من مكة إلى القاهرة يؤكد

(١) خاصة في رحلاتنا من عنيزة إلى مكة.

ما سبق أن ذكرته عن رداءة الشاي في مصر على أثر الحرب، وهنا تسجيل مفيد للمعيار الذي يستعمل لوزن الشاهي في مكة، وهو الأُقَّة والأُقتين.

أما الأخ عبدالمحسن بابصيل فمن بعثة سابقة لنا، وقد نجح هذا العام، وذهب لزيارة أهله في مكة، ولم يأت مبكراً، حرصاً على قضاء وقت أطول مع أهله ومحبيه، وسوف يتبين أنه جاء بعد كتابة خطابي بوقت قصير، جاء قبل أن يصل كتابي مما دعاني إلى توجيه شقيقي حمد أن يرسل الشاي مع الأخ عبدالرحمن أبا الخيل.

يلاحظ هنا أولاً الديباجة التي لا تتغير، وقد أخذناها مسلمة ممن سبقونا، ولم نناقش معناها، وتعد بلا شك متحررة ومعقولة إذا ما قورنت بما كان يكتبه الجيل الذي سبقنا والجيل الذي سبقه، ومن الديباجات التي

كانوا يدبجونها في المخاطبة في افتتاح خطاباتهم قولهم مثلاً:

«حضرة جناب المكرم حميد المكارم والشيم الأفخم الأحشم».

وقد يزيدون ضعف هذا أو ينقصون حسب مقام الموجه له الخطاب.

وأظنني سبق أن تحدثت عن موقف لي مع الشيخ عبدالعزيز الحمد العبدلي[1] استعمل فيه عقله أمام جملة درجنا على كتابتها دون التفكير في معناها، والقصة كما يلي:

وصل الشيخ عبدالعزيز إلى القاهرة للعلاج، وذهبت معه إلى عيادة أحد الأطباء، فالتفت الشيخ

---

(١) له صورة معي ص ٣٠٧ من هذا الجزء.

عبدالعزيز إليَّ ونحن في انتظار دورنا، وقال لي:

نريد أن نكتب صيغة موحدة نطبعها في «بوك» أو «بوكين»، نخبر من خلفنا ممن وراءنا من الأحبة، ومن «عَنّوا» أنفسهم وودّعونا.

وهذه عادة جرى عليها القادمون إلى مصر، لتوفر مطابع صغيرة في دكاكين معروفة، تطبع عندها مثل هذه الصيغ، ولا تكلف كثيراً.

وبعد أن كتبت أول سطر في الديباجة قلت في صيغة الخطاب:

«وعزّ علينا فراقكم».

فسارع رحمه الله وقال لي:

إصبر يا «بيّي»! كيف يعزّ علينا فراقهم، هل حقيقة فراقهم مما يعز علينا ونرحّب به؟

فبهتّ بهذه الحجة المنطقية، ولم يسعني إلا أن أوافقه على ما قاله، وأستغرب كيف كنا نكتبها دون أن ندرك الخطأ الذي نقع فيه. وشطبتها، وبمجرد ما فعلت ذلك تذكرت قول المتنبي:

يا من يعزّ علينا أن نفارقهم

وجداننا كل شيء بعدكم عدم

والمتنبي عند أهل نجد في القمة، يؤخذ قوله حكَماً مسلَّمة، وليس هناك في نجد متعلم لا يحفظ مقداراً وافياً من قصائد المتنبي.

قال الشيخ عبدالعزيز رحمه الله بحماس:

«صدق المتنبي، ضعها، ضعها، ضعها».

ثم بعد ثوان وأنا أكتبها تذكرت حجة أقوى، وتعبيراً أشرف، قلت يا أبا حمد:

الله سبحانه وتعالى يقول عن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام:

﴿عزيز عليه ما عنتّم﴾.

قال رحمه الله:

يكفينا قول المتنبي و «يخبّ» علينا، أي وهذا يزيد عن حاجتنا.

رحمه الله، فقد كان رجلاً يقدم عقله على كل أمر يأتيه.

أبعدت قليلاً عن نص خطابي للوالدة والأهل، وأرجو أن يكون في هذا الاستطراد بعض الفائدة.

الخالة هيا الإبراهيم العضيبي هي خالة والدتي موضي السليمان القاضي، وهي والدة الأخ صالح الإبراهيم الضراب، مما أوجب تهنئتها بوصول إبنها إلى مكة.

أما إفرادي أختي نورة بالتحية فلأنها أصغر المجموعة الموجه لهم الخطاب.

يلاحظ ما قلته عن الوالد وأني لم أكتب له لأنه سبق أن نبهني إلى ما يستدل منه على أن الخطاب يجب أن يحتوي على شيء يستوجب انفاق الوقت فيه، خاصة ممن هو مفروض منه أن يكون وقته كله للدراسة.

ويبدو أن الوقت كان انصرام الصيف وقدوم الشتاء بدليل ما ذكرته عن برودة الجو في القاهرة مقارنة بمكة، وكذلك ما قلته عن نزول العم عبدالله المحمد العوهلي من الطائف، مصيف مكة، بعد أن قضى «الصيفية» هناك كالمعتاد، هو وأهله.

وحمد كان متطلعاً لشنطة، ولا أدري هل هي شنطة كتب أو ملابس.

بسم الله الرحمن الرحيم   فإليها   حفظكم الله آمين

حضرة الأم العزيزة سيدتي الوالدة والأخوات حصة ونورة بالسؤال عن صحتكم جعلكم الله بخير وسرور وكثرة الحمد كثير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام ثم السؤال عن صحتكم ... ربنا يقدر الاجتماع بكم على أسر الأحوال.

وعافية لم ينقصنا شيء سوى مشاهدتكم السارة ... وقرت عينيك يا خالة في ... والخطوط

قدمت لكم قبل هذا أننا بعثنا أوراق صالح المحمد وطمأنتكم بالعافية ... ولا ينقصنا من السرور شيء

بعد ما انتهى أسبوعنا بالعافية أما من جهتي أنا فلله الحمد بخير وعافية ... في هذه الساعة ولا

سوى رؤيتكم وخصوصاً ... كتبت الكتاب هذا لأني ما عندي ما أذكره ... ما تعرفونه من

الوالد ما كتبت له لأني خابرته ما يحب الكتب الزائدة أما أنتم بالحريم ... أما مصر فنحن ننتظر هذه الأيام من

السلام على العم ... واحد ... من أهم ... أما ... على جميع من سأل عنا ومنهم ...

الجيران والطنخ ... هذا ما لزم ومنا السلام على جميع ... وتسلم لنا ...

والسلام لابد يا أخي ... إن شاء الله ... يشتغل ... والسلام

ولا تستعجل ... مع ... المعتبر ...

الولد

عبدالعزيز العبدالله ...

(٤)

الأخ محمد العبدالله الفاضل أرسلت لكم عدة ملفات وأنا في ملافل حال لي منجزرد وهن كان في الطائف
ام ماذا ودمت . وان كان تعرف الأخ محسن بالعمل ولا إجبار عليكم تكليفه فتعطيه لي شوف شاكر
فهو جزاه الله خير ما يفهم ان كان ~~[illegible]~~ انه سيأتي عن قريب اما اذا أردتنه تكلموا
في طابعه نعله وان كان عارض فقد تشكلون ه

[illegible]

ومادام ورد في هذا الخطاب ذكر الشيخ عبدالعزيز الحمد العبدلي رحمه الله فيحسن أن أعرض هنا صورة لي معه، أخذت عند المصور «شارلز».

ومن يأتي من المملكة يحرص أن يأخذ صورة عند أحد المصورين المشهورين، يكون لباسه فيها البدلة الإفرنجية. ويلاحظ أن «الموضة» في تلك الأيام هي الصوف «المقلّم»، والحذاء له لونان أبيض وبُنّي. والصور تتحدث عن الناس أكثر مما يتحدث اللسان.



الخطاب الخامس (٥):

بسم الله الرحمن الرحيم في ٧/ ١١/ ١٤٦٤هـ = ١٣/ ١٠/ ١٩٤٥م.

حضرة المكرمين الأعزاء سيدتي الوالدة والخالة هيا والإخوان والأخوات.. حفظهم الله آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. دمتم بأتم الصحة والسرور، ونحن لله الحمد بخير وعافية لم ينقص علينا سوى رؤياكم السارة، ربنا يقدر الاجتماع على أحسن حال عن قريب.

وصلني كتابك العزيز رقم ٣/ ١١، وسرتني صحتكم، أرجو منه أن يديمها على الجميع، والحقيقة أني سررت به سروراً عظيماً، لأنه أول كتاب وصلني من الحجاز، لاسيما وهو يحمل بين دفتيه أشياءً [كذا]

تسر، منها العلبة، والثانية سفر الأخ عبدالرحمن، والثالثة التحاق الأخ عبدالله بالبعثات. هذا ولا أنسى أن أذكر لكم أنى أرسلت لكم كتاباً في البريد العادي أخبرتكم فيه بأن ترسلوا لي مقدار أقتين شاهي، وإذا كان الأخ عبدالرحمن سيتوجه فأرسلوه معه، لأن محسن بابصيل وصل إلينا في هذه [كذا] اليومين، ويمكن أن هذا الكتاب يصل إليكم قبل الذي في البريد، لأني سأرسله ـ إن شاء الله ـ في البريد الجوي، كله لأجل يصل إليكم قبل سفر الأخ عبدالرحمن ـ إن شاء الله ـ وأخبروا الأخ عبدالرحمن بأني أنا الذي أمرتكم بإرساله معه، ولا يأخذه أي خوف، لأني كنت خايف [كذا] من الجمرك، ولكن تبين أنه ليس ممنوع [كذا]، ولا يخاف أبداً. أرجو أن تتمكنوا من إرساله معه، وإرسال بعض مساويك كان معلوم [كذا] ما

قاله العم إبراهيم من جهة المجلات. كتاب حسنان ممكن إرسال كتابه مع الأخ عبدالرحمن الحقيل. أما الأخ عثمان ومحمد العبدالله وعبدالرحمن فأرسلت لك كتب [كذا] لهم، أرجو أن تصلك وتجعل كل واحد منها في ظرف، وترسله لهم، وكذلك كتاب الأخ أحمد عبدالغني تجعله في ظرف. والأخ ناصر بوحيمد لابدك أخبرته بأن الكتاب تسلم لصاحبه، وأظنه توجه إليكم هذين اليومين أو إلى الرياض. كما أني أهنيه بإلقاء القصيدة أمام جلالة الملك، وإن كان ما هناك مانع تطلب إرسالها مع الأخ عبدالرحمن الكتاب غاية العجلة، أرجو عذري، كتبته مستعجلاً لما وصل كتابك يخبر بسفر الأخ عبدالرحمن، والحقيقة أنها فرصة قل أن تسنح بها الفرص.

هذا ما لزم، وسلامي العطر على سيدي الوالد إن كان هو حاضر [كذا]، وجميع الإخوان: أحمد، إبراهيم، ناصر، القضيب، والمنصور، والأخ العزيز ناصر بوحيمد، الفريح.

أرجو إخباري هل الوالد حاضر أو توجه مصحوباً بالسلامة إلى الرياض. توقفت عن أن أكتب له لهذا السبب، إن كان كتاب من عمتي موضي خاصة إرسله لي في كتابك.

أرجو إخباري في الكتاب الآتي إن شاء الله: هل الإخوان دخلوا الامتحان أم لا؟.

أخوك

عبدالعزيز العبدالله الخويطر

***

هذا الخطاب الخامس قَيِّم من عدة جهات، أولها أنه يحمل التاريخين الهجري والميلادي، وهو أمر مهم لأنه يضع الحقائق في إطارها الصحيح. ومن فوائد هذا الخطاب أنه صريح في أن يكون أول خطاب أتسلمه من أهلي بعد مجيئي إلى القاهرة. وهو يحمل، كما صرح، عدداً من الأمور التي عدتها سارة لي، ومنها العلبة، وهذه العلبة لُغزٌ لي الآن، فما أدري ما هي، وما مدى أهميتها حتى أسر بها. والأمر الثاني الذي سرني هو قرب سفر الأخ عبدالرحمن أباالخيل مبتعثاً إلى مصر، وعبدالرحمن قريب وصديق ومجيؤه عندنا إضافة لمجتمعنا الأسري. ومن الأخبار السارة التي حملها الخطاب أن الأخ عبدالله القرعاوي، ابن عمتي، أنهى المرحلة الابتدائية، والتحق بتحضير البعثات.

وفي هذا الخطاب ذكْر لإرسال أقة أو أقتين من الشاي مع الأخ عبدالرحمن بدلاً من محسن بابصيل الذي وصل إلينا قبل أن يصل خطابي الأول لأهلي لإرسال الشاي معه.

ويلاحظ اهتمامي ببعض الجوانب الخاصة بالإجراء، وأني قد تأكدت أنه لا جمرك على الشاي، وفي هذا طمأنة للأخ عبدالرحمن، فلا يحمل همّاً للجمركة أو المصادرة.

وفيه إشارة إلى ما كان من فرق في الزمن بين ما يرسل بالبريد السطحي عن طريق البواخر، وما يرسل بالبريد الجوي، والفرق يهم الطالب محدود الدخل، إلا أن الأمر في حالتي هذه تبرر الصرف على الخطاب بإرساله بالطائرة، ولهذا وصل قبل الثاني الذي كان يزحف على ظهر سلحفاة!.

العم إبراهيم الوارد ذكره هو عمي إبراهيم العلي الخويطر، والدي الثاني رحمه الله. وكان طلبه إرسال بعض المجلات، وهو طلب يثلج صدري، ويسعدني أن استجيب له، علِّي أفي ببعض حقه عليَّ.

أما الأخ عثمان فهو عثمان الناصر الصالح، ومحمد العبدالله هو أخي، وعبدالرحمن هو عبدالرحمن أباالخيل. وناصر بوحيمد صديق عزيز وشاعر رقيق، وكنا نتمنى أن يكمل تعليمه بالمجيء إلى مصر، ولكن الله أراد له أن يبقى في المملكة، ولايزال ذكره عطراً في النفس عندما نراه أو نسمع عنه، رغم بعده عنا في المنطقة الشرقية على ما أعتقد. وكان الأخ ناصر ألقى قصيدة أمام جلالة الملك عبدالعزيز، ولقيت استحساناً جعلني أطلب من أخي حمد إرسال نسخة منها لي، ولو لم

تكن إلا أنها قصيدة ناصر في ملك البلاد.

أحمد المشار إليه في إبلاغ السلام هو الأخ أحمد الزيد الخيَّال رحمه الله، وقد كان التحق بوزارة الخارجية كما سبق أن ذكرت[1]، وإبراهيم هو إبراهيم الحجي، وناصر هو ناصر الحمد المنقور، والقضيب هو الأخ الحبيب محمد العبدالله القضيب، والمنصور هو عبدالرحمن المحمد المنصور، والفريح هو محمد العبدالرحمن الفريح.

هؤلاء الإخوان هم «خبرتنا» مجموعتنا، كنا نجتمع في الحرم ليلياً بين صلاة المغرب والعشاء، وبعد العشاء، وفي العصر في بيت أحدنا، وطالما ذهبنا إلى بيت الأخ أحمد الخيال رحمه الله في الشامية، وهناك نضمن أن يكون الأخ محمد القضيب هناك. لأن والدة أحمد

---

(١) انظر: (الجزء الخامس) ص ٤٣٢.

الخيال خالته، وكنا نتمتع بالشاي الذي لا ينفد، فهذا «براد» آت، وهذا «براد» ذاهب، والشاهي في تلك الأيام له طعم لا يستطيع القلم أن يصف لذته، رغم أن الشاي حار وجو مكة ـ شرفها الله ـ حار. أكاد أحيط في تصوري الآن بكل جزء مما كنا نجتمع فيه في مدخل البيت.

عمتي موضي لها مكان في قلبي مجاور لمكان والدتي موضي، ولهذا كان اهتمامي عما إن كان جاء منها خطابات لي، وهي في عنيزة، وقد سبق أن أوصلتها إلى هناك قبل سفري. وأعرف أنها ذهبت إلى هناك مؤقتاً لتصفي بعض أمورها التي في بيت عنيزة، بعد أن توفي جدي رحمه الله، واستوجب الأمر أن تأتي إلى مكة، لأنه لن يحتاجها أحد هناك، فعمي عنده زوجته وابنه وبنته،

أما هي فقد آن الأوان أن تستريح، وتُخدم فقد خدمت كثيراً، ولم تتأخر عن القيام في عمل يحتاجه البيت، فقد كانت كل شيء دون تذمر أو تأفف ـ رحمها الله رحمة الأبرار ـ.

كان ذهني مشغولاً مع بعض إخواني في مكة بعضهم ممن ذكرت اسمه، وكانوا التحقوا بالتعليم على كبر، وأبدوا همّة ليلتحقوا بمن سبقوهم من إخوانهم، وقد نجحوا في هذا فكانوا يدخلون امتحان سنة في «الدور الأول»، والسنة التي بعدها امتحان «الدور الثاني»، مع المكملين، وبهذا «يطابقون» السنتين في سنة. وكنت تركت مكة وقد أدوا امتحان إحدى السنوات في الدور الأول. وسؤالي هل دخلوا امتحان السنة اللاحقة في الدور الثاني.

بسم الله الرحمن الرحيم ٧ / ١١ / ١٣٤٤هـ — ١٠ / ١٢ / ١٩٢٥م

حضرة المحترمين الأعزاء سيدي الوالد والوالدة والإخوة والأخوات حفظهم الله آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته دمتم بأتم الصحة والسرور ونحن لله الحمد بخير وعافية لم ينقصنا شيء سوى
رؤيتكم السارة ربنا يقدر الاجتماع على أحسن حال عن قريب.
وصلني كتابكم العزيز رقم ٣/١١ وسررت بصحتكم أرجو منه أن يديم على الجميع الصحة أي سررت به
سرورًا عظيمًا لأنه أول كتاب وصلني من الحجاز لا سيما وهو يحمل بين دفتيه أشياء تسر منها
الطلبة والثانية سفر الأخ عبد الرحمن والثالثة [illegible] الأخ عبد الله بالبضاعات هذا وإني نسيت أن أذكر لكم
أني أرسلت لكم كتابًا بالبريد العادي أخبرتكم فيه بأن ترسلوا مقدار اقتناء شاهي [illegible]
الأخ عبد الرحمن سيتوجه فأرسلوه معه لأنه حسب ما بلغني وصل إلينا في هذه اليومين ويلزمه
أن هذا الكتاب يصل إليكم قبله لأني سأرسله إن شاء الله في البريد الجوي لكي لأجل يصل
إليكم قبل سفر الأخ عبد الرحمن إن شاء الله وأخبروا الأخ عبد الرحمن بأني أنا الذي أمرتكم بإرساله
معه ولذا هذه الأحرف لأني كنت خائف من الجمرك ولكن تبين أنه ليس ممنوع ولذا فأنا
أرجو أن تشكروا [illegible] بإرسال بعض [illegible] العم إبراهيم
زوجته الجديدة كتاب [illegible] إرسال كتاب مع الأخ عبد الرحمن الجفيل أما الأخ عثمان
ومحمد العبد الله وعبد الرحمن فأرسلت لهم كتب لكم أرجو أن [illegible] وتحمل كل واحد منها [illegible]
وترسلها لهم وكذلك كتاب الأخ أحمد عبد الله تجعله [illegible] الأخ ناصر محمد [illegible]
أخبرته بأن [illegible] والظن [illegible] إليكم هذه اليومين [illegible] كما أني أهنيه
بالعافية [illegible] أمام [illegible] الله [illegible] ما في تطلبه من [illegible] الأخ
عبد الرحمن لكتاب [illegible] أرجو [illegible] كتبته [illegible] لما وصل كتابكم [illegible] الأخ عبد الرحمن
والحقيقة [illegible] قل أنه [illegible] الذي [illegible] السلام على سيدي الوالد [illegible]
وجميع الإخوان أحمد. إبراهيم. أحمد. [illegible] والمنصور [illegible] أحمد [illegible]
وعبد الرحمن [illegible] والفضل. ومحمد عبد الله. ومحمد عبد الرحمن والعدل وعبد الرحمن الجفيل [illegible]
أرجو [illegible] هل الوالد [illegible] ... [illegible] توقفت [illegible] أكتب [illegible]
[illegible] كتاب [illegible] خاصة [illegible] كتابك.
أرجو إخباري في الكتاب [illegible] إن شاء الله [illegible] الإخوان [illegible]

ولدكم

عبد العزيز [illegible]

(٥)

الخطاب السادس (٦) :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من القاهرة إلى مكة في ١٩/ ١٢/ ١٣٦٤.

من الولد عبدالعزيز إلى حضرة المكرمة العزيزة سيدتي الوالدة والإخوان والخوات.. حرسهم الله ورعاهم.. آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. دمتم بأتم الصحة والسرور، ونحن لله الحمد بخير وعافية، لم ينقصنا سوى رؤياكم السارة، ربنا يقدر الاجتماع على أحسن حال.

أهنيكم جميعاً بعيد الأضحى السعيد، أعاده الله علينا وعليكم بالصحة والسلامة عاماً بعد عام والجميع بخير وطمأنينة.

جميع كتبكم التي قبل الحج وصلتني، وسرتني صحتكم، وأتمني من الله أن يجعلها صحة دائمة ظلها لا يزول. وتشرهون عليَّ في قل المكاتبة والحقيقة أني مقصر وإلا قبل العيد كنت فارغاً. وقد التحقت بكلية دار العلوم رسمياً، أرجو الله أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى، ويجعلها بدء خير، ويجعل النجاح حليفنا وحليفكم.. آمين.

بشرتموني في كتابكم السابق بالمولودة التي أرجو من الله أن يصلحها ويبقيها ووالديها. وأقول الحق إن هذا الكتاب لا يساويه أي كتاب عندي، إذ أني كنت كثيراً ما أفكر في ذلك، فجاءني هذا الكتاب يحمل البشرى بها وبصحة والدتها. أرجو وآمل أن تكون بصحة دائمة، وعافية مستمرة، ويريني وجوه الجميع في الحالة السارة للطرفين.

والكتب والذي مع الحقيل جميعاً وصلت، وسرتني أخباركم التي أدلى بها إليَّ. أما الكتب فسأواصل إرسالها إن شاء الله تعالى.

بشرتني يا أخ حمد بالقفل إنكم وجدتموه، بشرك الله بالخير، وإذا جاء إلى مكة فهو لك مني اجعله لصندوقك. وإن كان تحتاج كتب القواعد الذي أخذت معي، أو الأدب، أو غيرها من الكتب، فاخبرني، وعندك الصندوق الذي فيه كتبي خذ منه الذي تحتاج، مهم أو غير مهم عندي، كالأطلس أو نحوه. أما المفتي فطبعاً ما يحتاج إلا الدفاتر فاعطه منها ما يريد، مع ملاحظة عدم التفريط فيها، لأنها ستنفعك في المستقبل، إن لم يتغير المنهج، فائدة عظمى وأنت رشيد إعمل بها ما تريد.

وإذا ترددت في أمر كتاب من الكتب فاسألني عنه، ولكن أرجو ألا يصرف شيء في غير مجراه.

أخبرتني عن وصول العم عبدالله، فأشكرك. وأرجو أن تخبرني عن سفر الوالد كذلك لأجل أرسل الكتب إلى الرياض، أما الكتاب الذي أرسلت لك، وتذكر أن الوالد اطلع عليه وأنه كتب لي من أجله، فهو يذكر أني أكثرت من قول سلّم لي على فلان وفلان، وهذه خطيئتك أنت لأنك كاتب لي يسلم عليك فلان وفلان وفلان، فرددت السلام طبقاً، وإطاعة لقول الله تعالى: ﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾. والوالد يتنبأ أني لم أكتب هذا إلا عن فراغي، وقد كان ذلك صحيحاً أني كنت فارغاً حتى من كتاب أدبي أنظر إليه، لأني لا أعرف عن المكاتب شيئاً، ولا أحب التكليف على الغير إلا

فيما لابد منه، كتبت هذا الكتاب مطوّلاً قبل أن تفتح المدرسة بيوم، لهذا طوّلت فيه.

هذا ما لزم. مني السلام على العم عبدالله وأولاده ووالدتهم، ودمتم في حفظ الله ورعايته.

لابدك، يا أخ حمد، قد استلمت من الأخ ناصر المنقور كراسات الرسم، الذي سبق أن الحقيل أخذها مني، ولما استغنى عنها أعطاها ناصر في الطائف، لأنه سيؤدي امتحان [كذا].

اليوم وصلني كتابكم رقم ٢١ الحجة، وسرتني صحتكم، ربنا يديمها على الجميع. وأخبرني عن صحة الوالدة دائماً. أما من جهة الشاهي فلا تواكلون، على سعتكم. أما من جهة كتب السنة الثالثة التحضيرية فالتربية هي الجزء الذي في آخر تاريخ التربية لأن

المقرر في التربية: «الحديث في طرق التدريس»، وهذا مكمل له. أما التقويم فهو كما ذكرت عند مصطفى رضوان، واطلبه من حمزة عابد، وألحّ في طلبه، لأن حمزة وعدني بذلك قبل سفري، ولولا السفر كنت أخذته منه.

كذلك سلم لي على صالح، وأخبره بوصول كتابه، وأنا أشكره على إخباره إياي بذلك، وليس بإمكاني أن أكتب له كتاباً فمعذرة.

[تأخر الكتاب إلى ٢٧ الحجة].

***

قد تكون الملاحظة إذا دُونت تحمل فائدة محدودة، ولكنها مع مرور الزمن تصبح وثيقة مهمة، يعتمد عليها في تحديد التواريخ بدقة، والوثيقة في الصفحة التالية هي من هذا النوع. لقد كتبت في وقتها، وحددت مواعيد سفري من مكة إلى جدة، ثم إلى القاهرة. وهذا في حدّ ذاته مهم، لأنه يشير إلى الساعة بجانب تاريخ اليوم.

والإفادة الثانية عن ولادة أختي مضاوي، التي رمز الأخ حمد إلى اسمها بـ «يواضم»، أي قلب حروف الكلمة، لتقرأ من اليسار إلى اليمين، ولعله أراد أن أبذل جهداً في معرفة الاسم.

***

«سفر» ١٢/١٠/١٣٦٦هـ معدا

١٩/٩/١٩٤٥

سافر في يوم الأربعاء الموافق ١٣/١٠/١٣٦٤هـ الأخ عبد العزيز بن عبد الله الخويطر عضو البعثة العلمية السعودية بمصر فبر في طريقه إلى جدة ثم جلس في جدة يوم الخميس والغد الجمعة ومشى إلى مصر الساعة السادسة من يوم السبت الموافق ١٦/١٠/١٣٦٤

٢٢/٩/٤٥

فنتمنى لسعادته سفراً ميموناً وإياباً حميداً؟

«صالح»

في فجر يوم الجمعة الموافق ٢٠/١١/١٣٦٦هـ حصل عمل يوجب الحمد والشكر لله وهو يوضع»

صالح ١٣٦٦

الفقرتان الأولى والثانية مأخوذتان من المفكرة التي أشار إليها الأخ/ أبي حمد في مكان

آخر. أما ما حصل من عمل أوجب الشكر

فهو رحمة التي معناه، وقد كتبا بخط صالح وسامة يوضح»

هذا خطاب ممتلئ بالأمور التي لابد من الوقوف عندها، وربط ما فيها بعضها ببعض، وإضاءة بعض الجوانب وما يحيط بها من صور تحتاج إلى إيضاح يكمل الصور التي تحملها، ويبين الجوانب المتصلة بها مما لم يظهره النص.

يلاحظ أن الخطاب أساساً موجه مني لسيدتي الوالدة ـ رحمها الله وأسكنها فسيح جناته ـ ولإخواني وأخواتي، ولكن يكاد كل ما فيه يخص أخي حمد، إما توجيهاً أو إفادة أو تساؤلاً.

والخطاب يدل على أني مدين بالتقصير في الكتابة لأهلي، وقد أقررت بذلك، وأبعدت أي عذر يمكن أن يكون سبباً في إعاقتي عن الكتابة، ولم أطل، هنا، في هذه النقطة، ونقلت الأمر إلى البشرى بنجاحي في

امتحان القبول لكلية دار العلوم. ولعلي أملت بهذا أن أنقل فكرهم عن التعمق في العتاب إلى هذه النقلة «الحادة»، وفيها فرحة جُلّى سوف بلا شك تنسيهم أي شيء غيرها.

ولدت أختي مضاوي، ولابد أن الوالدة كانت حاملاً بها عندما سافرت، وأثلج صدري خبر ولادة أختي هذه، وجعلني هذا النبأ مع غيره أعد خطابهم هذا يرجح على أي خطاب وصلني، مع قلة عدد الخطابات التي وصلتني منهم منذ سافرت من مكة.

وفي هذا الخطاب تدوين لمجيء الأخ عبدالرحمن البراهيم الحقيل من مكة إلى مصر، وهو ما سبق أن أشرت إليه[1]. ويبدو أني كنت أشتري بعض الكتب

---

(١) انظر ما سبق ص ١٨٥.

وأرسلها لأخي حمد، وقد وعدت في هذا الخطاب أن استمر في هذا النهج.

خطاب أخي يحمل بشرى العثور على قفل قد فُقد، ولعلّي قد نسيته في عنيزة عندما سافرت إليها محرماً لعمتي موضي، وقد وجدوه، وسوف يرسلونه إلى حمد في مكة. وأهمية هذا القفل أنه قفل نادر، قليل الوجود في ذلك الزمن، والحظيظ حينئذ من يقتنيه، وهو قفل بالنِّمر، ترص أرقام معينة، ثلاثة، فيفتح القفل، ويغيّر ترتيبها بعد أن تقفل، وهذا هو سبب الاهتمام به، ومع هذا القدر أرخصته، وأبحث لأخي حمد أن يقتنيه، يا لها من هدية!!

وكلمة صندوق معروف دوره، فليس هناك «دواليب» أو «خزائن»، هناك صناديق توضع فيها

لوازم الإنسان من ثياب ومقتنيات ذهبية أو فضية، أو كتب.

ولعلمي قبل سفري من مكة أن هناك امتحان قبول في دار العلوم يسبق القبول، وأنهم يركزون على بعض المواد، ومنها علوم اللغة العربية، أخذت معي شيئاً منها. أما وقد نجحت في القبول فبإمكاني الاستغناء عنها، ولهذا عرضت على أخي إخباري إن كان يحتاجها فإني على استعداد لإرسالها وهذا لا يكفي في إكمال ما قد ينقص أخي من الكتب فقد أبحت له أخذ ما يريد من كتبي التي في الصندوق، المهم عندي منها أو غير المهم مثل الأطلس وهو من الكتب المهمة.

ويبدو أن الأخ عبدالحميد عبدالرحمن مالكي (كان

يسمى عبدالحميد مفتي أيام الدراسة) طلب بعض مقتنياتي الدراسية فسمحت للأخ حمد بإعطائه الدفاتر التي يحتاجها، وهي أهم من الكتب، مع الحرص على إعادتها سليمة وافية!! وهذا الاهتمام مني أفاد كثيراً، إذ أصبحت اليوم تاريخية في حياتي، وحرصي عليها كان لاستفادة أخي حمد عندما يصل إلى السنة الثالثة التي فيها عبدالحميد الآن. وقد استدركت أن فائدة أخي سوف تأتي إذا لم يتغير منهج التدريس، ومع هذا تركت لرشده التصرف، وقد نبهت إلى وضع كل شيء في موضعه، وأن لا يُصرف شيء في غير مجراه.

العم عبدالله المحمد العوهلي هو ابن عمتي حصة، كما سبق أن ذكرت، ولسكناه معنا هو وأبناؤه مدة طويلة قبل أن يستقل في بيت وحده، أصبحنا نشعر

وكأنه أخونا الكبير، مع دماثة خلق، وعلم واسع، وطبيعة بهجة، وعطف علينا، خاصة على الأخ حمد، وهو في سن قد يأتي منه بعض الطرائف التي يجد فيها العم عبدالله مجالاً لتعميق سرور حمد.

والعم عبدالله كان معتاداً، مثل كثير من أهل مكة، على الصعود إلى الطائف، وقضاء أشهر الصيف هناك، وعندما سافرت كان العم عبدالله في الطائف، وقد كنت سألت في خطاب سابق عنه، وعما إذا كان قد عاد أم لا، ولهذا حرص الأخ حمد على أن يخبرني في خطابه على أنه قد عاد.

ومجيء العم عبدالله من سفره ذكرني بسفر الوالد إلى الرياض، وكنت أسمع أنه سوف يسافر إلى الرياض، فوددت أن أعرف إذا كان فعلاً قد سافر أم لا.

ثم يأتي في الخطاب موقف طريف، وهو أني أرسلت خطاباً لأخي حمد سابقاً لهذا، وقلت فيه سلم لي على فلان وفلان، أصدقائنا وزملائنا في الدراسة، وأطْلَع الأخ حمد الوالد ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ على الخطاب متأكداً أن هذا سوف يفرحه، ولا أشك أنه قد أفرحه، إلا أنه رحمه الله لاحظ أمراً لم يخطر لحمد ولا لي على بال، وهو كثرة إرسال التحيات لهؤلاء الإخوان، ولعل الوالد كان يطمح أن يكون كل ما في كتابي حقائق مفيدة، أما أن أملأه بما يوحي بطوله وهو في الحقيقة فارغ فهذا ما لا يراه مناسباً. وقد كتب لي رحمه الله عن هذا، ولكن كتابه ضاع من جملة ما ضاع عند انتقال حوائجي من مصر إلى مكة.

والغريب أني حَمَّلت أخي ـ ظلماً وعدواناً ـ تبعة

هذا التكرار في السلام والتحية، وأن ما فعلته هو بناء طابق على طابق بناه أخي حمد، وقد يكون هذا صحيحاً من واقع ما حدث، ولكني كنت سوف أبعث سلامي لهؤلاء الإخوان سواء رداً على ما جاء في خطاب أخي حمد أو ابتداءً مني، ولم يكن من حقي أن أُحَمِّله الإثم كاملاً، ولعلي شعرت أنه حمل ثقيل فرأيت أن يحمل أكثره لأنه أطول مني جسماً!، ويبدو أني أنسقت من التبرؤ من الخطأ فجئت بآية كريمة تعضيداً لدعواي.

والوالد، بجانب ما ذكرت مما يكمن في ذهنه عن كثرة إبلاغ السلام لعدد من الإخوان، جاء في ذهنه كذلك أن هذا يدل على أنني لم أنهمك في الدراسة بعد فتشغلني عن هذه الهوامش، وظنه رحمه الله هذا في محله، فقد كنت «فارغاً» فعلاً لأنه قد انتهى امتحان

القبول، وأنا في انتظار النتيجة، وليس عندي من الكتب الجذابة ما يشغلني، لأني لم أتعرف على المكتبات بعد، ولا أريد أن أثقل على زملاء قد شغلتهم دراستهم مما يخجلني أن أتطفل عليهم. والإنسان عندما تكون أعصابه مشدودة، ثم تنفرج الأزمة التي سببت هذه الكربة يشعر براحة تجعله يصب فرحه في أقرب سبيل يرتاح إليه، والكتابة للأهل من أسهل السبل.

بعد أن ختمت الخطاب تذكرت أمراً يبدو أنه مهم حينئذ وهو عن «كراس» رسم كان الأخ عبدالرحمن البراهيم الحقيل قد استعاره ليستفيد منه للامتحان المقبل، وقد تم له ذلك، ولقرب سفره إلى مصر سلَّمه للأخ ناصر المنقور، وأنا الآن أسأل إن كان الأخ ناصر قد سلّمه لحمد، لأن حمد سوف يحتاجه مستقبلاً، وكان

مدرس الرسم هو الأستاذ الفاضل عبدالرؤوف الأفغاني ـ عليه رحمة الله ـ وهو مدرس اللغة الإنجليزية كذلك.

وبعد أن كتبت الخطاب وصلني من أخي حمد خطاب تاريخه ٢١ ذي الحجة (يلاحظ أنه قيل: «ورقمه» وعُني بذلك تاريخه). وأهمية هذا الكتاب أنه يطمئني على صحة الوالدة بعد الولادة.

والشاهي هو شغلنا الشاغل في مصر لرداءة الشاهي[1] فيها، وهذا أحد الخطابات التي تشير إلى طلب شاي كُتب عنه للأهل سابقاً وأبدوا اهتماماً، ولكنهم لم يجدوا مسافراً لحمله، ولهذا خففت الأمر عليهم، ورجوت أن لا يهتموا بذلك أكثر من اللازم.

وهنا ما يدل على أن الأخ حمد انتقل إلى السنة الثالثة من المعهد العلمي السعودي، ويحتاج بعض الكتب

---

(١) انظر ما سبق ص ٢٤٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٩.

للدراسة في هذا العام، وقد وجهته إلى ما رأيته مهماً، وذلك ما يتصل بكتب التربية، وبالذات ما يخص «الحديث في طرق التدريس»، وفيه الجزء المحدد لهذا العام.

ولا أتذكر الآن أهمية التقويم الذي يبدو أنه عند مصطفى رضوان، والوسيلة لاسترجاعه هو حث الأخ حمزة عابد على أخذه وتسليمه للأخ حمد، وقد وعدني بذلك الأخ حمزة قبل سفري إلى القاهرة.

وقد طلبت من أخي حمد إبلاغ سلامي للأخ صالح الإبراهيم الضراب، الذي سبق أن أرسل لي خطاباً، وقد استلمت الخطاب، ولكني أعتذر عن المبادرة بالرد، ولاشك أن هذا كسل مني، وأستغرب ذلك، مع أني الآن خلاف تلك الأيام أحرص على سرعة الإجابة، فإذا لم أفعل لسبب أو آخر أشعر بحمل فوق كتفيّ.

وقد تأخر إرسال هذا الخطاب، المُزاد على الأصل، إلى يوم ٢٧ الحجة.

***

يرد اسم الأخ حمزة عابد رحمه الله كثيراً في مراسلاتي، وحمزة صديق قريب إلى القلب، لصدقه في الصداقة وتحمله للمداعبات، والتحمل قليل بين طلاب البعثة، وقد تزاملت مع الأخ حمزة في المعهد منذ جاء من المدينة والتحق بالمعهد، وكان كل طالبين على «ماصة واحدة»، أي مقعد واحد، وبقينا كذلك إلى أن تخرجنا من المعهد. وقد تأخر عني في الابتعاث سنة واحدة، ثم لحق بي في دار العلوم، ولأني رسبت سنة فقد أصبحنا في سنة واحدة، وفي فصل واحد، وعلى مقعدين متجاورين طوال دراستنا الجامعية.

ثم عدت إلى الرياض بعد ما يقرب من عشر سنوات ولم يكن لي في الرياض بيت فسكنت عند الأخ محمد أبا الخيل، وكان بيت حمزة لصيقاً لبيت الأخ محمد، وكنا كلنا عزاباً، وكنت أداعب الأخ حمزة، وأقول: لقد عشنا متجاورين في الحياة، وأظننا سوف نموت متجاورين، وهذا ربما يكون عندما نركب سيارة مرة من المرات، يحدث لها حادث، ونموت معاً. فيسكتني، ويدعوني إلي التفاؤل بدلاً من التشاؤم، ويقول سوف أتجنب الركوب معك في سيارة رحمه الله، فقد كان إضاءة في تاريخ صداقتنا، وقد أطال الله عمره حتى رأى أولاده وقرت عينه بهم ـ رحمك الله ـ يا أبا محمد، فليس في ذهني لك إلا ذكرى مبهجة، وقلبي يسعد بذكراك بعد أن فقدت الآن رؤياك.

د. [illegible] ١٨
٢٧٢ [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم من القاهرة الى مكة المكرمة في ١٩/١٢/١٣٦٦هـ

من الولد عبد [illegible] الى حضرة المكرم [illegible] سيدي الوالد والأم والأخوان والأخوات حرسهم الله ورعاهم آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فإني بأتم الصحة والسرور، وكتابكم الأخير [illegible] لم يبقى [illegible] سوى رؤياكم [illegible]
وربما يقدر [illegible] على أحسن حال. أهنئكم جميعاً بعيد الأضحى السعيد أعاده الله علينا وعليكم بالصحة واليمن
على ما بعد عام والجميع بخير وطمأنينة. جميع كتبكم التي قبل الحج وصلتني وسرتني صحتكم وأتمنى من الله أن يجعلها
صحة دائمة ظلاً لا يزول. و[illegible] في الكتابة والحقيقة أني مقصر والدليل أيام العيد كنت فارغ
ولا عندي أي شاغل [illegible] وبعدئذ أنتظر خروج النتيجة. وقد خرجت النتيجة والحمد لله [illegible]
وقد التحقت بكلية دار العلوم رسمياً وأرجو الله أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضى ويجعله بداية خير ويجعل
النجاح حليفنا وحليفكم آمين. [illegible] الحج [illegible] وأرجو من الله [illegible]
واقول الحمد لله هذا الكتاب [illegible] كتاب عندي [illegible] كثيراً [illegible] هذا الكتاب [illegible]
[illegible] وأرجو وآمل أن تكون صحة دائمة وعافية مستمرة [illegible] الجميع في الحالة [illegible]
والذي مع [illegible] جميعاً وصلت وسرتني أخباركم التي [illegible]. أما الكتب فما وصلني رسالة [illegible]
بشرتني بالوصول [illegible] الله [illegible] بشأن [illegible] و[illegible] من أجلها [illegible]
تحتاج كتب القواعد الذي أخذت من [illegible] وغيرها من الكتب [illegible] وعند [illegible] الذي [illegible]
من الذي تحتاج منهم أو غيرهم [illegible] أما المعنى فطبعاً ما يحتاج [illegible]
ما [illegible] مع ملاحظة عدم التفريط [illegible] المستقبل [illegible] فائدة عظمى [illegible] رشيد [illegible]
[illegible] وإذا ترددت في أمر [illegible] من الكتب فاسألني عنه [illegible] أرجو [illegible] أخبرتني عن [illegible]
[illegible] وأرجو أن تخبرني عن [illegible] الوالد [illegible] الكتب [illegible] أما الكتاب الذي أرسلته
[illegible] الوالد [illegible] وأنا كتبت [illegible] فهو يذكر أن [illegible] و هذه
خطيئتك أنت لأنه كاتب [illegible] عليه [illegible] السلام [illegible] وأطلب [illegible] تعالى وإذا
حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها. والوالد [illegible] لم [illegible] الأمر فراغي وقد كان ذلك صحيحاً إذ كنت فارغاً
حتى [illegible] ولا أعرف عن الكتاب شيئاً ولا أحب [illegible] هذا الكتاب
[illegible] المدرسة [illegible] عن [illegible] والدي [illegible]
حفظ الله ورعاية [illegible] فراشي [illegible] الذي [illegible]
مني [illegible] [illegible]
اليوم وصلني كتابكم رقم ١٤ الحج وسرتني صحتكم [illegible] الوالدة [illegible]
[illegible] كتب [illegible] أما [illegible]
[illegible] الحديث [illegible] العربي [illegible]

الخطاب السابع (٧):

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المكرم العزيز العم عبدالله المحمد العوهلي المحترم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. دمت بخير وسرور. ونحن لله الحمد بخير وعافية، لم ينقص علينا سوى رؤياكم السارة، ربنا يقدر الاجتماع على أحسن حال.

أهنيك بعيد الأضحى السعيد، أعاده الله علينا وعليكم عاماً بعد عام بالهناء والمسرات والخير والبركات.. آمين.

هذا ما لزم، ومنا السلام على العيال ووالدتهم،

ودم في حفظ الله ورعايته.

الولد

في ٢٠/ ١٢/ ١٣٦٤هـ عبدالعزيز العبدالله الخويطر

أخبرني الأخ حمد بحجكم، فأرجو أن يكون حجاً مبروراً، وأن يتقبل منا ومنكم، وينجح مآربنا ومآربكم.. آمين.

***

سبق أن تحدثت عن العم عبدالله المحمد العوهلي في عدة أماكن من أجزاء «وسم على أديم الزمن»، والعم عبدالله ابن عمتي حصة ـ رحمها الله ـ وأقرب أخوات والدي إلى قلبه، وقد انتقل حبه لها إلى ابنها عبدالله، وهو رجل يستحق أن يُحَبَّ، ومن عرفه لابد أن يحبه، فدينه قوي، وعلمه واسع، وخلقه حميد،

واتكاله على الله قوي، جاهد لكسب عيشه بروح العالم، ودرَّس الفرائض في كلية الشريعة في مكة، وهو فرائضي مرموق.

ولأنه بعد انتقاله من عنيزة إلي مكة كان سكنه معنا، هو وأبناؤه، فقد زاد قربنا منه، واتخذناه أخاً كبيراً لنا، وسدّ الفراغ الذي أحدثه بُعد الوالد في الرياض. هذه اللحمة القوية هي التي جعلتني أسأل عنه وهو في الطائف، والآن وقد علمت أنه نزل، وأنه حج، بادرت بالكتابة له، وهنأته بعيد الأضحى، ودعوت لحجه بالقبول.

طابع الكتابة المسيطر حينئذ، والمتكرر في الخطابات (إكلشيهات) واضحة في هذا الكتاب، وفي الخطابات السابقة: كلمة «حضرة المكرم العزيز»، ثم «دمت

بخير وسرور»، و «ونحن لله الحمد بخير وعافية»، ولم ينقص علينا سوى رؤياكم السارة»، «ربنا يقدر الاجتماع على أحسن حال».

ومن طابع الختام: «هذا ما لزم»، و «منا السلام على»، و «دم في حفظ الله»، وأحياناً: «ودمتم في رعاية الله».

يلاحظ وأنا أدعوا الله أن يجعل حجهم مبروراً أني قلت «وأن يتقبل منا ومنكم»، والأصح أن أقتصر على: «أن يتقبل منكم» لأنهم قد حجوا، ونحن لم نحج، ومثلها «ينجح مآربنا ومآربكم»، وهنا ملاحظة أخرى، وهي أن العادة أن يقال: «أن ينجح مقاصدنا»، ولكني رأيت أن أُري أني في موقف الآن، وأنا طالب جامعي، أن أُحَسِّن في الجملة.

٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المكرم العزيز العم عبد الله الحمد الصالح المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته دمت بخير وسرور ونحن لله الحمد بخير وعافية لم ينقصنا عليها سوى رؤياكم السارة ربما يقدر لنا الاجتماع على أحسن حال اهنيك بعيد الأضحى السعيد أعاده الله علينا وعليكم عاماً بعد عام بالهناء والمسرات والخير والبركات آمين

هذا ما لزم ومنا السلام على العيال ووالدتهم ودمتم في حفظ الله ورعايته

الولد

المخلص

عبد العزيز العبد الله [illegible]

١٢/٢٦

احمد الله على حضور أخيكم وأرجو الله يكون [illegible] مسروراً والله [illegible]

[illegible] آمين.

الصـــور

الصـــور:

الصور فيها من التعبير ما يفوق الكلمات والجُمل، وكل ناظر يرى ما يراه آخر مما هو واضح، ولا تتعداه العين دون ما تستوحي منه الحقيقة كاملة، وهناك ما لا يراه إلا النبيه، أو المتدبر، أو المدقق، أو المقارن، وهناك ما لا يراه إلا من صوَّر أو صوِّر.

وسوف أعطي هنا صوراً لبعض ما مرّ في هذه الذكريات، لتضفي عليها بياناً أكثر مما قلته، ولتوثق لمن يود أن يرى الوثائق. وأعيد هنا ما سبق أن ألمحت إليه من إقبالنا، نحن طلاب البعثة، على التصوير، سواء منها ما يؤخذ لنا عند المصورين المتهنين، أو ما نلتقطه نحن بيننا بآلاتنا، وكان فيه انتقام من الفترة السابقة في مكة، فأنا لا أذكر إلا صورة واحدة صورني

إياها مصور وحيد، على ما أذكر، في حي أجياد في مكة المكرمة، وكانت بيضة الديك، ولكنها معبرة في مظهرها حينئذ عما كنت عليه سناً ونظرة ولباساً، ويهتز شعوري طرباً الآن عندما أراها، لأن قطيعاً ظامئاً من الذكريات يتزاحم على هذا المورد العذب، وسوف أكتب نبذة عن كل صورة لعل ما سوف أكتبه يستحق قراءة القارئ.

الصورة الأولى (١):

وسبب أخذ هذه الصورة عند «البشناق» المصور الوحيد في مكة، هو أني كنت في حاجة إلى صورة لجواز السفر عندما اقترب موعد البعثة، والسفر إلى مصر، فرأيت أن آخذ صورة كاملة، يُخرج منها صورة لجواز السفر، فكانت هذه الصورة الفريدة في عام ١٣٦٤هـ. حرّ مكة ـ شرّفها الله ـ جعل الوجه ضامراً.



صورة في المطبخ (٢):

ذكرت عن رحلاتنا إلى الإسكندرية، خاصة في الصيف، وهذه صورة أخذت في رحلة في ٣ شوال عام ١٣٧١هـ، وتُبيِّن اجتماعنا في مطبخ شقة الأخ مصطفى مير رحمه الله مجتمعين على تهيئة وجبة «مطبَّق»، والصورة فيها الهزّة، لأن آلات التصوير تقتضي السكون التام. والقائم بالعمل الرئيس هو الدكتور مصطفى، أما أنا وأخي الدكتور حمد والأخ الأستاذ ناصر المنقور «فمتفرجون» يهيئون شهيتهم لطبخة الله أعلم كيف ستكون! وأنا المصور، والخادم واقف بانتظار تلقي الأوامر، وما أكثرها.

في مصر جرت العادة أن يلبس الشخص «البيجاما» في البيت، وبعض الناس من أولاد البلد قد يخرجون

بها إلى الشارع إذا لم يكن ممن يلبس «الجلاّبية» الثوب، وأغلب طلاب البعثة يلبسون الثوب في البيت. وهنا قد تسجَّل أن الثلاثة في الصورة يلبسون «البيجامة»، أما الخادم فهو يلبس ثياب ابن البلد الأصل مع «العِمَّة»، وهذا يدل على أنه جاء من الريف حديثاً.



في الكازينو (٣)، (٤):

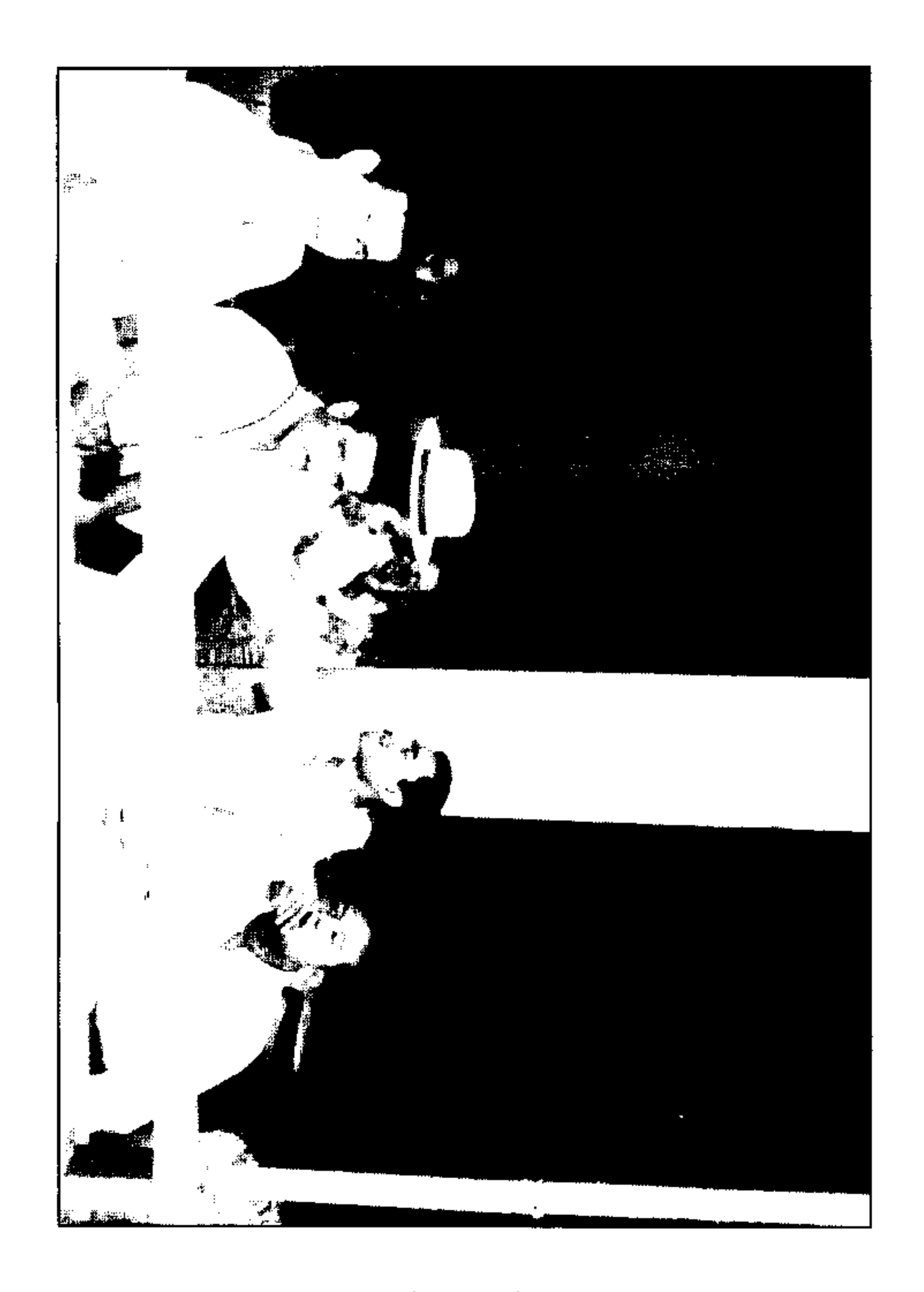
في «الكازينو» في اسكندرية على «البلاج» جلست مجموعتنا لشرب الشاي، والبشر يطفح من الوجوه، والعبث بينهم على قدم وساق. مصطفى «منسجم» مع سيكارة، منظره يوحي بهدوء النفس، والله أعلم أين كان يسبح خياله في هذه اللحظة.

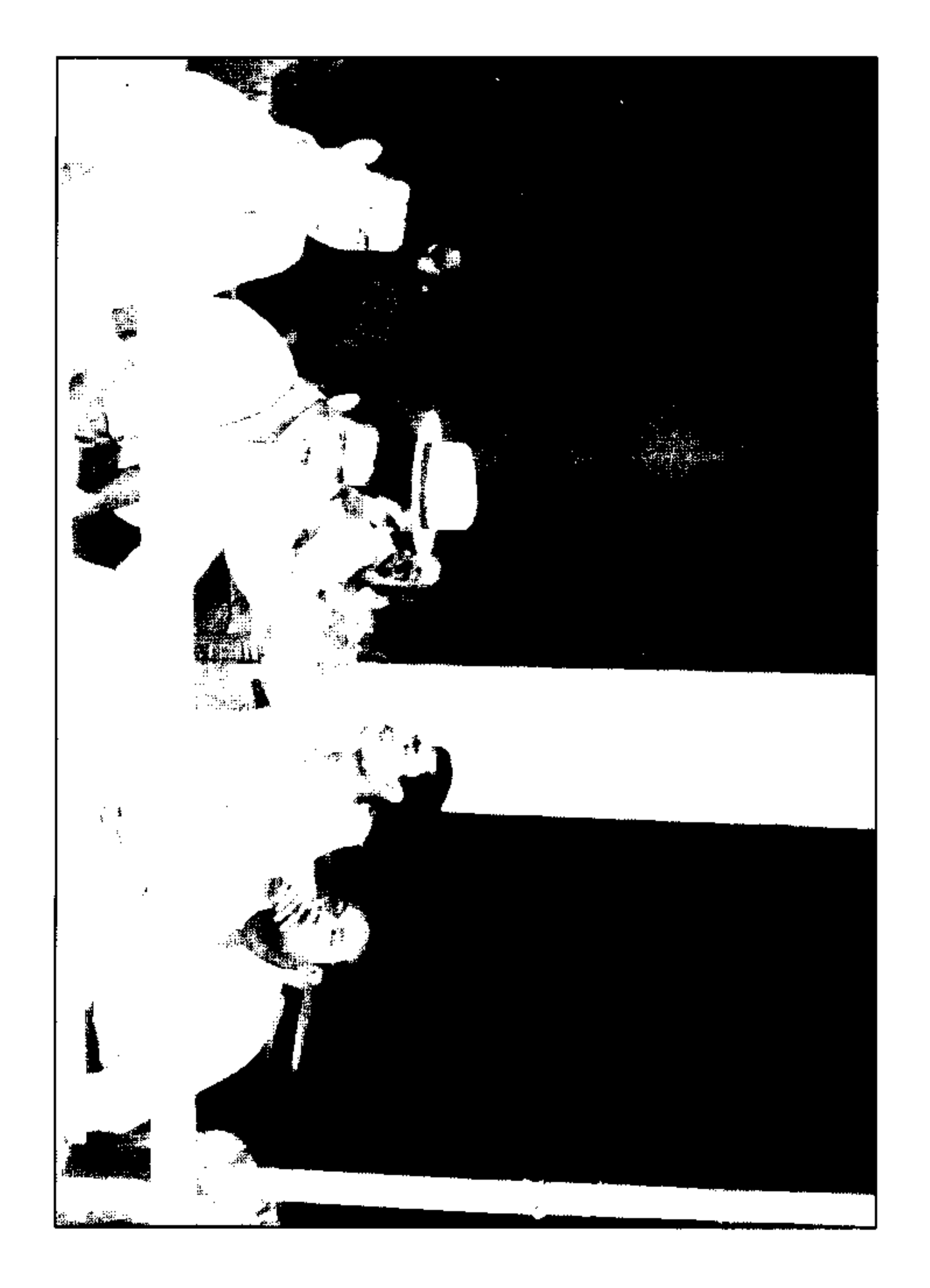
والجدال الذي تعبر عنه الأيدي، وينطبع على الوجوه قائم بين هاشم شقدار وناصر المنقور، وقد يكون هذا العراك المفتعل بينهما يخص البرنيطة، إذ ليس هناك إلا واحدة، وصاحب الحظ الأوفى هو من يحتازها عندما نخرج من «الكازينو» ونمشي في الشمس على الشاطئ.

أنا والأخ حمد ننظر إلى آلة التصوير، لأني قد وزنت الآلة، ووضعتها على الحامل، وأعددتها لأخذ الصورة

آلياً، وتتبين «شنطة» الآلة معلقة على كتفي، ونظرتي نظرة من تعهد بعمل، ويؤمل أن ينتهي بإتقان، أما حمد فنظرته ليس هناك في ذهني عبارة يمكن أن تصفها، ولكل قارئ الحرية في النظر إلى هذه النظرة.

والصورة الثانية في الموقع نفسه، إلا أن مكان آلة التصوير اختلف، فأبانت بعض الإخوان، وحجبت آخرين، أبانت ناصر بعد أن كان شبه مختف في الأولى وأخفت هاشم إلا قليلاً من وجهه، ومثله مصطفى، وناصر احتفظ بالبرنيطة، ولكنه انتهز فرصة إنشغالي بالآلة، وعملها الآلي، فرفع فوق رأسي كأساً، وهكذا سجَّل أنه استطاع أن يتغافلني بعمل لو تنبهت له لقاومت وضعه، ولم يكن انشغالي بالآلة وحدها، وإنما كذلك بجر مصطفى من شعره في اللحظة التي تطبق فيها فتحة الآلة، وجاءت اللقطة لتبين مصطفى مستسلماً.





في الشقة في الإسكندرية (٥):

في الشقة التي يسكنها الدكتور مصطفى في الإبراهيمية في الإسكندرية وفي «البلكونة»، الشرفة، تجمَّعنا ناصر المنقور وحمد الخويطر ومصطفى مير وابن خالته هاشم شقدار وعبدالعزيز الخويطر في لقطة عددناها موفقة «لهاوين» للتصوير غير مهنيين.

الجالسون من اليمين: هاشم، ناصر، حمد.

والواقفان: مصطفى وعبدالعزيز.

وروح عيد الفطر في عام ١٣٧٠هـ «تطفر» من هذه الوجوه المطمئنة.



مزاح الكبار (٦) :

لا نزال في الإسكندرية على «البلاج»، مع اثنين من موظفي البعثة، يتمازحان، أحدهما اختطف عنقود موز، فلحقه الآخر ليستعيد ما أخذه منه، وهما غير متكافئين لا في الجسمين، ولا في أيهما أحق بالغنيمة. والذي في الصورة (أ) في الأمام، والذي خلفه (ب) يريد أخذ الموز إما استرداداً لحق، أو اغتصاباً.

والتاريخ يوم ١٣/ ٣/ ١٩٥٣م.



من نشاطي ومن نومي (٧)، (٨) :

هاتان صورتان، إحداهما تبين جانباً من الحركة، والأخرى تبين منتهى السكون. الأولى تبين جانباً مما كان مظهراً من مظاهر نشاطنا الرياضي في تلك الأيام. مع التغذية والشباب بدأنا نشعر بالحاجة إلى الرياضة، ليصغر البطن، ويخف الشحم، و «السُّسَتْ» من الأنواع التي انتشرت بين الطلاب، يبدأ الواحد بتركيب «سُستتين» سلسلتين، فإذا اشتد العضل أضيف إليهما ثالثة، ثم رابعة، ثم يبدأ المتمرن يطيل في مدة المدّ. وما كان لنا عدو في هذه التمارين وغيرها إلا الملل.

في هذه الصورة يتبين المدى المتاح للمرء الحركة فيه، فخلفي الدواليب الثلاثة مرصوصة: واحد لي والثاني لهاشم شقدار والثالث لصالح الجهيمان.

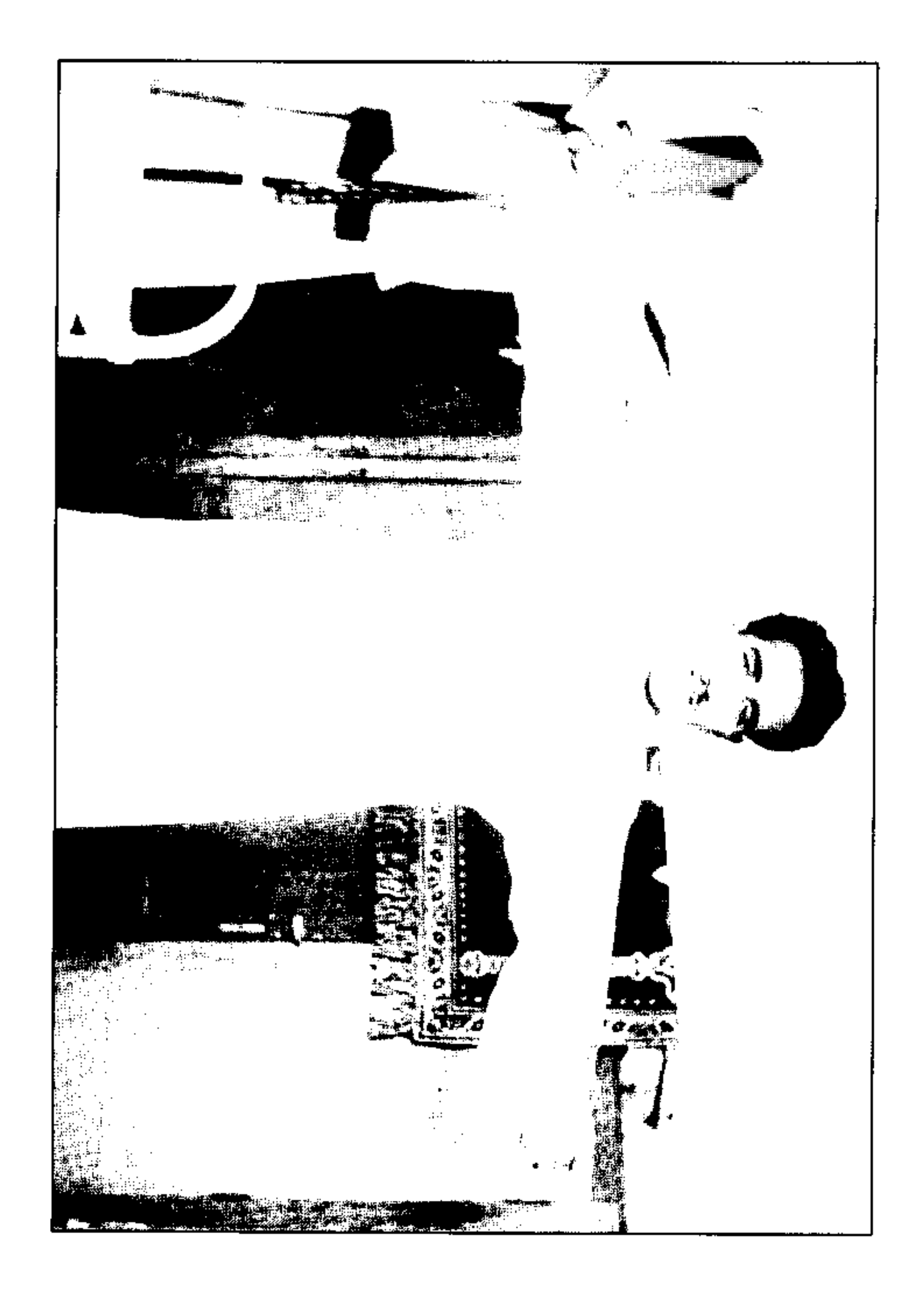
وسجادة الصلاة خلفي على أحد الدواليب، وعلى يميني «الشماعة» وهي علاقة مثبتة على الحائط، عليها «الروب» و «الفوطة»، وقد ظهر في الصورة طرف السرير.

الإدارة تؤمِّن لنا السرير وما يلزمه من فرش، وتؤمِّن «شماعة» لتعليق الملابس عليها. والطالب عليه تأمين الدواليب والمكاتب كما سبق أن ذكرت.

والروب مهم، لأنه يدفئ في الشتاء، ونلبسه عندما نخرج من الشقة المحذوفة إلى المطعم في المبنى الرئيس، حتى في بيت المنيل وبيت عبدالمنعم في الدقي كنا نلبسه عندما ننزل للوجبات في المطعم، والأفلام السينمائية هى المشجع على لبس الأرواب!!.

والصورة الثانية مثل مجسم للسكون والهدوء، فقد

أخذها الأخ هاشم وأنا نائم، وكانت مفاجأة لي سارة لما حمض «الفيلم» ورأيتها، وفيها تظهر لوازم الفراش، وأهمها البطانية. ترى هل كنت في هذه أحلم؟ وبماذا أحلم؟ وواضح أني لابس ثوباً وليس «بيجامة»، ومحبة الثوب في البيت لازمتني حتى في لندن.





رحلة إلى القناطر (٩)، (١٠):

القناطر من الأماكن التي يرتادها المتنزهون، وقد وجد فيها طلاب البعثة متنفساً يرتادونه بين آن وآخر، إما جماعات صغيرة، أو رحلة تضم جميع طلاب البعثة. والقناطر جذابة لما فيها من رياض خضراء، وأشجار منظمة، وأماكن للترويح، وأشهر رحلة قمنا بها إلى هناك كانت رحلة جامعة، وجاءت بدعوة من صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل بن عبدالعزيز. كان الطلاب قد أقاموا حفلاً كبيراً بمناسبة زيارة سموه لدار البعثة، وهو حفل بهيج ألقيت فيه كلمات وقصائد بعض هذه القصائد فصيحة جادة، وبعضها فصيحة هزلية، أو عامية هزلية، وكان من أبطال هذه القصائد أصحاب الأسماء الآتية:

* أصحاب القصائد الفصحى الجادة:

الأخ محمد سعيد بابصيل

الأخ محمد عبدالصمد فدا

الأخ محمود مرداد

الأخ علي زين العابدين

الأخ علي حسن غسال

* أصحاب القصائد الهزلية:

الأخ أسعد جمجوم

الأخ محمد بادكوك

* ومن أصحاب الزجل:

الأخ حسن نصيف

ودعوة سموه لطلاب البعثة، المقامة في القناطر، هي رد على احتفائهم بسموه في بيت البعثة في أول الأسبوع. وقد كان يوم القناطر هذا لا ينسى، لأن طلاب البعثة انطلقوا يرتعون في تلك الحدائق، وبعضهم تحلَّق مع آخرين في لعبة من الألعاب، أناس يلعبون الورق، وآخرون يلعبون «الكيرم»، ومجموعة تلعب لعبة «الإنْ»، وقد شبعوا من المرح قبل أن يأتي سموه، لأن الطلاب جاؤا مبكرين، فلما وصل سموه شاركهم بعض ألعابهم، وأذكر أنه شارك أصحاب لعبة الكيرم، ويبدو أن سموه أخطأ في إحدى الضربات، وأدخل من «حبات» خصمه عدداً، وكان هناك أحد الطلبة واقفاً يشجع، ويقول عندما يصيب سموه «حلو»، «حلو»، وفي المرة التي أخطأ فيها الهدف قال هذا الطالب «حلو»، «حلو»، فالتفت إليه سمو وقال: أين الحلاوة

في هذه؟ فرد الطالب: الحلاوة أن «الحمراء» المضرب لم يدخل مع الحبات، فضحك سموه والحاضرون على هذا التخلص.

أمامي الآن صورتان لمجموعات من الطلاب، وهما صورتان جامعتان، ورغم أنهما من تصويري إلا إنهما جاءتا واضحتين وافيتين بالغرض، وسأحاول أن لا أنسى أحداً ممن هم فيها.

* من اليمين إلى اليسار مع حفظ الألقاب:

الأول من الصف الأسفل عبدالرحمن التونسي

الثاني عبدالعزيز طحلاوي

ثم صالح أمْبَه

ثم يوسف رضوان

ثم عبدالله بن عبدالعزيز النعيم

ثم محمد العلي أبا الخيل

وفي الصف الثاني:

محمد القضيب

حمد الخويطر

مصطفى مير

ثم هاشم شقدار

ثم عبدالله الحمد القرعاوي

ثم عبدالله العقيل الحمدان

وخلف محمد القضيب يجلس:

محمد العبدالرحمن الفريح

وفي الصف الذي يليه:

بكري شطا أو رمزي إدريس

ثم حمد الصقير

ثم عبدالله حبابي

وخلف عبدالله حبابي يقف:

صالح جمال حريري

وخلف هاشم شقدار يقف:

عبدالغفار فدا

وخلف عبدالله القرعاوي يقف:

عبدالرحمن الذكير وسليمان حلواني

ثم عبدالله فتحي

ثم عبدالعزيز القريشي

ثم عبدالرحمن القاضي

وأقف أنا على يمين عبدالرحن القاضي بعد أن ضغطت «أتوماتيك» آلة التصوير وأسرعت لآخذ مكاني.

والأول من اليمين في الصف الأخير:

حسن خزندار

والثاني من اليمين في الصف الخلفي:

حامد حجا

وعلى يمينه: عبدالكريم بخش

وعلى يمين صالح جمال: عبدالمنان ترجمان

وعلى يمينه: طاهر فاسي

وبين عبدالغفار فدا وعبدالرحمن الذكير يقف:

سليمان حلواني وصدقة منصوري

وبين صالح جمال وعبدالكريم بخش يقف:

نور فاضل.

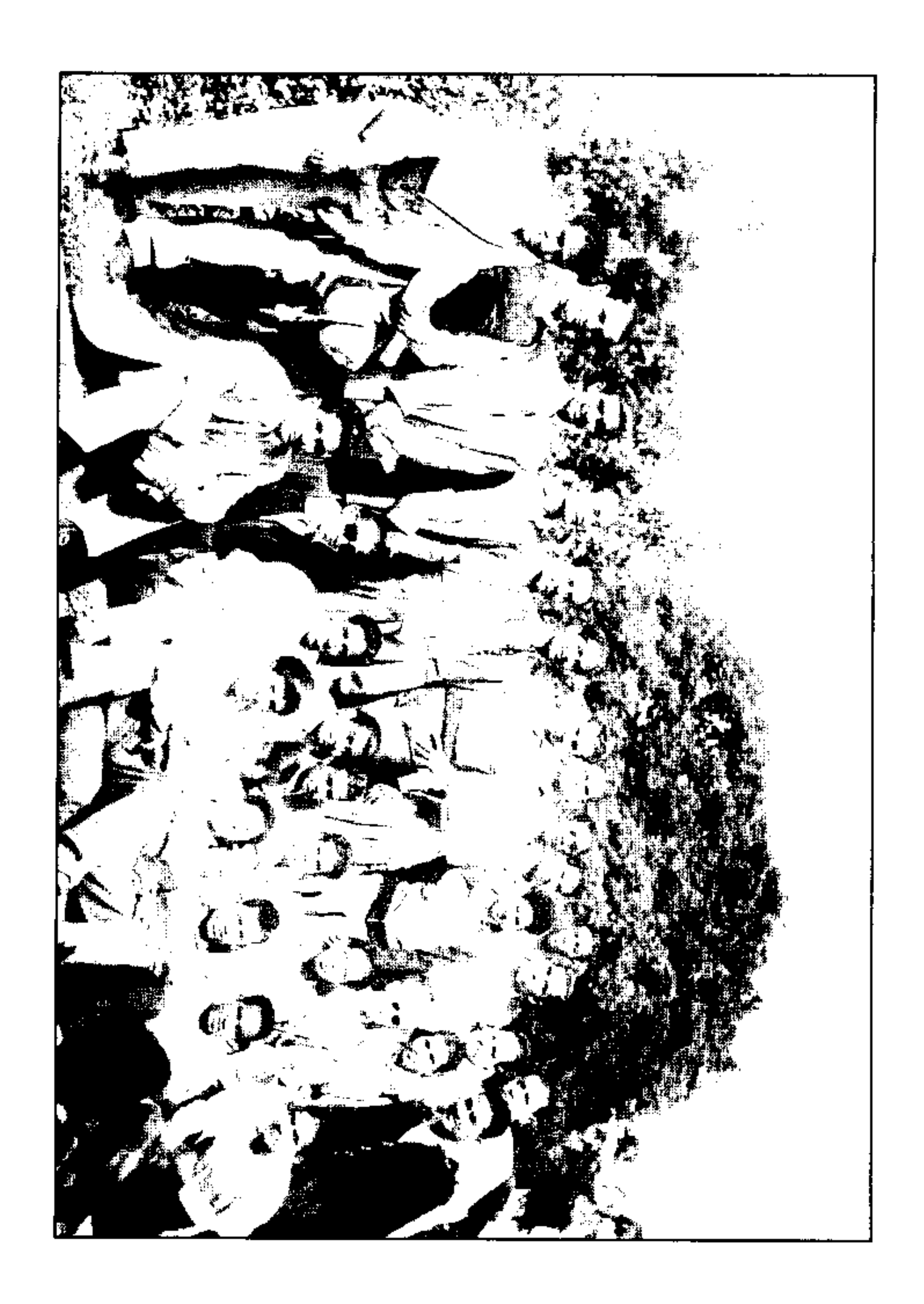
***

يلاحظ أن لباس الطلاب مختلف بعضهم جاء بلباسه كاملاً، وبعضهم قد خفف، وقد يكون بعض من يظهر بدون «جاكتة» جاء هكذا وهو مطمئن إلى أن الجو لن يكون بارداً، وبعضهم اضطر للتخلص من «الجاكتة» بعد أن أجبرته الشمس على هذا.

على أي حال «البدل» بدل صيف، لا بدل شتاء، ويلاحظ كذلك كثافة الشجر خلف المجموعة.

هذه الصورة أخذت في ٢٣/ ١٠/ ١٩٥١م

الموافق ٢٢ محرم ١٣٧١هـ



والصورة الثانية أخذت في اليوم نفسه الذي أخذت فيه الصورة الأولى، وقد اختلفت «الخلفية»، كما نقص عدد المشاركين، وهي صورة عفوية لم يرتب الطلاب فيها كما رُتّبوا في الصورة الأولى السابقة.

الواقف إلى اليمين هو ياسين علاّف

أول الجالسين من اليمين: عبدالرحمن هرساني

وعلى يساره على ما أظن، حسن المرزوقي

ثم عبدالرحمن القاضي

ثم عبدالله القرعاوي

ثم أبو طالب الدباغ

ثم عبدالرحيم حبيب الله

وخلفه عبدالعزيز طحلاوي

ثم خلفه عبدالله العماري

ثم محمود منصوري

ثم حسين شويل

وخلفه سراج ملائكة

وبجانب حسين صالح أمْبَه وأنا على يمينه

وخلفه عبدالغفار فدا

وخلفي عبدالله بوقس وحامد حجا

ثم القضيب وعبدالله النعيم

وخلف حامد محمود زهر الليالي

ثم عبدالله عمر فتحي

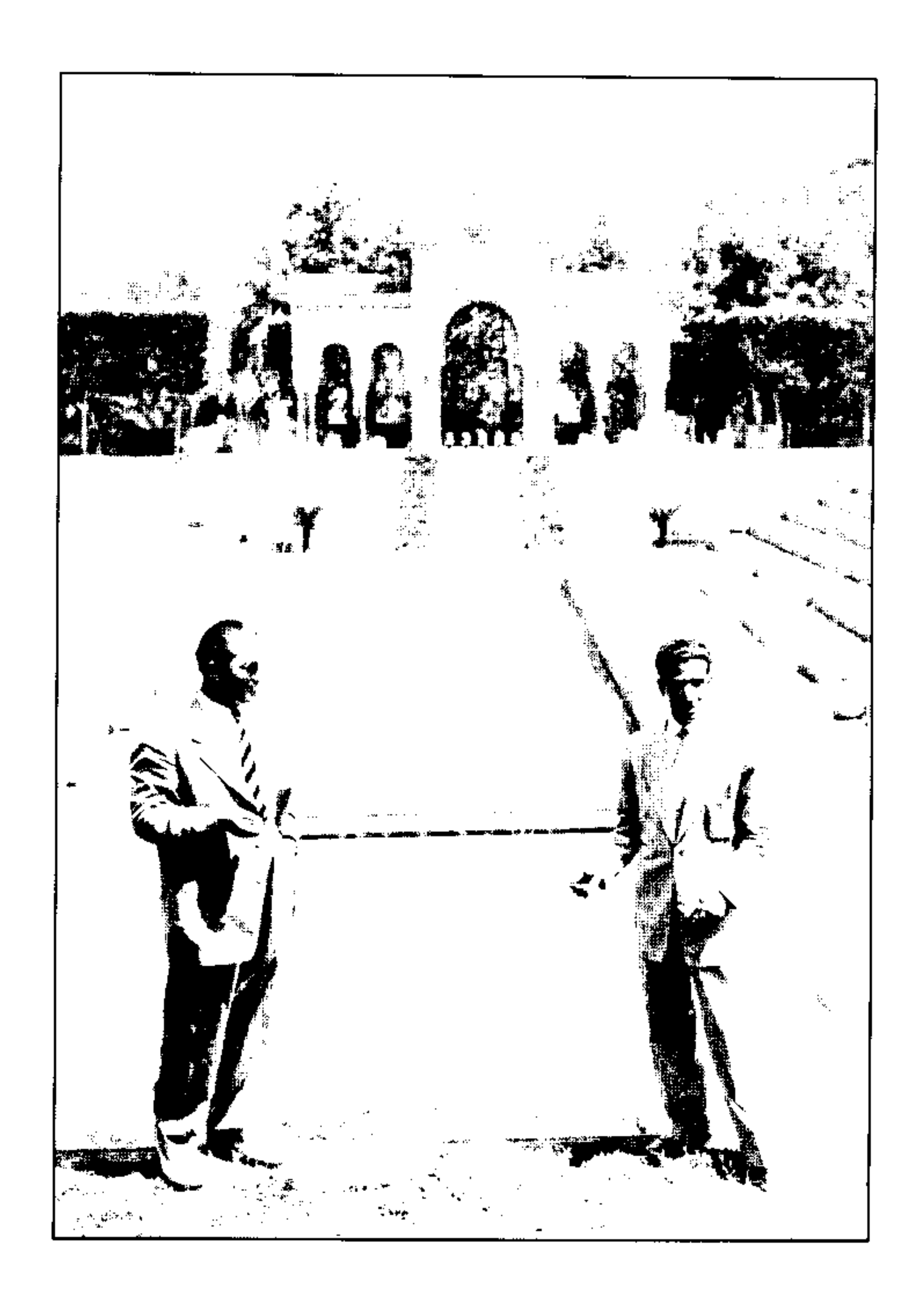


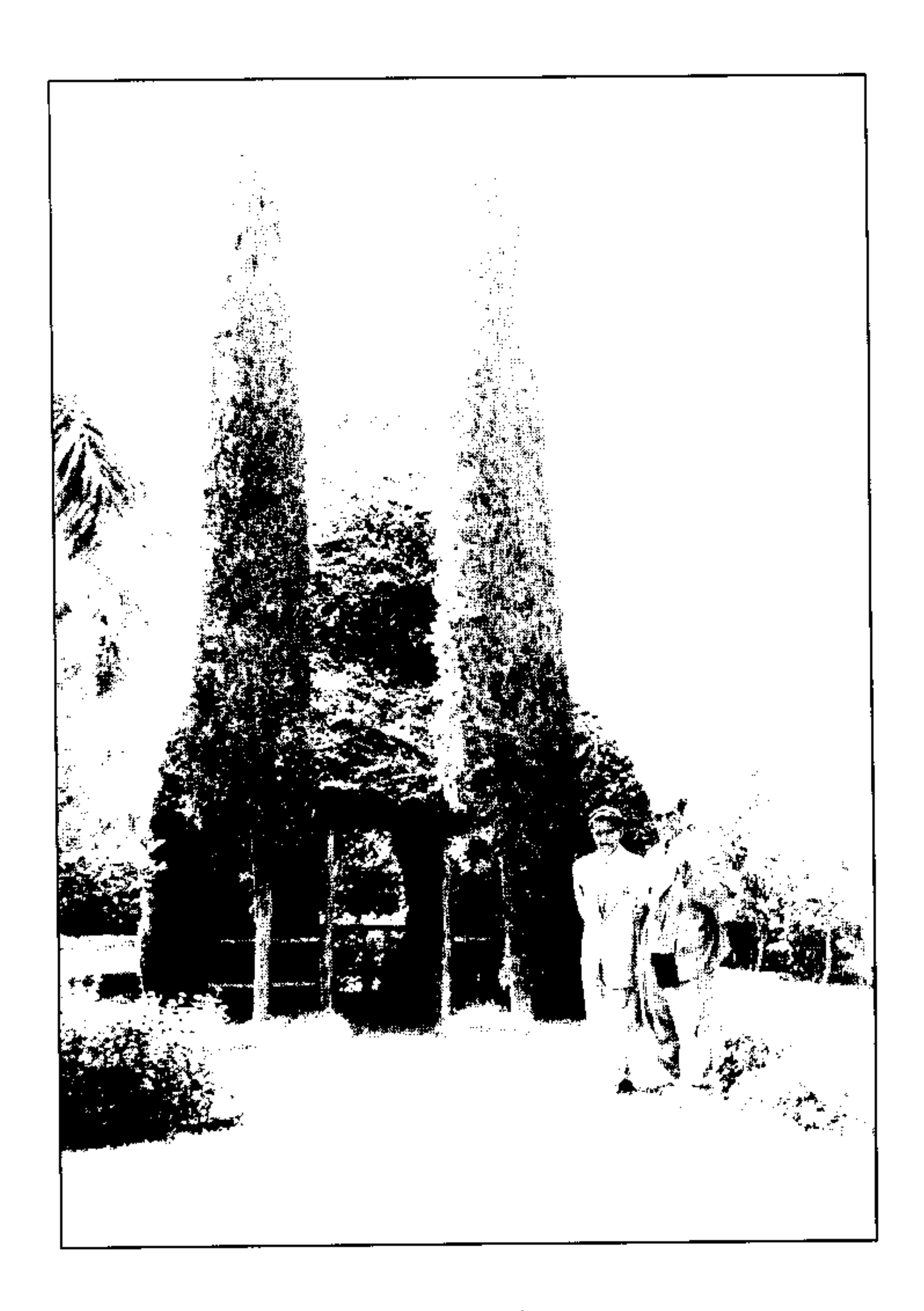
في حديقة الأندلس (١١)، (١٢):

حدائق الأندلس من أماكن النزهة المفضلة، لما فيها من جمال مبهج، وتنظيم متقن، وتنوع مدهش. وهي بجانب هذا في القاهرة، وقريبة المتناول، لا يمل الإنسان الذهاب إليها، وطلاب البعثة مثل غيرهم يقصدونها كثيراً، إما للنزهة، أو للخلوة التي يجدونها تلائم المذاكرة الهادئة، خاصة قرب أيام الامتحانات.

هنا صورتان لي وللأخ عبدالرحمن البراهيم القاضي في ضحى أحد الأيام، وفي الغالب ذلك في نهاية الأسبوع، أو في يوم إضراب، أو يوم عيد من الأعياد. ويظهر في الصورة الأولى منظر «مبنى» يمثل الطراز الأندلسي، وأمامه بركة جميلة، ودرج متقن الهندسة في المقدمة وعلى الجانبين.

وفي الصورة الثانية أبدو أنا والأخ عبدالرحمن في اليوم نفسه في جانب من جوانب الحدائق، وقد وقفنا جانباً حتى لا نحجب المنظر الجميل لشجرتين باسقتين قد أتقن مكان غرسهما، يكمل جمالهما، وحسن اختيار موقعهما الجلسة المظللة بالشجر المتسلق المهذب، وفي الخلف بعض الأشجار من أنواع مختلفة، وتمثال عال يبدو في آخر الصورة.





من صور المذاكرة (١٢):

هذه صورة تجمع بيني وأخي حمد وصديقنا الحميم سامي رضوان، وقد جاء سامي ليذاكر عندنا لأن جو المذاكرة عندنا أهدأ منه في غرفته، وهو في كلية الطب، ومن الطلبة الجادين، وقلّ أن تجد طالب طب غير جاد.

وفي خلف الصورة تظهر النافذة بوضوح، وباب الشرفة، ويظهر تقويم على الحائط فيه دعاية لشركة نظارات، وسبب وقوفي والآخران جالسان أني قد هيأت آلة التصوير على الضاغط الآلي لأسرع وأشترك في الصورة، والآلة «كوداك» صنف جديد، نزل السوق حديثاً، وكنت أول المقتنين له.



خمسة أحبة (١٤):

خمسة أحبة في صورة واحدة، وهم مع حفظ الألقاب:

ناصر المنقور: الجالس على الكرسي.

حمد الخويطر: خلف كتف ناصر الأيسر.

عبدالرحمن السليمان بن الشيخ: خلف كتف ناصر الأيمن.

عبدالعزيز القريشي: الواقف في الخلف

عبدالعزيز الخوايطر: الواقف متكئاً على جدار الشرفة.

هذه الصورة أخذت في شرفة غرفتنا، وهذا الكرسي يعد من وسائل الرفه، ولا محل له إلا الشرفة، وقد احتلها.

والملابس كما نرى مختلفة؛ فمن لابس «بيجاما»، ومن لابس ثوب وعليه «فنيلة» صوف، لأن الوقت شتاء، ومن لابس روب. وقد سارعت بعد أن وضعت قابس الصورة آلياً لأخذ مكاني في الصورة، وجراب آلة التصوير ظاهر على كتفي.



ثلاثة في الشرفة (١٥) :

ثلاثة من الأصدقاء في شرفة شقة الزملاء في الإسكندرية وهم: خليل مطر، مصطفى مير، عبدالعزيز الخويطر.

اختيرت البلكونة لأهمية الضوء للتصوير، لأن «الفلاش» لم يخترع حينئذ، لا هو ولا التصوير بالألوان، ولهذا فلا بد من اختيار الموقع، وأن تكون الإضاءة كافية.

ويلاحظ أنني ألبس «فنيلة» صورة هي علامة أننا في فصل الشتاء، وشتاء الإسكندرية رحيم، وتكفيه «الفنيلة» مع الثوب الذي أحبه أكثر من «البيجامة» لأنه يريحني أكثر. يلاحظ لمعان الشعر من جراء دهنه «بفازلين»! و «الموضة» إما أن تفرق الشعر أو لا تفرقه، والإثنان متوافران في الصورة.



أربعة في صورة (١٦):

هؤلاء زملاء وأصدقاء جيران في السكن وهم:

١ ـ من اليمين: الشريف غالب بن محمد الشدقمي

٢ ـ عبدالعزيز الخويطر

٣ ـ حمد الخويطر

٤ ـ عبدالخالق بخش

والشريف «غالب» غرفته بجانب غرفتنا في شارع عبدالمنعم في حي الدقي ويسكن معه زكي يماني. أما عبدالخالق فغرفته في الشقة المجاورة لشقتنا.

يلاحظ أن الشريف وحمد يلبسان بيجامات، وأنا ألبس ثوباً، أما عبدالخالق فبنطلون وقميص، ولعله يتهيأ للخروج، أو آت من الخارج. «الشماعة» العلاقة خلفنا واضحة، ومعها القميص، وهي من أثاث الغرف الثابت.



عودة إلى الحدائق (١٧):

لعل هذه الصورة إما في حدائق الأندلس، أو في حديقة الحيوان، والظاهر فيها من اليمين:

١ ـ عبدالعزيز الخويطر

٢ ـ أمين مالكي

٣ ـ رشاد عبدالله

٤ ـ عبدالرحيم حبيب الله

٥ ـ طفلة لعلها انضمت إلينا، وأغراها بذلك التصوير.

ومحمود حبيب الله أحد أعضاء البعثة، أما الأخ أمين ورشاد عبدالله فكانا زائرين، وذهابنا للنزهة هو من أجلهما. ورشاد أحد الذين زاملتهم في المعهد، وهو صديق حميم، وتخرجنا معاً، وهو ذو خلق ونبل.



مسقط الإشعاع (١٨) :

لابد للصورة من إضاءة وافية، لأن آلات التصوير في تلك الأيام لم يضف إليها إضاءة «فلاش»، ولهذا لا تصور إلا في النهار، وفي ضوء كاف. وقد أغراني دخول الشمس إلى الغرفة بأخذ هذه الصورة، ولم أكن أتصور أنها سوف تكون بهذا الوضوح. ولم تتبين لي قيمتها الفنية إلا عندما أخبرني المصور الذي «حمض الفيلم» أنه كان يتمنى أنه هو الذي التقط الصورة، لأنه قال إنه من النادر أن تأتي الصورة بدون شيء خلفي يأخذ جزءًا من نظر الناظر إليها، أما هذه فهي مسيطرة على الناظر، لا يستطيع أن يرى غيرها، وبأجزائها، وهذا التفصيل الوافي «للروب»، وحباله.

***



تنبيه:

أود أن أذكر أنه في هذه السنوات الأفلام (أبيض وأسود)، ولم تخترع بعد الأفلام الملونة، ولم يخترع «الفلاش» الإضاءة التي تسمح بالتصوير بالليل والنهار وفي الظل، وداخل المنازل.

وقبل أن تأتي الأفلام الملونة كان بعض المصورين المتمكنين من صنعتهم يلونون الصور بعد طبعها على الورق، وهذا له ثمن معين، وكان عليه إقبال شديد، وتضحية بالمال مقابل هذه العملية الفنية.

***

صورة الشهادة:

ذكرت سابقاً أن المتخرج من الجامعة يعطى رسمياً لقب «أفندي». وهذه شهادتي فيها ما يدل على أنني «أفندي» رسمياً.

في صورة الشهادة حقائق تستحق الوقوف عندها، فصورة الشهادة وتصميمها متقن واف بالغرض من ناحية البيانات، فالبلاد مملكة مصرية، والجامعة باسم الملك فؤاد، أنشئت في زمنه، وهي أول جامعة في مصر. والشهادة تعطى من مجلس الجامعة. والتاريخ المدون هو الهجري أولاً ثم الميلادي، وعميد الكلية هو الأستاذ إبراهيم اللبان، وقد خلف إبراهيم حسن، ومدير الجامعة عبدالوهاب عزام، ورئيس الجامعة وزير المعارف عبدالخالق حسونة، وتوقيعه ختم، لكثرة الخريجين، ثم توقيعي.



جامعة فؤاد الأول

بعد الاطلاع على نتيجة الامتحانات لكلية دار العلوم في مايو سنة ١٩٥١

قرر مجلس الجامعة بتاريخ ٣ يوليه سنة ١٩٥١

منح عبد العزيز الخويطر أفندي بن الشيخ عبد الله الخويطر المولود في نجد ١٩٢٧

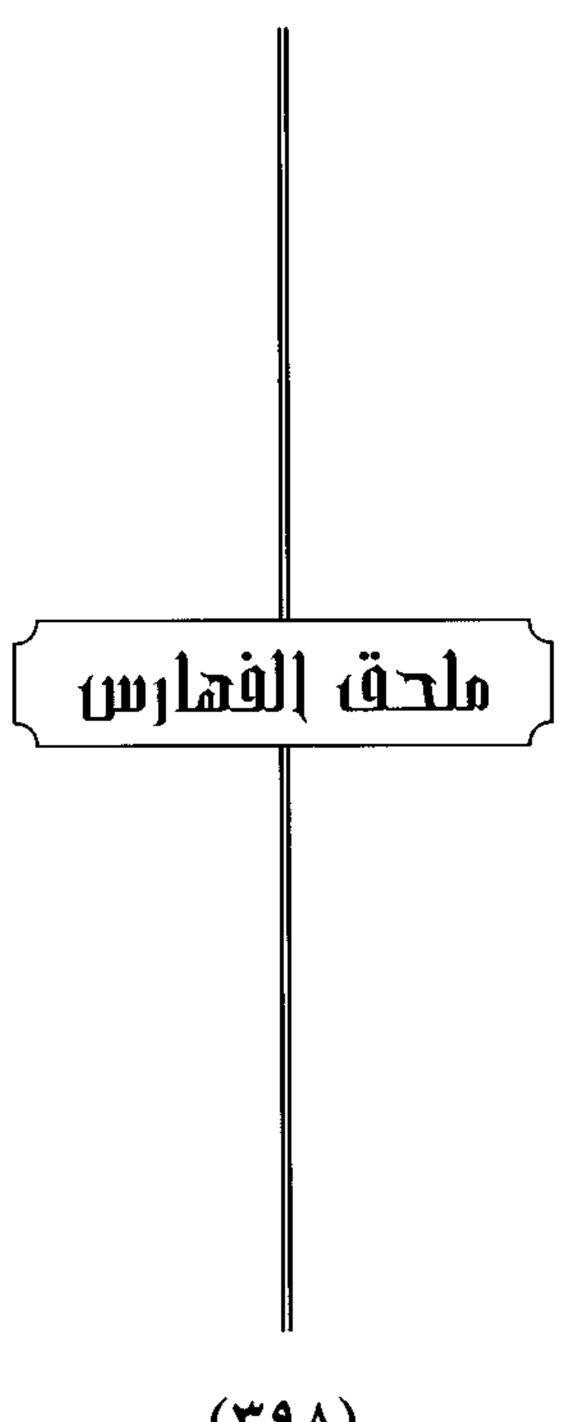
درجة الليسانس في اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية بتقدير جيد م

القاهرة في ذي الحجة سنة ١٣٧٠ هجرية و سبتمبر سنة ١٩٥١ ميلادية

العميد   المدير   الرئيس الأعلى للجامعة

سجلت بجامعة فؤاد الأول برقم [illegible]

توقيع صاحب الدرجة



ملحق الفهارس

أولًا : فهرس الموضوعات

ثانيــاً : فهرس الأعلام

ثالثــاً: فهرس الأماكن

أولاً : فهرس الموضوعات

ثانياً: فهرس الأعلام

(أ)

(خ)

(د)

(ط)

(ع)

(غ)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

***

ثالثاً : فهرس الأماكن

(أ)

(ب)

(ج)

(ح)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ل)

(م)

(ن)

(و)

(ى)